دراسات

سميائية
أدبية
لسانية



مجلة فصلية

محاور العدد :
- علم النفس والنقد الأدبي.
- تحليل القصة ومصطلحاتها.
- تحليل نصوص شعرية.
- اللسانيات ــ المنطق.

العدد : 3 صيف ــ خريف 1988

دراسات
سميائية
أدبية لسانية

دال

صيف — خريف 1988 | العدد : 3

• المدير المسؤول : **محمد العمري**

• رئيس التحرير : **حميد لحمداني**

• عنوان المجلة : ص.ب. : 2309 فاس.

• ترسل الاشتراكات إلى حساب المجلة رقم : 29 25608 010 400 بنك الوفاء — فاس.

الاشتراك في أربعة أعداد :

المغـــــرب
- ☐ الطلبة 50 درهما
- ☐ الاشتراك العادي 64 درهما
- ☐ إشتراك الدعم، ابتداء من 100 درهم
- ☐ اشتراك المؤسسات 100 درهم

خارج المغرب
- ☐ اشتراك الأفراد بالبريد العادي. ما يعادل 100 درهم، تضاف إليها تكلفة البريد الجوي و/أو المضمون إذا طُلِبَ ذلك.
- ☐ اشتراك المؤسسات ما يعادل 100 درهم تضاف إليها تكلفة البريد.

• الايداع القانوني رقم 1987/47
• التصريح رقم 87/2
• ISSN 0851 - 2914

• المقالات المنشورة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها.
• المقالات لا ترد إلى أصحابها، نشرت أم لم تنشر

الغلاف : من تصميم محمد الريحاني

فهـــرس

تقديم

لقد كان التنوع داخل المجال الفسيح للبحث السيميائي الأدبي اللساني (تنوع النظريات والمناهج وزوايا النظر والمعطيات) منطلقاً وهدفاً لمجلة دراسات س.أ.ل، كما كان هدفاً لمجلة د.أ.ل قبلها. من جملة مظاهر هذا التنوعِ البَنَّاءِ التفاعلُ بين القديم والحديثِ وبين المناهج المختلفة، حتى وإن اكتسى حِينا طابع الحدة.

لم يكن هذا المسلك يتطلبُ، في نظرنا، أي تبرير أو دِفاع، فنحن نؤمن بأن النشاطَ العلمي، في مجال العلوم الإنسانية خاصة، هو مَجموعة معطيات ومقترحات من مواقع مختلفة تُستقبل في واقعٍ مخالِفٍ بوجه من الوجوه، مخالف في الزمن والمكان، وما يترتب عنهما من خصوصيات. فقصارى هذه المعطيات والمقترحات أن تكون حوافزَ للتفكير في تفاعل مع الواقع الخاص، لانتاج معرفةٍ جديدة فاعلة في الواقع الجديد. فإن عَدا المنهج هذا الطور صارَ عقيدة جامدةً غيرَ منتجة، بل قلعةً حَصينة للدفاع عن مواقفَ أيديولوجية غيرِ معلنة.

من هنا نرتابُ في نزوعي استيرادِ الأنساقِ الجاهزة من القديم والحديث على حدٍّ سواء، كما نرتابُ في جِدية النوايا العِلمية للحديث عن «القطيعة» و«الأُصالة» وما يُشتق من مَعنييْهما من ألفاظٍ ومعاني يَتقاذف بها مُعسكران متنابذان، مازالت فلولهما معتصمة بزوايا من ثقافتنا الحديثة.

في إطار هذا التصور ننشر في هذا العدد مواد غنية في السيميائيات والأدب واللسانيات، يمكن إرجاعها إلى المحاور التالية :

1 ــ **علم النفس والنقد الأدبي** : 1) حوار مع الدكتور جورج طرابيشي حول تجربته النقدية، وواقع الدراسة النفسية للأدب في العالم العربي ؛ 2) مقاربة النص الأدبي (القصصي) من زاوية علم النفس التجريبي (فصل من كتاب ميشيل فايول بترجمة ذ. حميد لحمداني).

2 ــ **تحليل القصة ومصطلحاتها** : 1) تحليل نص سردي («الزيف») لنجيب محفوظ، يطبق فيه ذ. عبد المجيد نوسي نظرية العوامل السيميائية لكريماس ؛ 2) بحث معجمي في مُصطلحات القصة المغربية، يعتني بالسياق التاريخي للمصطلحات ومقابلاتها الفرنسية.

3 ـــ تحليل النصوص الشعرية : 1) تحليل نص شعري قديم يتناول فيه ذ. محمد بوحمدي مكونات النص اللغوية وعلاقاتها الدلالية الموضوعاتية بحثاً عن انسجامه ؛ 2) تحليل نص شعري صوفي من الأدب المغربي القديم في ضوء التحليل الموضوعاتي المستلهم للمعطيات السميائية (د. حسن جلاب).

4 ـــ اللسانيات والمنطق : 1) مقال مطول ينتقد فيه موريس كروس أسسَ النحو التوليدي ويبرز جوانب النقص فيه من زاوية مقترحه النظري وعلى ضوء البناء المنهاجي العام (ترجمة ذ. موحا الناجي) ؛ 2) بسط الدلالة الاحالية ومناقشتها عند مجموعة من الباحثين المحدثين من خلال التحليل والأمثلة الموضحة (ذ. حسان الباهي).

5 ـــ مفاهيم ونصوص : نص لأفلاطون حول مفهوم السرد والحوار (اختيار وتقديم حميد لحمداني).

التحليل النفسي والنقد الأدبي

(تطبيقاته على الرواية والسيرة الذاتية ــ علاقته بالمناهج الأخرى ــ أبعاده الحضارية)

حوار مع **ذ.جورج طرابيشي**
أجرى الحوار : **ذ.سعيد يقطين. ذ.منيب البوريمي**
ذ.عبد الرحمن بوعلي، ذ.حميد لحمداني

ذ.جورج طرابيشي من مواليد مدينة حلب بسوريا سنة 1929 عمل في التدريس، والصحافة. شغل رئيسا لتحرير «مجلة **دراسات عربية**» بين سنتي 1972 و1984. وهو الان عضو تحرير مجلة «**الوحدة**» وذلك منذ سنة 1984.

اختار منذ سنة 1984 الهجرة إلى باريس بعد أن احترق لبنان. آخر ما صدر له : «**معجم الفلاسفة**» ويعمل الان في إعدادِ حلقةٍ رابعة من سلسلة دراساته التحليلية النفسية للرواية العربية بعنوان «**الأب في الرواية العربية**».

ذ.حميد لحمداني :

تُرحبُ مجلة **دراسات** «**سميائية أدبية لسانية**» بالأستاذ جورج طرابيشي وهو ناقد معروف على مستوى العالم العربي، وله إسهامات جادة في إطار الحركة الفكرية الانسانية عموماً، خاصة من خلال نشاطه في ميدان الترجمة، وهو ما خلق جسراً متيناً بين الفكر العربي، والفكر الغربي. وله مؤلفات كثيرة في ميدان النقد الأدبي اهتمت أساساً بالفن الروائي على ضوء التحليل النفسي بوجه خاص. نشكر له تلبية الرغبة في هذا اللقاء.

والمجلة تشكر أيضاً الزملاء الاساتذة الذين أبدوا كامل استعدادهم للمساهمة في هذا اللقاء العلمي مع الأستاذ جورج طرابيشي ولنا يقينٌ تام بأن هذا الحوار سيكون مفيداً جداً بالنسبة للقراء المهتمين بمناهج النقد في المغرب، والعالم العربي على السواء.

وأريد أن أبدأ هذا الحوار ــ على غير العادة ــ بسؤال تَشْغَلُني الاجابة عنه منذ زمن غير قصير. ما هو رأيكم في قول فرويد ــ وانتم تهتمون بالنظرية الفرويدية، وتستخدمونها في التحليل ــ أقول ماهو رأيكم في قول فرويد، بأنّ السيرة الذاتية مثلا **لا تعبر عن حياة الكاتب بل عن صورة الحياة التي كان يطمح إلى تحقيقها ؟.**

ذ.جورج طرابيشي :

لَسْتُ من مُحِبّي التعميمات، سواء صدرت عن «فرويد» أم غيره، ولا أنظر إلى السيرة الذاتية كفن مطلق وقائم بذاته. وأنا في حقيقة الأمر لست مَعْنياً بالسيرة الذاتية. أنا معنيٌّ بالرواية، وبقدر ما تكون السيرة الذاتية رواية فأنا معنيٌّ بها. أما السيرة الذاتية في حد ذاتها فقد أستغني عنها استغناءً تامّاً. ومن ثَمَّ، فعندما أتعرضُ لروايات من نو ع السيرة الذاتية، وهي كثيرة في الأدب العربي، فإن بؤرة الاهتمام لا تتركز على السيرة الذاتية، بل على الرواية. وهكذا أقول، على العكس من ذلك، بأن فرويد معني بالسيرة الذاتية وليس معنياً بالرواية، هو يُحاول كَعَالِم نفسٍ أن يردّ الرواية إلى سيرة ذاتية. وحُلْمي الخاص كناقد هو أن أبقى دائماً عند الرواية ولا أعتمد على السيرة الذاتية الا بقدر ما يقدمها الكاتب، ولَسْتُ أردُّ الرواية اطلاقاً إلى السيرة الذاتية. وحتى عندما استخدم في تحليل الرواية مصطلحات التحليل النفسي مثل مصطلح «اللاشعور» فإنني لا أعَمِّمُه اطلاقاً على الكاتب بل أقْصِرُهُ ــ إذا جاز لي التعبير ــ على ما يمكن تسميته «لا شعور البطل» في الرواية. أي أنني أعامل البطل كشخصية حقيقية قائمة بذاتها، ولها تاريخها، وما قَبْلَ تاريخها، سواءٌ كانت هذه الشخصية من السيرة الذاتية أم من الرواية.

ذ.سعيد يقطين

ألاحظ أن التعامل بالتحليل النفسي في النقد العربي محدود جداً، وتأثيره على الثقافة العربية أيضاً كذلك. وأتساءل ــ بالنسبة للأستاذ جورج طرابيشي ــ لماذا التحليل النفسي بالذات في النقد الأدبي ؟

ذ.جورج طرابيشي :

هذا صحيح جداً فالكِتَابُ الوحيد الذي أتيح لي أن أقرأه بالعربية في تطبيق التحليل

النفسي، هو كتاب **لاسماعيل مَظْهَرْ** وأظنه ينتمي إلى الثلاثينات. وفيه يتناول بالتحليل بعض أعمال **توفيق الحكيم**، ولكن بشكل بسيط جداً. وحتى الدراسات النقدية المستلْهِمة حديثا البنائية المعاصرة تُصِرُّ على مقاطعة منهج التحليل النفسي، وقد وُجِدَت محاولات صغيرة سابقا لتطبيق هذا المنهج؛ عند العقاد مثلا، إنها محاولات ساذجة لا ترتبط بالضرورة بالتحليل النفسي، وانما بالفهم النفسي لنفسية ابن الرومي مثلا، ولكن بقي العقاد في محاولته هذه أقرب إلى «التَّقْميش»(*) لأنه لم يستخدم التحليل النفسي كأداة كلية وشاملة وإنما استفاد منه في لحظات عابرة على الطريقة الصحافية التقميشية.

وفي اعتقادي أن مقاطعة الفكر العربي للتحليل النفسي الفرويدي، وغير الفرويدي، كانت لأسباب إديولوجية، وخاصة طغيان هذه الاديولوجية في أعقاب الحرب العالمية الثانية. وقبل الحرب العالمية قوبل الفكر الفرويدي أيضاً في العالم العربي بالرفض كما بقي متهما، وموضع اشتباه على المستوى الاخلاقي من قِبل المؤسسات القائمة، وعلى المستوى العلمي من قبل الأكاديميات، ولم يحظ بالصفة العلمية الا في زمن متأخر نسبياً. فهو إذن فرع علميٌّ حديث أو على الأصح اختصاص (Discipline) علمي حديث. وإلى جانب طغيان الاديولوجيا الذي أشرنا إليه «كان هناك طغيان الفلسفة الوجودية. وفي الوقت الحالي ــ وخاصة في المغرب العربي ــ ظهرت سيطرة البنيوية، وقد كانت البداية منذ السبعينات.

وهناك أسبابٌ تتعلق بطبيعة التحليل النفسي تعوق تسهيل تطبيقه في الممارسة النقدية الأدبية؛ ذلك أنه في المقام الأول «علم سَرِيرُيٌّ»، ويَعْسُر أن تجتمع في شخص واحد إمْكَانياتُ الناقد، والمحلل النفسي في الوقت ذاته، وحتى اذا حدث ذلك، فكيف يمكن التوفيق بين ميول المحلل النفسي إلى التعامل السريري مع الحالات المعروضة، وبين ميول الناقد في اتجاه معاكس لذلك ؟ وبمعنى آخر كيف يحافظ التحليل النفسي على خُصوبة دراسات الحالات السريرية في أعمال أدبية تدعو إلى الابتعاد عن ذلك، وكيف ينجح الناقد في تطبيق التحليل الفرويدي دون أن يقع في «السريرية»، ويُحافظ على ما أسميه بـ «لحظة الاستقلال الذاتي للعمل الأدبي» ؟. هناك إذا نوع من الانشقاق عند كل من يحاول تطبيق التحليل النفسي في النقد الأدبي.

وأما بخصوص اتجاهي أنا إلى التحليل النفسي وتطبيقه في دراسة الأدب، فلعله كان بالصدفة، ولكنها كانت صدفة متعيِّنة (Déterminée) بأكثر من سبب؛ فقد كان من الممكن

(*) سيُلاحَظُ مع استمرار الحوار أن ذ. جورج طرابيشي يَقْصِدُ بعبارة «التقميش» ما يشبه العمل الاستطلاعي الذي لا ينفذ إلى عمق النصوص الأدبية أثناء التحليل، أو اثناء الاطلاع.

الا أترجم «فرويد»، وبالتالي كان يمكن ألّا أسير إلى التبنّي النهائي للتحليل النفسي، ولكن عندما أراجع تطوري الشخصي ـــ بقدر تصوري له ـــ فإني أجد بَذْرةَ التحليل النفسي كانت موجودة في عملي النقدي الأول وهو «لعبة الحلم والواقع ـــ دراسة في أدب **توفيق الحكيم**.» صحيح ان تلك كانت لحظة سيادة الاديولوجيا، غير أني لاحظت أن البؤرة المركزية لفهم الكاتب، كانت هي موقفه من المرأة ومن الجنس، وقد عملت من خلالها على أن أعيد تحليل وتركيب كل الاديولوجية **الحكيمية** بدون أن أكون آنذاك على اتصال وطيد بالتحليل النفسي، إلا بقدر ما يكون المثقف على معرفة «تقميشية» ببعض المفاهيم. وقد تجلى لديَّ نفس الشيء في كتابي : «**شرق وغرب، رجولة وأنوثة**» الذي وُصِفَ بأنه نوع من **الانطربولوجيا الثقافية**، فالبؤرة المحورية فيه أيضاً هي قضية الأنوثة والرجولة، وقيل بالنسبة لهذه المرحلة أنني «أُراوِحُ» في هذا الكتاب بين الماركسية والفرويدية. وبالفعل لم أكن بَعْدُ قد اتصلت اتصالًا حقيقياً بالفرويدية، ولكن مع ذلك ـــ وربما يُعَبِّرُ هذا عن لا شعوري إذا جاز التعبير ـــ فالمشكلة هي أني كنت دائما أضع بؤرة الرؤى وبؤرة المواقف الاديولوجية ونقطة المركز في الابداع الروائي بشكل خاص، في إطار هذه العلاقة بين الرجولة والأنوثة. وهكذا يبدو أنه كان من المحتم أن أنتهي إلى التحليل النفسي. وتلك خطوة خطوتها على مرحلتين : المرحلة الأولى ابتدائية في كتاب : «**رمزيَّة المرأة في الرواية العربية**» ثم الخطوة النهاية، نحو التبني الكامل لمنهج التحليل النفسي. وأحب هنا أن أوضح مسألة أساسية، وهي أني لست أرْثُودوكسياً فرويدياً، لأنني لا أعتقد بضرورة توظيف كل التراث في التحليل النفسي من فرويد إلى «يونج» إلى «لاكان». وكذلك كان موقفي عندما كنت أطبق التحليل الماركسي فلم أكن قط لينينياً أو ستالينياً أو مَاوِياً، فكنت أحس أننا بحاجة إلى كل التراث الماركسي، وصولًا إلى لوكاتش وغارودي، وألتوسير، وابتداءً من ماركس وانجلز. فأنا اعتقد أنه من أكبر المخاطر على الفكر العربي أن ينضوي تحت تيار واحد لأي مدرسة، لأن نتيجة ذلك هي الوقوع في شرك الاديولوجيا والتعامي عن الخصوبات التي يمكن أن تقدمها التيارات الأخرى.

ذ.منيب البوريمي :

الأستاذ جورج طرابيشي بصفتكم قارئا غير عادي للرواية العربية والأوربية، ناقداً ومُترجماً مقتدراً لمدة طويلة من الزمن تذكرنا بمجهودات الناقد الراحل «**سامي الدروبي**»، في هذا المجال، ما هي في نظركم نقط التماثل والتقاطع والتوازي بين النصين الروائيين العربي، والأوربي ؟

ذ.جورج طرابيشي

أعتقد أن السؤال كبير جدا، لأنه يتطلب الاحاطة بالرواية العربية، وقد أصبح حقلها واسعاً،

والاحاطة بالرواية الغربية شيء لا يقع في متناولي، ومع ذلك أرى أن الرواية العربية التي ولدت كثمرة من ثمرات اللقاء مع الحضارة الغربية مازالت، وستبقى لفترة طويلة من الزمن، مهما كان نجاحُ ما يسمى اليوم بالمحاولات التأصيلية، تسير في ركاب تطور الرواية العالمي، ولا أقول التطور الغربي فقط، لأن الرواية أصبحت اليوم فنّاً عالميا بكل ما في الكلمة من معنى. وأعتقد أن ما يحكم مسيرة الرواية العربية ــ وتلك هي نقاط توازيها وتصالبها في آن واحد مع الرواية العالمية ــ هو أنها تخضع لما يُمكن أن نُسمِّيَهُ بـ «قانون التطور المتفاوت والمركب». وأقصد بهذا القانون ذلك الذي طبقه لأول مرة «تروتسكي» في كتابه عن تاريخ الثورة الروسية؛ ومؤداه أن العالم أصبح لأول مرة تاريخاً واحداً مَهْمَا بَدَا منقسماً ومحتوياً على مُستعْمِر ومُسْتَعْمَر، وأطرافاً ومراكز، وتقدماً وتخلفا، وأطرافاً فاعلة وأطرافاً منفعلة. هناك وحدة في هذا الانقسام نفسه. كان العالم سابقا عبارةً عن جُزر، كل حضارة على حدة والتفاعل بينها لم يصل أبداً إلى درجة التفاعل الحاصل في الوقت الحاضر. بالنظر إلى هذه الحقيقة نلاحظ **أن الحضارة العربية أخذت اليوم تقيس درجة تقدمها بالمقياس العالمي، في الوقت الذي نجد فيه الحضارات الغربية المتقدمة تقيس تطورها وتقدمها بمقدار سيطرتها على الطبيعة**. والدول التي تكتشف تخلفها تحاول أن تختصر المسافة الزمنية. ولدينا مثال على ذلك ؛ ألمانيا التي اكتشفت نفسها متأخرة ثلاثة قرون عن أنجلترا وفرنسا فاجتاحت في نصف قرن هذه المسافة الزمنية. وهناك أيضا اليابان...الخ.

وأعتقد ان الرواية العربية تخضع لهذا القانون، أي أنها وُلِدَتْ متأخرة جدا بثلاثمئة عام أو أكثر بالنسبة لميلاد الرواية الغربية، وميلادُها نفسه كان نتيجة الاتصال مع الغرب، ولكنها استطاعت بأقل من نصف قرن أن تقفز وتُرَكِّبَ التطور لتصل أحياناً إلى ما وصلت إليه أحدث انجازات الرواية الجديدة. وأعطي المثال هنا «**نجيب محفوظ**». ومن المؤسف أن يكون الاتجاه العام للنقد العربي يميل إلى ظُلْمِهِ، والتنكر لدوره. وأعمال نجيب محفوظ ينطبق عليها بشكل خاص «قانون التطور المتفاوت والمركب»، فقد بدأ بالرواية التاريخية في «كفاح طيبة» و«رادوبيس» وغيرها، وانتقل إلى الرواية الواقعية متوجاً ذلك «بالثلاثية»، ثم بدأ انطلاقاً من «اللص والكلاب» يطور أشكالًا أخرى، وصولًا إلى توظيف التراث في الرواية، وهو سبَّاقٌ إلى هذا بخلاف ما يُزعم. إذاً جميعُ ما حققته الرواية الغربية خلال قرون استطاع روائيٌّ عربي واحد أن يصل إليه خلال سنوات من حياته الخاصة.

ذ.عبد الرحمن بوعلي :

أحب أن أعود إلى اشكالية **المناهج النقدية** ــ في إطار هذا التطور الذي تحدثت لنا عنه ــ فنحن نعلم أنه كان لكم تطور في تطبيق المنهج الفرويدي، أي التحليل النفسي على

الرواية. وفي إطار استفادتكم من المناهج السوسيولوجية أيضاً. ألم تلاحظوا أهمية المنهج البنيوي التكويني. وباختصار ما هو رأيكم في صلاحية البنْيوية التكوينية في التحليل ؟

ذ.جورج طرابيشي :

شخصيا، كان لي دورٌ مّا، عندما كنت أوَّل مَنْ تَرْجَمَ بعض المقالات لغولدمان إلى العربية، ولست مؤهلا لأن أحكم على البنيوية التكوينية أو على منهج آخر، ولستُ أيضاً من دعاة «الحصرية المنهجية»، وأعتقد أن كُلَّ مَنْهَج يَمْلِكُ خُصُوبَتهُ. واذا أنا حاولت تقييم صلاحية منهج ما فلن أكون في هذه اللحظة الا إديولوجيا، ولن تكون إجابتي موضوعية، خصوصاً اذا أنا أصدرت حكمي على البنيوية التكوينية من داخل التحليل النفسي.

وأنا أومن بأن أي موضوع، في الأدب أو في غير الأدب، هو مُنفتح ويترك المجال لتعددية المناهج. وصحيح أن لكل منهج خصوصيته ولكن لكل منهج أيضاً خصوبته. فكل منهج يركز على زاوية من الموضوع الذي يتناوله تختلف عن الزوايا التي تركز عليها المناهج الأخرى. وهذا هو معيار خصوبة كل منهج، كما أن النَّتائج المحصل عليها عند تطبيق منهج معين، وليكن التحليل النفسي مثلا، لا يمكن الوصول إليها عند تطبيق منهج آخر والعكس أيضاً صحيح. هناك حُلُمٌ، وهو أن يكون الناقد الواحد جامعاً ومستوعباً لجميع هذه المناهج، ولكن الأمر يزداد صعوبة مع الأيام بسبب التطور الهائل لعلوم الانسان إلى حَدٍّ أن الاحاطة بمنهج واحد في تياراته المختلفة أصبحت أمراً عسيراً. إننا يومياً ننزل إلى المكتبات ونكتشف في حقل التحليل النفسي وحده شيئاً جديدا، ربما تتعذر علينا ملاحقته فكيف بنا نطمح إلى الانتقال إلى مناهج أخرى.

ذ.سعيد يقطين :

في إطار الحديث عن المناهج وخصوبتها، أشار الاستاذ جورج طرابيشي، إلى التطورات التي عرفتها الاجتهادات داخل التحليل النفسي. وأنا أرى أن التحليل النفسي، حالياً في الثقافة الأوربية ــ وهذا مثير فعلًا ــ قد خطا خطوات هامة جدا، وذلك عن طريق استفادته من التطور الحاصل في الدراسات الأدبية واللغوية بصفة خاصة، ويبدو أن هناك تراكماً قد بدأ يظهر في إطار الدراسات «السَّيكولسانية». وأيُّ منهج، لا يمكنه أن يتطور ويحافظ على استمراره الا إذا هو استفاد من أهمِّ الانجازات. وبالنسبة لجورج طرابيشي ألا يرى بَعْدُ أن الوقت قد حان للاستفادة من الجانب **البنائي** انطلاقاً من التحليل النفسي ذاته ؟

ذ.جورج طرابيشي :

أنا لا أختلف معك، ولكن ينبغي مَوْضَعَةُ الأشياء (situer les choses). إنني ألاحظ مثلا

أن البنائية رغم حداثتها في العالم العربي، خلقت حواراً بين المهتمين ــ خصوصا في المغرب العربي كما سبق أن قلت ــ والدليل على ذلك ندوة الرواية العربية التي تنعقد الان بالرباط. وهذا ليس هو وضع التحليل النفسي في العالم العربي. أنا لا أدعي أنني فارس **الميدان** الوحيد، ولكني أقول فقط بأنه ليس هناك من حوار في هذا المجال. والتطور الذي أشرْتَ إليه بالنسبة للتحليل النفسي لم يكن وليد الكتابة الفردية، ولكن على الأصح كان وليد اللقاء المباشر والحوار بين أصحاب هذا التخصص. وقد شارك في هذا الحوار أحيانا مهتمون عرب، أما داخل العالم العربي، فالحوار يكاد يكون منعدما. وأنا أتمنى لو وُجدت أجواء تساعد على انفتاح من قبيل الذي أشرتَ إليه. وحوار من هذا القبيل يحتاج إلى مؤسسات جامعية، وأعتقد أن الوقت ما يزال بعيدا لتحقيق ذلك، سيما وأن الأجيال الجديدة من المدرسين في الجامعات، وأغلبهم راجع من الغرب، تخصصوا في الميدان السوسيولوجي، أو البنيوي. وأنا مقيم الان في باريس، وعلى اتصال مباشر بعشرات الدارسين العرب لا أحد من بينهم من يشتغل على المنهج النفسي التحليلي في دراسة الأدب.

وهناك عامل أساسي آخر يمنع الحوار الذي أشرتُ إليه، وهو أن المناهج البنائية أو المعاصرة لا تحتاج إلى أكثر من المعرفة، بينما التحليل النفسي يحتاج إلى نوع من **الايمان** باللا شعور، واذا لم يقع للناقد هذا التَّمَاسُ مع اللاشعور لسبب من الاسباب فسيظل يشعر بأن هذا الميدان لا يعني بالنسبة له شيئاً. فطريق التحليل النفسي ليس هو المعرفة وحدها، فلابد من وجود نوع من المعاناة. وإذا لم يتوفر المدرس أو الناقد على هذه المعاناة فإن الكتب التي سيقرأها في التحليل النفسي لن تصبح في يده أداة خصبة. وأنا تصور اللاشعور كإلّه جديدة ليس عليه من دليل. والدليل الوحيد على وجوده هو الايمان به. هذا ما يشكل الصعوبة في طريق تكوين مدرسة في التحليل النفسي على الصعيد العربي.

وأريد أن أوضح نقطة تتعلق بي، وهي أنني **لست مُحلِّلًا نفسيا، أنا ناقدٌ**. وليس هدفي أن اثبت بعض نتائج التحليل النفسي من خلال دراسة الرواية، وأنا أيضا لا أهدف إلى تطوير التحليل النفسي وإنما أهدفُ إلى تطوير النقد العربي. وقد كان موقفي كذلك حتى عندما كنتُ أطبق المنهج الاجتماعي فلم يكن يهمني أن أقول مثلًا بعد تحليل عمل لنجيب محفوظ : «أنظروا هذا نجيب محفوظ، انه فعل كلّ هذا لأنه برجوازي صغير!!». فقد كنت اعتبر أن السؤال الأساسي في ظل تطبيق المنهج الماركسي هو الاجابة عن السؤال التالي : كيف ينتهي شخصان من طبقة واحدة ومدرسة واحدة، بل ومن صف واحد، إلى إديولوجيتين مختلفتين ؟ ولعل هذا كان هُوَ أحد أسباب قطيعتي مع الممارسة الماركسية في المشرق العربي، لأني **لم أكن أريد أن أصنِّم مقولة «البورجوازية الصغير» فأجعلها دائما سبباً في الانهيار العربي.**

وكذلك في تطبيقاتي للتحليل النفسي لم يكن هدفي هو أن أصل إلى القول بأن هذا الكاتب مصاب بعقدة أوديب بل كنت انطلق من عقدة أديب (أو ما أسميه البنية النفسية التحتية) لأقول كيف يمكن لهذا الكاتب أن يُمَظْهر هذه العقدة نفسها، أي أن يُمسرحها، إذا جاز التعبير. أضْربُ على ذلك مثالا من كتابي «الرجولة وأديولوجية الرجولة في الرواية العربية». فقد تناولت فيه كاتبين : «محمد ديب» من الجزائر و«حنا مينة» من سوريا. وقد قصدت إلى الجمع بين هاذين الكاتبين لأنهما معا ينتميان إلى المدرسة الماركسية على مستوى الوعي المباشر، غير أنني تَبَيَّنْتُ من خلال دراسة رواياتهما كيف أنهما انتهيا إلى تبني إديولوجية رجولية لا علاقة لها اطلاقا بالماركسية.

وهذا عمل مهم بالنسبة لتطبيق كل منهجٍ؛ فمع أنني لست خبيرا في البنيوية، فإنني أرى أنه يجب الا تختزل الأدب إلى البنية نفسها، فحتى لو انطلقنا من البنية يجب أن نفتح الطريق أمام رؤية كل التطورات الممكنة لهذه البنية.

ذ.حميد لحمداني :

أنتم تعرفون أن التحليل النفسي تكمن وراءهُ **فلسفة جبرية** تفسر السلوك الفردي، وكذلك تفسر سلوك الأبطال في الروايات عند تطبيق هذا المنهج، فهل حاولتم التخلص من الجبرية في ممارستكم للنقد الروائي ؟ وهل هناك إمكانية فعلية لحصول هذا التخلص ؟

ذ.جورج طرابيشي :

أعتقد أن ما يميز الانسان هو الحرية، لأنها بمثابة العامل الانطولوجي الأول في تكوين الانسان. وهناك جبريات دون شك، ولكن ليس هناك «جبرية». بمعنى أن هناك مجموعات من القوانين المتصالبة، المتداخلة يمكن أن تنتهي إلى نوع من الجبرية، ولكنها لن تكون الا جبرية بدائية (Primitif). والانسان هو هذا الذي يتكوَّن من الجبرية فيصبحُ مثلًا ـــ ولاخذ المثال من الروايات ـــ : «راسكولنيكوف»، أو «عثمان بيُّومي»، أو«كمال عبد الجواد»... الخ. وهذا يعني أن الانسان يستطيع أن يعيد تشكيل تضاريس جربيته الخاصة، وهذه هي طاقة الحرية في الانسان.

وهذه الطاقة لا تتنافى مع ما يمكن أن نسميه «الجبرية النَّفسية». وعلينا أن نقول هل تعتبر هذه الجبرية نقطة انتهاء أم نقطة انطلاق ؟ فإذا جعلناها عند نقطة الانتهاء فهذا يعني أننا نتحدث عن جبرية صارمة عمياء تحيل الانسان إلى ضرب من الحيوان، في حين أننا اذا جعلناها نقطة انطلاق، فإننا نكتشف عندئذ كيف تتفاعل معها الشخصية الانسانية والحرية الانسانية، لتكوِّن تَفَرُّد كل إنسان، أو بطل من أبطال الروايات.

إنه لابد من الايمان «بالجبرية» لأنه في العلم لابد من افتراض وجود جبريات معينة، ولكن بما أن موضوعنا انسانيٌّ فلابد من أن نأخذ بعين الاعتبار طاقة الحرية الموجودة عند كل إنسان.

والناقد عليه أن يحتفظ لنفسه بهذا الهامش من الحرية حتى في إطار تطبيق منهجه الذي ينطلق منه، عليه أن يكون فنَّاناً.

ذ.حميد لحمداني

وهل حاولتم أنتم في عملكم النقدي التخلص من هذه الجبرية ؟ وهذا هو الجزء الثاني من سؤالي السابق.

ذ.جور طرابيشي

لقد حاولتُ بالفعل ولكن إلى أي حد نجحتُ ؟ هذا ما أترك الاجابة عنه للغير.

ذ.منيب البوريمي :

نريد أن يحدثنا ذ.جورج طرابيشي عن الشروط التي يضعها بالنسبة للنص الروائي الغربي لكي يُقدِمَ على ترجمته إلى العربية ؟ هل هي شروط فنية، بسيكوثقافية وحضارية أم هي شروط أخرى ؟، ونريد أيضاً أن تحدثونا عن الشروط الضرورية التي ينبغي أن تتوفر في النص الروائي العربي حتى يلقى اهتماماً نقدياً من طرفكم ؟.

ذ.جورج طرابيشي :

عندما أقْدَمْتُ مثلا على ترجمة رواية «زُورْبا» «لكازانزاكي» ورواية «الجحيم» لباربوس، و«المثقفون» لسيمون دوبوفوار، وغيرها مما ترجمته لفرانسواز سكان، وألبيرتومورافيا، فإنني لم أفعل إلا لأني أحْبَبْتُها، وهذا هو السبب الوحيد.

لقد قرأت رواية «زوربا» وعمري 17 سنة وسحرتني، فترجمْتها، وكانت هذه هي البداية غير أني لم أتمكن من نشرها ــ مع أني قدمتها إلى الناشر ــ بحكم أن «كزانزاكي» لم يكن معروفا في العالم العربي، لكن عندما تحوَّلَتِ الرواية إلى شريط سنمائي ولَقِيَتْ شهرة، سارَعَ الناشرُ إلى دعوتي وجعلني أوقع العقد وأتخلى عن جميع حقوقي وقد فعلت لأني كنت يائساً من صدور الكتاب.

والكتاب الثاني الذي سحرني هو رواية «المثقفون» لسيمون دوبوفوار، ورغم أن هذا الكتاب قد لايستوفي جميع الشروط الفنية إلا أن ما هو هائل في هذا الكتاب هو حضور

المثقفين وهمومهم المشتركة في أوربا.

ومن الروايات التي ترجمتها بعد أن سُحِرْتُ بها، ولكنها لم تر النور بعد رواية «المسافر على الأرض» لجوليان غرين.

إذن ليست هناك معايير ثقافية أو اجتماعية مسبقة تُحَدِّدُ اختياري لترجمة هذه الروايات، فحبُّ النص وحده يكفي للقيام بالترجمة.

أما اذا انتقلنا إلى الشق الاخر من السؤال، وهو يتصل بشروط اهتمامي النقدي بالرواية العربية، أقول بأنه يجب أن أشعر أولًا ان النص هو رواية بالفعل. وهذا هو رهان الفن الروائي في العالم العربي، لأنه في طور التجريب ولذلك تكثر الأعمال الفاشلة، **وأنا أشعر بنشوة عندما اقرأ رواية فأشعر فعلًا أنها رواية مهما كان انتماء كاتبها، ومهما كان الشكل الذي اختير لها، ومهما كانت الاديولوجية السافرة أو المُبَطَّنة التي يتوتَّر بها النص** الروائي. ولذلك لا أجد حرجا في ان انتقل في التحليل من نجيب محفوظ إلى نوال السعداوي، ومن فتحي غانم إلى مجيد طوبيا.

ولو كنت مثلًا أشترط في الرواية أن تُقَدِّم لي عالما نفسيا لدراستها لكنت بدأت بروايات احسان عبد القدوس، فهو أسير الجبرية النفسية التي تحدث عنها الأخ حميد لحمداني، ولكنني في الواقع اشترط فقط توفر القيمة الفنية.

ذ.عبد الرحمن بوعلي :

مادمتم قد تحدثم عن الحرية في إطار الابداع أو الكتابة الروائية، يبدو لي أيضا أن «الحداثة» (أي الحداثة الروائية) هي تطْوِيرٌ للانفتاح الذي تحدثم عنه بصدد كلامكم عن علاقة الحرية بالابداع الروائي. فهل انتم متفقون معي في هذا الجانب ؟ وكيف تنظرون إلى قضية الحداثة الروائية ؟.

ذ.جورج طرابيشي :

أولًا أنا عندما تحدثتُ عن علاقة الحرية بالكتابة الروائية كان ذلك في إطار مناقشة الكتابة وعلاقتها بالجبرية. والصلة بين هاذين الأمرين لا تغيب عن ذهني. وأقول بصراحة إن الفنان عندما يكتب، يكتب تحت ضغط حاجة قهرية إلى الكتابة نفسها. **وكثيرا ما يكتب دون أن يعرف تماما إلى أين سينتهي، وهو يكتب**. ولذلك هناك آليات جبرية حتى في كتابة الرواية، وهذا ما يفسر وجود أشياء ضمنية وأفكار مُبطّنة تختلف عن مقاصد الكاتب الواعية. وأنا أميز دوماً بين مستويين من الوعي الاديولوجي في الرواية : **الوعي الظاهر** الذي يظنُّ الروائي أنه يكتب في إطاره. **ولغة اللاشعور** التي يمكن اكتشافها من خلال

لاستعارات والمجازات وكلّ ما يأتي عفو الخاطر في سياق الكتابة.

وفيما يتعلق بمفهوم «الحداثة» أقول : **أنا لست من مُحبي التعامل كثيرا مع هذه الكلمة،** لا لأنني ضدها، ولكن لأنك عندما تقول بها تضع نفسك مباشرة على الطرف النقيض لما يقال له «الأصالة». وأنا أيضا لا أميل إلى استخدام هذه الكلمة إطلاقاً، **لأني أرى أن المشكلة هنا إلى حد كبير زائفة،** فأنا أعتقد أن مشكلة الأصالة والحداثة هي مضيعة للوقت، ومهرب من كثير من المشكلات الواقعة. إن هذه التعابير تظل تدور على نفسها بدون أن تنتهي إلى نتيجة واضحة. ويكفي أن نستعرض النتاج النظري العربي خلال العشرين سنة الماضية فسنجد أنه يدور في الأغلب حول هذه المشكلة بدون نتيجة، إنه فعل تكراري قهري يدل على عُصاب جماعي عربي أكثر مما يدل على تفكير عربي.

وأنا شخصيا أفضل استعمال مفاهيم علمية قابلة للتحليل الكمِّي، مثل قانون «التطور المتفاوت والمُركّب» الذي أشرت إليه سابقاً، لكي أعالج نفس القضية التي تعالج بمفهومي الحداثة والأصالة، وهذا المفهوم اكثر عقلانية من المواقف الاديولوجية المتسترة خلف المفهومين السابقين، وهو ما أسميه «الاديولوجيا النفسية المضمرة» وهي أشد خطراً من جميع أشكال الاديولوجيات الأخرى النظرية.

والحداثة في رأيي ــ كما أحبَبْت أن تُسميها ــ هي أن تقدم شيئا **مُتميزاً،** وليس أن تقترض مباشرة بعض التجارب من الغرب، الا إذا كان التطور الداخلي لمسار الرواية العربية يقتضي ذلك.

ذ.حميد لحمداني :

شخصيا أوافق على كل ما قلتموه عن ترويج فكرة الحداثة والمعاصرة كقضية وقتية تُستهلك في بعض المحافل الثقافية دون أن ينتج عنها تقدم ملموس في بحث القضايا الفكرية والأدبية التي تُحشر في إطارها. إن مشكلة الحداثة في رأيي أيضا مشكلة سطحية، فكل من كانت له رغبة في الهرب من التقيد بالوضوح المنهجي في دراسة الظواهر الأدبية نراه يعتصم بفكرة الحداثة، لأنه سيجد الفرصة الكافية لأن يقول ما يريد دون أن يُحاسبَ. ومَنْ دخل معه في حوار، وقَبِلَ مبدئياً بفكرة الحداثة يضيع وإياه في متاهة لا تنتهي...

ذ.جورج طرابيشي

إلا إذا أخْضَعْت خطاب «الأصالة والمُعَاصرة» لمنهج تحليلي علمي، وليكن المنهج البنياني أو المنهج النفسي أو غيرهما. وهذا بالضبط ما آمل تحقيقه أنا بالذات خلال العام أو العامين القادمين، فقد بدأت أتخطى في دراساتي حقل الرواية لاخضاع كل الخطاب التراثي للمنهج

الفرويدي، وسأركز على أهم ممثلي الخطاب التراثي، فمثلا أنجزت القِسم المتعلق بـ «حسن حنفي»، والقسم الخاص بـ «زكي أرْسوزي» وأنا قَيْد إنجاز فصل عن «عبد الله القُصَيْمي»، وقد طَرَح قضية التراث من موقع أسميه «موقع التجديف» أي الشتم، والقدح بالتراث وهو يَسْتَخْدِمُ نفس الإواليات التي يستخدمها من يشيد بالتراث. وقد جعلت لهذه الدراسة عنواناً مؤقتاً قد أستَقِرُّ عليه أوّلا أستقر، وهو التالي : «عُصابٌ عربي جماعي» أو «عقدة التثبيت على الماضي» أو «الخطاب التراثي في الفكر العربي المعاصر». والفكرة المركزية في هذا الكتاب هي : أننا أسرى عُصاب جماعي الان على صعيد الخطاب. وأعطي مؤشراً وحداً على هذا العصاب : لم يحدث قط في تاريخ الفكر العربي منذ أن بدأ عصر النهضة إلى اليوم، أن تحدث الفكر عن الاستعمار (وأقصد بالفكر هنا الاديولوجيا السائدة على الأخص)، فلم نكن في عهد الاستعمار في حاجة لأن نجعله مفسراً ومبرراً لكل بلايانا، أما اليوم فالاستعمار ــ الذي لم يعد مباشراً ــ أصبح مفسراً ومبرراً لكل تلك البَلَايا، وقد اعتبرت هذا مؤشراً على عصابية مِثْلِ هذا الخطاب.

ذ.حميد لحمداني

أعتقد أن مثل هذا التحليل سيكون جديداً في إطار الدراسات التي كُتبت عن الفكر العربي.

ذ.جورج طرابيشي :

لعله سيكون كذلك، ولاخذ مثلا الحالة الاسرائلية ونحن نعاني ذلك في المشرق بشكل خاص. فعندما نحلل كيف «تَعَقّلَتْ» الاديولوجيا العربية السائدة الواقعةَ الاسرائلية وخصوصا ابتداءً من هزيمة 1967، نجد أن اسرائيل تُصَوَّرُ وكأنها أمٌّ «فالوسية» تملك قضيبا فتاكا قاتلا، هو التكنولوجيا متمثلًا في «الطيران» الذي هو بحدِّ ذاته حاملٌ لهذا الرمز الجنسي، وأنها قادرة بهذا الجهاز الذي اصطنعهُ لها الغرب (لأن الأم أساسا لا تملك قضيباً ذاتيا، ولذلك كثيرا ما يتكلم الخطاب العربي السائد عن إسرائيل باعتبارها مؤنثة في العبارة التالية مثلا «الاستعمار، وربيبتهُ اسرائيل».)، أقول إنها قادرة بقضيبها المصطنع ذاك أن تكون قاتلة وفتاكة، ولاسيما وأنها قَتَلَتْ أباً كبيراً هو «جمال عبد الناصر». إن اسرائيل في قرارة اللاشعور العربي، هي التي قتلت عبد الناصر، أي أن الأب الكبير قد خُصِي، وبقيت هذه التي تفتك بنا وليس لنا أمامها لا سلاح ولا قوة الا بالاستعانة ــ وهاهنا الرِّدة نحو السلفية ــ أو بايقاظ ذلك الأب المُأمْثل الأول الذي إسْمُهُ» التراث».

ذ.منيب البوريمي :

في إطار علاقة الرواية العربية بالذات أو بالخارج، أقول : اذا كانت الرواية الغربية مثلا عند بلزاك، وستاندال، وزولا إلى حدٍّ ما قد اتجهت نحو العالم الخارجي (صراع المجتمع، وحضارته)، ثم اذا كانت عند بروست قد اتجهت ـ على النقيض من ذلك ـ إلى الداخل (سبر الذات الفردية)، فهل تتجه الرواية العربية في وقتنا الراهن إلى الخارج أم إلى الداخل ؟

ذ.جورج طرابيشي

بالنسبة للحالة العربية، هناك علاقة جدلية بين البرَّانية، والجوانية. بدأت الرواية الأوربية بـ «روبانسان كروزو»؛ ذلك الفرد الذي انتهى إلى جزيرة، وابتداءً منها أعاد بناء العالم أو الحضارة. والرواية العربية لم تبدأ من نفس هذه البداية، بدأت من «جمعة Vendredi» ذلك المواطن الأصلي الذي التقى به «كروزو» في الجزيرة واستخدمه. بمعنى أن هوية بطل الرواية العربية ليست ذاتية بقدر ما هي متحدِّدة بـ «كروزو» ذلك المُعمِّر الذي أعاد اكتشاف هذا المواطن الأصلي (indigène). وبحكم أن لنا ـ كعرف ـ حضارة عريقة فإن البطل الروائي ليس هو «جمعة» مئة بالمائة، فهو بطل يتأرجح موقفه بين أن يكون «جمعة ـ كروزو»، وجمعة ذي الأصول الممتدة في التاريخ. وقد عبَّرت الرواية العربية الواقعية التي كان يطغى فيها الحسُّ المكاني عن البطل ذي البعد الواحد الخاضع كل الخضوع لمسارات البيئة التي يعيش فيها، ينفعل بها ولا يَفْعَل فيها. وعندما جاءت اللحظة الناصرية انتقل الفرد العربي من مجال الانفعال بالتاريخ إلى مجال القدرة على أخذ المبادرة والتغيير وانعكس ذلك حتى على روايات نجيب محفوظ فانتقل من تصوير البطل المتعين ببيئته إلى بطل متحرر من البيئة وقادر على الحركة والفعل، ولم يطل ذلك ؛ فمع هزيمة 67 وقفْنا أمام متافيزيقا كبرى تسحقنا اي أمام جبرية وتمزق رغم امتلاكنا للوعي الذاتي. لذلك هناك جدلية في الرواية العربية منفتحة على الداخل والخارج على السَّواء. وأعطي هنا المثال بروايات عبد الرحمن منيف، حيث احتدامُ الصراع بين الذاتي والخارجي مع عَوْدَة الشُّعور باللافعل.

ذ.سعيد يقطين :

عندما نتحدث عن الرواية العربية يتجه الذهن دائما إلى مصر، إلى سوريا، إلى لبنان. لكن أين موقع الرواية المغربية، وما هي صلة الاستاذ جورج بها وما مدى معرفته بها. وكذلك ما علاقتَه بالنقد الروائي المغربي..

ذ.جورج طرابيشي

شخصيا عندما أتحدث عن الرواية العربية يذهب ذهني إلى مصر، وليس إلى سوريا أو لبنان. فرغم وجود «حنا مينة» مثلًا في سوريا فهو لم يصل إلى درجة التمكن من التقنية الروائية، واعتقد أن موهبته أكبر من قدرته، ففي الوقت الذي يدلل فيه على موهبة كبيرة يدلل ــ في نفس الوقت على الصعيد التقني ــ على نوع من الأمية أحيانا. مثلا ففي روايته : «حكاية بحار» يبدو عمر البطل في أحسن الأحوال لا يتجاوز 14 سنة، ومع ذلك يتصرف كرجل في الخمسين، وهذا يؤدي إلى اختلاط الكاتب مباشرة مع البطل. ولبنان أيضا ــ بصراحة ــ لم ينتج روائيا كبيرا.

أما في المغرب فهناك تأخر في الاتصال بالفن الروائي. ولم تظهر النماذج الروائية حتى مع بداية الاستقلال. والنماذج القليلة التي اتيح لي الاطلاع عليها من الرواية المغربية، وأخص بالذكر هنا محمد شكري، ورواية مبارك ربيع «بدر زمانه» وروايات «زفزاف»، أقدّر فيها ــ شيئا لم تنجح فيه الرواية المصرية؛ فاذا كانت الرواية المصرية «محتشمة Pudique» ولم تجرؤ على فتح الأبواب التي فتحتها الرواية المغربية، فإن الرواية المغربية فعلت ذلك مثلا على يد «شكري». وأفسر هذا بقرب الروائيين المغاربة من الغرب جغرافيا واحتضان الغرب نفسه لبعض النماذج. وأنا أثمِّنُ عاليا هذه النماذج والمحاولات، التي نزعت صفة الاحتشام، لأن هذا بالضبط هو أحد نواقص الرواية العربية في المشرق. إن كثيرا من كُتَّاب الثورة الفرنسية مارسوا هذه الحرية، وكتبوا روايات «إروسية»، لماذا ؟ لأن الجنس بالمعنى الايروسي للكلمة هو عامل هدم للواقع الكائن، وقد وُظِّف من طرف كتاب الثورة الفرنسية لهذا الغرض. ويمكن توظيفه في الرواية العربية بشكل خاص لهدم كثير من المُتَوَارَثَات.

ذ.حميد لحميداني :

إذن باعتباركم تُثَمِّنُون الأدب «غير المحتشم» فهل يعني هذا ــ وهنا المفارقة ــ أنه يمتلك وظيفة أخلاقية ؟

ذ.جورج طرابيشي :

هذا ما أردتُ أن أقول بالضبط، إنه أيضا يقوم بوظيفة ثورية لأن الجنس يمتلك طاقة تحريرية، خصوصا في مجتمع ما يزال محكوما بالاديولوجية الأبوية كمجتمعنا. **فتحرير طاقة الجنس قد يكون أحد المنافذ لتحرير العقل.**

ذ.حميد لحمداني :

عندي سؤال خاص. بحكم اهتمامي بأعمالكم وأعمال كثير من نقاد الرواية في إطار تحضير رسالة الدكتوراه، فقد لاحظت تفاوتاً في تحليلكم للنصوص الروائية التي درستم، خاصة في كتابكم «عقدة أوديب في الرواية العربية» فَتَارةً تُرَكِّزُون على المبدع وتغيبون النص، وأخرى تركزون على النص، وتغيبون المبدع. أقول هذا لأنني أسجل أيضاً كيف أنكم وَجَّهْتُم في مقدمة الكتاب انتقاداً شديدا لفرويد ـــ وقَدْ وَرَد هذا الانتقاد على لسانكم فيما سبق من هذا الحوار نفسه ـــ لأنه كان محللا نفسيا سَرِيرياً، ولم يكن ناقداً. ففي الجزء الأول الذي تناولتم فيه المازني، وتوفيق الحكيم، جعلتم النصوص الروائية جانبا، ورجعتم إلى نصوص أخرى تبحثون فيها عما يؤيد الحالات المرضية النفسية السريرية التي كان يعانيها هاذان الكاتبان. وصحيح أنكم في النصف الثاني من الكتاب وخاصة عند دراستكم لبعض أعمال أمينة السعيد، وسهيل ادريس تَخَلَّصْتُم تماما من الورطة التي اعْتَقَدْتم أن فرويد وقع فيها، إلى حد أنني سجَّلتُ ملاحظة بأنكم كنتم ملتزمين في هذا الجانب بدراسة البنية الروائية وحدها، بمعنى أن نزوعكم هنا كان بنيويا، هذا بغض النظر عن الرجوع إلى معلومات علم النفس والتحليل النفسي، لكن دون الرجوع إلى نفسية ولا شعور المبدع. فكيف تفسرون هذا التفاوت في مستويي تطبيق التحليل النفسي على الرواية ؟

ذ.جورج طرابيشي :

هذا السؤال يمكن الاجابة عنه من زاويتين :

زاوية عامة، وهي «أن عقدة أوديب في الرواية العربية» كان هو أول كتاب لي على طريق تطبيق التحليل النفسي. ودائما تكون المحاولة الأولى في تطبيق أي منهج موسومة بالخضوع أكثر منها بالتحرر، وحتى ضمن الكتاب الواحد ستُلاحِظُ هذا الاتجاه من الخضوع إلى التحرر، فقدرة الناقد على المداورة والتمرس تزداد مع الممارسة حتى على صفحات الكتاب الواحد. لذلك أوقول، كُنْتُ اكثر حرية في التعامل مع سهيل ادريس مني في التعامل مع المازني.

الزاوية الثانية أنني، فيما يتعلق بالمازني، وتوفيق الحكيم، أَبَحْتُ لنفسي الرجوع إلى نصوص خارج النص الروائي، طالما أنها كُتبت من قِبَلِهما، حول حياتهما الشخصية، وهذا ـــ في نظري ـــ حق مشروع للناقد.

ذ.حميد لحمداني :

ذ.جورج طرابيشي كيف ترون مستقبل النقد العربي على ضوء المعطيات الحالية ؟

ذ.جورج طرابيشي :

إن ما هو مؤلم حقّاً، هو أنني اشعر بأن النقد العربي في تراجع. فعندما نستعرض الحركة النقدية، قبل الحرب العالمية الثانية، وبعدها، وصولا إلى الستينات، ونستعرض بعض الأسماء، من مندور إلى علي الراعي، إلى محمود أمين العالم، نلاحظ اسهاما كبيرا في إطار النقد الأدبي مُواكباً لتطور الابداع الأدبي، في حين نلاحظ نوعاً من الانقطاع بين الابداع وقدرة ملاحقة النقد له، رغم كثرةَ النقاد عن السابق. ويراودني احساس اليوم بأن القارىء يكتشف الكاتب (المبدع) عن غير طريق الناقد. فسلطة الناقد، تلك الموجودة مثلا في الغرب، والتي لا يمكن للقارىء أن يتجاوزها، ليس لها حضورٌ فعلي الآن في العالم العربي، والسبب ليس راجعا إلى أن القارىء لم يعد له استعداد للاعتراف بالناقد ولكن لأن الناقد ضل طريقه إلى القارىء ولم يعد يحظى بمصداقيته. وذلك لسبب بسيط ــ ولعل ذلك ينطبق علي لست أدري ــ ؛ فكثيرا ما قرأت دراسات، أو كتبا نقدية تقع أحياناً في حدود 500 صفحة ــ بالامس فقط كنت أطلع على كتاب من هذا الحجم في النقد الروائي صادر عام 1975 ــ يَتَحَدَّثُ عن روايات، لي إطلاعٌ بها. قرأت عشرات الصفحات دون أن أشعر برابط بين الذي يُكْتَبُ وبين الروايات التي أعرفها. **فكثيرٌ من النقاد يكتبون ــ في النقد ــ عن أشياء لا علاقة لها بهذا المجال.**

ذ.منيب البوريمي :

أريد أن أطرح عليكم سؤالا شخصيا، هل جربتُم كتابة الرواية ؟

ذ.جورج طرابيشي :

لعلي أبوح بسر من الأسرار، حينما أقول بأني جربت كتابة الرواية قبل أن أصير ناقداً، ويقال عادة إن كُلّ ناقِدِ رواية، هو روائيٌّ فاشل، ويبدو أنني كذلك. ولكن مع الأسف، لو كنت أملك النص الذي كَتَبْتُه وكان عمري آنئذ 16 سنة، لتبين أنه كان جيداً بالقياس إلى ما يُكتب حاليا. وأقول ــ وربما اكاشفُ هنا بسرٍّ آخر ــ أنه كان نصّاً روائياً على درجة كبيرة من «الايروسية».

ذ.حميد لحمداني :

نشكر ذ.جورج طرابيشي على هذا الحوار الممتع، والمتعدد الاختصاصات، ونتمنى أن

يبقى لقاؤه مع مجلة «**دراسات سيميائية أدبية لسانية**» دائما، سواء عن طريق المراسلة أو الاشتراك في المجلة بأبحاثه القيمة، كما نشكر الزملاء الأساتذة الذين ساهموا معنا في هذا الحوار واغنوه بأسئلتهم الوجيهة. ونرحبُ بهم على الدوام.

ذ.جورج طرابيشي

أنا حريص أن أبدي أيضاً شكري لأن هذه كانت فُرْصَةً متاحة لي لكي أعالج كثيرا من المشكلات في ميدان المناهج النقدية، وأقول إن هذه الفرصة نادراً ما أتيحت لي، فأنا أقدر هذا الجانب بشكل خاص، لأن هذه الطاولة المستديرة التي جمعتنا ضمن «مجلة دراسات سميائية أدبية لسانية» فتحت لي مجالا قد لا يكون هو مجال اختصاص المجلة ذاتها بحكم توجهها السميائي، مما يدل على أنكم حريصون على إقامة حوار بناء مع مناهج أخرى، وهذا سيجعلني انفتح على جمهور ربما لا يكون هو نفس الجمهور الذي أخاطبه بكتبي النقدية. فأشكر للمجلة هذه المبادرة الطيبة.

ذ.حميد لحمداني :

أذكر في هذا المجال أن السميائيات الحديثة قامت أساساً على ركيزة المزاوجة بين المناهج النقدية المعروفة : بلاغية، لسانية اجتماعية ـــ نفسية، فالسميائيات تنظر إلى الأدب باعتباره دلائل سوسيونفسية وبنيوية في نفس الوقت، وهذا راجع إلى ادراك الطبيعة المتميزة للأدب، وهي أنه ذو أبعاد ثلاثة بُعْد النص، وبعد المبدع، وبعد الحقل الاجتماعي والثقافي. لذلك أطمئن الاستاذ جورج طرابيشي بأن مجال اهتمامه الخاص يقع أيضا في مركز اهتمام المجلة.

أجْرِيَ الحوار بالرباط يوم 30/أكتوبر 1987

علم النفس التجريبي وبنية النص الأدبي

استرجاع البنية القصصية(*)

ميشال فايول

ترجمة وتقديم : **حميد لحمداني**

كلية الآداب ــ فاس

تقديم :

إن أغلب الدراسات السيكولوجية التي اهتمت بالأدب ظلت حتى الآن تُركز عملها على العوامل النفسية التي تُكيِّف ذات المبدع، وتساهم في إبداع نتاجه الأدبي، سواء تم ذلك في إطار علم النفس العام أم في إطار فرع أساسي من فروع علم النفس وهو التحليل النفسي، حتى إنه كان من المآخذ الأساسية التي واجهها فرويد (Freud) بشكل خاص : إهْمَالُهُ النصَّ الأدبي والإنشغال عوض ذلك بالحالة المَرَضية للمبدع.

غير أن الدراسة المتفحصة لمستويات تطبيق التحليل النفسي ذاته على الأعمال الأدبية ــ وخصوصا القصصية والمسرحية ــ في نتاج فرويد النقدي، بإمكانها أن تُظهر إلى أي حد تمَّ التحامل على فرويد؛ إذ نُظرَ إلى جميع أعماله في هذا المجال وكأنها تامة التجانس، في الوقت الذي نجد فيه «فرويد» نفسه يمارس ــ عملياً ــ نمطين. من التحليل للأعمال القصصية والمسرحية والفنية أيضا :

أ ــ تحليلٌ يهتم أساسا بالمبدع، ويبحث في خبايا لاشعوره عن العُقَد التي ساهمت في صياغة عمله الإبداعي. وفي هذا الإطار تندرج أبحاثُه عن دوستويفسكي، وشكسبير، وليونار دافنتشي.

(*) العنوان الأصلي لهذا الفصل المترجم هو : «المقاربة التجريبية في علم النفس» وقد آثرنا تغييرَهُ بالعنوان أعلاه حتى يكون أكثر دلالة على المضمون الحقيقي للفصل، وهو الاهتمام ببنية الفن القصصي، والفصل المترجم مأخوذ مأخوذ من كتاب ميشال فايول Michel Fayol
«Le récit et sa construction une approche de Psychologie cognitive.n éd Neuchâtel. Paris 1985.
والعنوان الذي وضعناه هنا يستفيد بصورة واضحة من عنوان الكتاب نفسه.

ب ــ تحليلي يهتم بالنص الأدبي القصصي، وبالشخصية القصصية دون الرجوع إلى المبدع. وفي هذا التحليل تُصْبِحُ لغة النص هي المرجع الوحيد مع تدخل فرضيات التحليل النفسي بالطبع وتعتبر دراسة فرويد لرواية «غراديفا» نموذجا متميِّزاً في هذا المجال.

على أن فرويد تحدَّث كثيرا عن نمط ثالث، غير أنه لم يقدم عنه تطبيقا عمليا، وبقيت ملاحظاتُه محصورة في الجانب النظري، وهذا النمط يقضي بضرورة الاهتمام بالأثر الذي يُحدثه النص في المتلقي. ومشروع فرويد هنا لا يخرج عن نطاق دور البنية اللاّشعورية في تحريك فعاليات الإبداع عند المبدع، ذلك أن العملية تجري عند المتلقي بطريقة عكسية لأن الإبداع في هذه اللحظة هو الذي يحرك ــ بما يثيره من متعة في القارىء ــ كوامن اللاشعور عند المتلقي.

إن موقع المقال الذي نترجمه الآن إلى العربية ــ وان كان ينحصر دائماً في إطار علاقة المتلقي بالنص القصصي ــ لا يتناول على الإطلاق التفاعل اللاّشعوري للمتلقي مع النص بل يدرس النشاط الذهني المتصل بعملية التذكر، ذلك الَّذي يُولِّدُهُ فِعْلُ القراءة أو الاستماع إلى نص قصصي معين. ومن الطبيع أن ينتمي هذا النوع من البحث إلى ميدان علم النفس التجريبي الذي يشهد في وقتنا الحالي آزدهارا كبيراً، لارتباطه بالإعلاميات المعاصرة، وبمفهوم «الذكاء الاصطناعي».

إن التجارب المعروضة في هذه الدراسة تؤكد بما لايدع مجالاً للشك أنَّ التَّوصُّل إلى بعض المفاهيم، والحقائق المرتبطة بطبيعة البنية القصصية، يمكن أن يتم عبر طرق، وزوايا آهتمام مختلفة، بل وعبر حقول معرفية متباينة.

فالمعروف أن الدراسات الشكلانية، والبنائية توصلت بآستفادتها من اللسانيات بشكل خاص ومن المنطق، إلى ضبط بعض البنيات المجردة المتحكمة في عملية القص، سواء على مستوى التركيب أم على مستوى الدلالة، وسيلاحظ القارىء أن الدراسة التي نُقدمها هنا تتوسل بالتجارب التي أجريت في حقل علم النفس التجريبي المطبق على عمليات التذكر، وإعادة تنظيم نُصوصٍ قصصية من أجل الوصول إلى نفس الغاية. والخلاصات المهمة التي يمكن استنتاجاتها هي التالية :

* إن النص القصصي يمتلك بنية مجردة أساسية يشترك في إدراكها، واختزانها جميع القراء أو المستمعين.

* إن النص القصصي بسبب ذلك يحتوي على بنيات ووحدات أساية من جهة، كما يحتوي على عناصر معرَّضة دائما للتحريف أو التبديل من طرف القراء.

* إن النص القصصي لا يُدركُ أبداً في ذاته ولأجل ذاته، بل إن عناصر التجربة السابقة للذات المتلقية تتدخل من أجل إعادة تنظيم عناصره وإدماج عناصر جديدة بينها.

* وعملية الإدماج هاته وما يلازمها من **تنظيم** لمختلف العناصر (عناصر الخبرة السابقة للذات، وعناصر النص) هي ما أطْلَقَ عليه الباحث «بارليت Barlett» مفهوم «**الخُطاطة**» (Schéma).

* على أن من أهم النتائج المحصل عليها في هذا الإطار أيضا هي أن الأشخاص يُقحِمُونَ **رغباتهم الخاصة** في كل عملية استذكار لنص قصصي سبق الاطلاع عليه؛ وقد يحدث هذا أيضا حتى أثناء عملية القراءة نفسها، إذ يحاول الفرد ــ حسب تعبير ميشال فايول ــ «أن يقيم علاقة بين عناصر المنبِّه (يقصد النص القصصي) ورغباته الخاصة». وهذا يعني أن عملية القراءة لا تتم أبدا بصورة بريئة.

إن القضايا التي يثيرها هذا البحث إنما تشير في الواقع إلى الأبحاث، والتساؤلات التمهيدية التي أُجريت قصد محاولة ضبط العمليات التي يُجريها دماغ الإنسان، وهو يحاول إعادة إعطاء نص قصصي سبق التعرف عليه من قبل. ومع أن البحث هنا منصبٌّ على عملية التذكر إلاَّ أنه في الواقع يلامس جميع الفعاليات العقلية التي تساهم في علمية إعادة تنظيم المعرفة ببنية قصصية ما سبق التعرف عليها.

إن تطوير المعرفة في هذا الاتجاه من طرف علماء النفس التجريبيين يهدف إلى ضبط تعامل الإنسان مع النصوص الأدبية، وهي هنا النصوص القصصية، دون إغفال دور هذه النصوص ذاتها في عملية استيعاب الذوات لها، وإعادة إدراجها في نظام جديد. ومن شأن هذا الضبط أن يُسهل قيام علم بمعرفة النصوصة القصصية وطرق آستيعابها من طرف المتلقين. ولعل هذا الجانب الأخير سيفيد كثيرا المهتمين بنقد النقد، وبدارسة كيفية الحكم على النصوص الإبداعية وفهمها وتأويلها.

إن القارىء المهتم بالأدب والنقد الأدبي يمكنه أن يدرك أهمية الأبعاد التي يحملها هذا المقال الذي يقدم معرفة باستذكار النص القصصي وبنيته، وطريقة استيعاب عناصره ودلالاته، ولكن من منظور غير المهتمين بالنقد الأدبي بل بالمعرفة السيكولوجية المتصلة بالإبداع الأدبي، وطريقة تلقيه.

النص المترجم

في سنة 1932 نشر بارليت (Barlett) كِتابه «Remenbering» وهو مُؤَلَّف انتقد فيه المناهج المستخدمة عند مُعاصريه في دراسة الذاكرة. ورأى على الخصوص بأن لوائح المقاطع الخالية من المعنى ــ تلك التي اعتمدها إبنغوز Ebbinghaus في تجاربه ــ تُحدِث لدى الذوات [المجرب عليهم] فيضاً من التداعيات (associations) تختلف قوتها من فرد إلى آخر، تداعياتٍ أكثرَ من تلك التي تَحدُث بواسطة الكلمات اللغوية (ص : 3) واقترح تبعاً لذلك إجراء بحوث تخص شروط ووظائف عملية الاستذكار اعتماداً على مواد «طبيعية» رسوم، صور، قصص.

ويمكن بالتأكيد أن يَعْتَرِضَ تَجريبيٌّ ما ـــ مُستنداً إلى سبب صائب ـــ على الإجراءات المستخدمة من طرف بارليت. فهو لا يفحصُ بعناية بالغة شروط جمع المعطيات. غير أن أهمية عمله ـــ الذي ظل على أوسع نطاق مدة أربعين سنة دون تقدير ـــ تَكْمُنُ في إدخاله «أنموذجا علمياً» جديداً : هو دراسة مفهوم : «الخطاطة Schéma» الذي أصبحت له شهرة كبيرة خلال السبعينات.

I ـــ أعمال بارليت Barlett

يهتم بارليت، بصورة بالغة، بالمظاهر السيكولوجية للذاكرة أكثر مما يهتم بالمشاكل التي تُعتبر حاليا آتية من سيكولوجيا المعرفة، وهذا يفسر جزئيا المناهج التي يَسْتخدِمُها، وهي تلك التي آستخدِمت فيما بعد من أجل الدراسة التجريبية للشائعات.

إنه يَرجِعُ أساسا إلى إجراءين؛ يُقدِّم في الأول منهما إلى ذات منفردة قصَّةً ما، هي قصة : «حرب الأشباح» ويَطلُبُ منها أن تقرأها مرتين، وعندما تتم القراءة يَطلُب آسترجاع القصة بعد مُهلة خمس عشرة دقيقة، كَمَا تُطْلَبُ آسترجاعاتٌ أخرى بفوارق زمنية متغيرة كثيراً أو قليلاً، ومتباعدة حسب [طبيعة] الأفراد : (ثمانية أيام، ثلاثة أشهر..) ويَعْتَقِدُ أن باستطاعته هكذا أن يكتشف التغيرات الحادثة بانتظام في مادة ما بفعل الاستذكار الذي يحدثُ أحيانا بعد وقت طويل من زمن التعرض للمنبِّه.

ويعمل الإجراء الثاني على تحريك استذكارات متكررة ولكن مع عملية نقل للقصة من فرد إلى آخر. والغاية من هذا هي بالطبع دراسة التحولات الحادثة بانتظام في نص أصلي أثناء عمليات التواصل المتتابعة. غير أن النتائجَ المحصل عليها هنا لا تهمنا كثيراً بقدر ما تهمنا المعطيات المتجمِّعة بواسطة المنهج الأول. وسنحرص كذلك على [تقديم] عرض مختصر للميول التي يَعتقِدُ أنه كشف عنها بفضل هذا المنهج.

إن القصة المعروضة تحتوي على خصائص متميزة كان لها الدور في اختيار القصة نفسها من طرف بارليت، إنها أولاً قصة تَروي أحداثا تجري في وسط ثقافي واجتماعي يختلف كثيرا عن الوسط الثقافي والاجتماعي للأشخاص الخاضعين لاختبارات الاستذكار، وذلك حتى يصبح في الإمكان ـــ حسب رأي بارليت ـــ دراسة الكيفية التي تنتقل بها قصةٌ ما من جماعة اجتماعية إلى أخرى. وإضافة إلى ذلك فالوقائع الموصوفة في القصة ليس لها مع بعضها البعض علاقات شديدة القوة. وأخيراً فالقصة تنتهي بعنصر خارق :

«هناك شيءٌ ما أسود اللون يخرجُ من فم «البطل»، وعلى هذا فالتأويل هنا يهم «بارليت».

ونُقدِّمُ بعد قليل القصَّة ـــ مُتَرْجَمةً عن الإنجليزية ـــ تلك القصة التي استخدمها بارليت. كما نقدم استذكاراً لها قدمه واحد من الأشخاص [الخاضعين للاختبار] بعد مهلة أربعة أشهر (انظر النص الأول، والنص الثاني). ونلاحظ بأن تحولات مهمة قد لحقت القصة الأصلية،

كما أنها جاءت شديدة الاختصار. وقد صرح الشخص بأنه لم يعد يحتفظ بأي فكرة عن العنوان مع أنه يحتوي على قيمة تحريضية كبيرة، كما غابت أجزاء كاملة عن القصة، مع العلم أن الأمر هنا لا يتعلق إلا بمثال واحد من بين أمثلة أخرى.

* * *

[النص الأصلي] 1

حرب الأشباح بترجمة بارليت [عن الانجليزية].

«نزل في إحدى الليالي شابّان من «إغولاك» إلى النهر قَصْد اصطياد الفقْمةِ. وبينما هما كذلك إذ أصبح الجو مُضَبَّباً وهادئاً، وبعد ذلك سمعا صياحا من نوع صياح الحرب، وفكرا : «إنها معركة بلا شك». وفرَّا من الشاطيء واختبآ خلف جذلِ(*) شجرة. عندئذ ظهرت زوارق نهرية، وسمعا وشوشة، ولمحا زورقاً يتقدم في اتجاههما. كان فيه خمسة رجال. قالوا لهما :

ماذا تظنان ؟! إنا نريد أن نَصْحَبَكُمَا معنا، سنصعد النهر لنحارب الناس هناك.»

قال أحد الشابين : «ليس معي نِبالٌ»

قال الرجال : «النبال موجودةٌ في الزورق»

— «لن أذهب، قد أكون عرضة للموت. وأسرتي لا تعلم أين ذَهبْتُ. وٱلتَفَت إلى الشاب الآخر وقال : أما أنت فيمكنك أن تذهب معَهُم».

وهكذا ذهب معهم أحد الشابين، بينما رجع الآخر إلى منزله. وصعد المحاربون النهر حتى وصلوا إلى مدينة في الجانب الآخر من «كَلاَمَا».

نَزل أناس إلى النهر وبدأوا يتحاربون، ومات الكثير. غير أنه في لحظة ما سمع الشَّابُ أحد المحاربين يقول : «بسرعة، فلنرجع من حيث أتينا. لقد أصيب هذا «الهندي الأحمر». وفكر الشاب : «أوه» إن هؤلاء أشباحٌ.» فهو لا يشعُرُ بألم، ومع ذلك فهم يقولون بأنه قد أصيب. عندئذ رجَعَت الزوارقُ إلى «إغولاك». ووصل الشاب إلى منزله عبر الشاطىء وأشعل ناراً، وحكى للجميع ماوقع، وقال : «انظروا : لقد صحِبتُ الأشباح، وذهبنا لنحارب وقد مات منا عدد كبير، ومات من مُهَاجِمِينا الكثيرُ. لقد قالوا بأني قد أُصبتُ غير أني لم أشعر بأي ألم».

حكى كل شيء وأصبح هادئاً. وعند طلوع الشمس خَرَّ إلى الأرض. كان شيءٌ أسود يخرج من فمه، أما وجهه فَقد تشنج، وقام الناس صائحين : لقد فارق الحياة.»

* * *

(*) الجذل : هو ما تبقى من جذع شجرة يابسة (المترجم)

القصة كما تم استذكارها بعد أربعة أشهر 2

« لم تعد لي أية فكرة عن عنوان القصة.

كان هناك رجلان وسط قارب يصيدان في اتجاه جزيرة. وعندما اقتربا منها تقدم نحوهما بعض الأهالي مسرعين وأخبروهما بأن حرباً تجري في الجزيرة وعرضوا عليهما أن ينضما إليهم، قال أحد الرجلين للآخر، «إنه بوسعك أنت أن تذهب إلى المعركة. أما أنا فلا أستطيع لأن أسرتي تنتظرني، وهي لا تعلم ما جرى لي. أما أنت فلا أحد ينتظرك» وهكذا صحب أحد الرجلين الأهالي بينما رجع الثاني إلى منزله.

وهنا يوجد جزء من القصة لا أتذكره. ومالا أعلمه هو كيف ذهب الرجل إلى المعركة. وعلى كل حال، وكيف ما كان الأمر، فإن الرجل كان في وسط المعركة،ــ ثم إنه جُرح. وحاول الأهالي إقناعه بالرجوع، ولكنه أكد بأنه لم يُجْرح.

ويخيل إلي بأن معركته لقيت إعجاب الأهالي. وانتهى الرجل الجريح بأن دخل في غيبوبة ونُقِلَ من المعركة من طرف الأهالي.

وبعد هذا أعتقد أن القصة جرت هكذا : فقد وصف الأهالي ماجرى، وخيِّل إليهم أنهم رأوا شبحاً يخرج من فم الرجل. حقا إنه نوع من التجسيد لِنَفَسِه.

وأنا أعلم بأن هذه الجملة لم تكن موجودة بالقصة، غير أنها الفكرةُ التي أملِكُها. وأخيراً فارق الرجل الحياة في فجر اليوم التالي.»

* * *

حاول بارليت، انطلاقا من تحليل المتن الذي تجمَّع لديه أن يكتشف المقولات الكبرى للتغييرات التي أوقعها الأشخاصُ على النص الأصلي. ويمكننا أن نلاحظ ــ حسب رأيه ــ الظواهر التالية، وهي صالحة بالنسبة للقصص الثمانية التي آستخدمها في تجاربه.

أ ــ إن الشكل الحرفي للقصة يتَضَرَّرُ بعمق أثناء الاستذراكات وهو لا يُعْطَى ــ عمليا ــ مرة ثانية أبداً. ومع أن الذوات يكون لها ردُّ فعل تجاه الشكل القصصي أثناء الاستماع إليه أو قراءته، فإن أسلوب السرد لا يُحتفظ به عند إعادة القصة. والأمر ينسحب أيضا حتى على أسماء الأعلام وعلى التفاصيل (ولكن كيف يمكن تحديد كل هذا ؟).

ب ــ وفي المقابل، فإن الحبكة العامة للقصة تبقى دائمةَ الحضور، بل إنها تميل إلى أن تُقَوْلِبَ نفسها Se stéréotyper بصورة بالغة أثناء إعادة القصة بشكل متتابع ومتواتر. وعندما يقل التتابع والتواتر، ويتضاعف الفارق الزمني نتبين بعض التبسيطات والحذف.

ج ــ إن إعادة بناء الشكل الحرفي، وإلغاء «التفاصيل» وتنظيم مادة البناء القصصي حول

حبكة عامة، كل هذا يؤدي إلى كثير من التشكيلات، تتمظهر على الخصوص من خلال ظاهرتين.

ج 1) **الإدماج الفعال** لكل المعلومات التي تُعطى للشخص في [مضمار] «معارفه» الخاصة، **فأثناء الاستماع أو قراءة القصة وحتى بعد هذا أيضاً، يحاول الفرد أن يقيم علاقة بين عناصر المنبه، ورغباته الخاصة**(*) **وهكذا، وانطلاقا من بعض الوقائع اللاّمعة** في النص، يقوم الفرد بإعادة التنظيم مُدمجاً بعض الروابط التي ليس لها حضور في النص.

ج 2) القيام بعَقْلَنَةٍ تهدف إلى جعل مادة بناء القصة مقبولة ومفهومة، ومُبَنْينة، **وذلك بحذف التفاصيل والمعطايت التي يصعُب إدماجها، وينتج عن هذا انسجام مُضاعف للاسترجاعات**(*). **إن الحبكة تجد نفسها مجردة من العناصر التي ليست لها بها علاقة مباشرة، وتصبح بالإضافة إلى ذلك موضوعاً لنظام جديد يميل إلى تقوية الروابط المنطقية أو السببية**(1).

هناك مِثالان يُبرزَان هاذين الاتجاهين العامين : فبالنسبة لبعض الأُشخاص، يبدو أن هناك تناقضاً بين الجو المُدرج في بداية القصة : «ليلة هادئة ومُضببة»، وبين الطابع العنيف للأحداث المروية : «المعركة ثم موت «البطل». وينتج عن هذا تغيرات مهمة في الاسترجاعات؛ فإما أن يختفي «الإطار» بشكل تام أو يتم جعله متلائما بشكل نسبي مع الوقائع. وفي هذه الحالة الأخيرة يُصوِّرُهُ الأشخاص [المجرَّبُ عليهم] بأنه جوٌّ به «رطوبة» «مع رذاذ» أو «برد» و «ضباب كثيف». لدينا هنا إذن «حذف» للتفاصيل متبوعاً ــ عند البعض ــ بإدماج معلومات جديدة (تطفُّل) منسجمة مع الجو العام للقصة. ومن هنا تأتي تقوية طابع الانسجام.

وللمثال الثاني صلة بالعلاقات الموجودة بين أجزاء القصة، فهذه الأجزاء تَظْهرُ ــ كما يؤكد بارليت ــ سقيمة في نطاق عدم وجود أي علامة على مستوى السطح توضحها. والحالة أن الأشخاص يميلون إلى تعويض هذه النواقص بإدخال روابط وتعليلات لأنماط السلوك، كهذه :

«فأحد الشابين قال بأنه لن يذهب **مادامت** عائلته لم تكن تعلم أين كان يوجد.».

ــ (...) عندما رجع الشاب إلى منزله أشعل ناراً **وذلك دون شك لكي يهيء فطوره.**»

(*) خطوط التشديد من وضعنا (المترجم).

(1) عثر بيوغراند وميللر (1980) على ظاهرة من نفس النمط واستخلصا من ذلك ما يلي : «إنه يبدو أن أسمى أهداف الناس تكمن في الاحتفاظ بالارتباط والتماسك في عالم القصة. ويضيفون أشياء إلى المادة المعروضة أو يحورونها بصفة ملائمة كلما دعت هذه المقاييس إلى ذلك». غير أن الوقائع المطابقة تبقى نسبيا غير مدروسة جيداً. وهذا بسبب الصعوبات التي تواجه المرء في وضع معايير قابلة للاستغال في ظروف معينة ولها ميزة قابلية الاستخدام من جديد.

هنا أيضا نلاحظ إضافات لبعض العناصر التي تقوي الانسجام الداخلي للوقائع أو تجعلها في توافق مع معرفة العالم عند الذوات(*)

إن مجموع هذه الظواهر يمكن تفسيرها إذا أخذنا بعين الاعتبار بأنه منذ بداية معالجة القصص من طرف الأشخاص المعنيّين، فإنهم يصدرون في ذلك عن عملية تنظيم شديدة العمومية، هي التي تهيمن فورا على النص وتستمر أثناء الاسترجاعات المتلاحقة : إن علمية التنظيم هذه هي ما يمكن تسميته بـ : «الخطاطة» («Schema») على أنه من الأكيد أن بارليت لايحبُّ أبدا هذا المصطلح : (I strongly dislike the term «Schema») (نفسه ص : 200 ــ 201) الذي يعيبُ طابعه الغامض والموجز («Sketchy»). ومع ذلك فإنه آنْقاد إلى آستعماله مُعرِّفاً إياه كـ «عملية تنظيم فعالة لمختلف ردود الفعل الماضية أو للتجارب السابقة، تلك التي ينبغي دائما افتراضُ تداخلها في أي إجابة عضوية وبالغة التكيف» (نفسه ص 201). ففي كل سلوك سوي لا تكون أي إجابة خاصَّة مُمكنة إلاَّ في نطاق كونها موجودة في ارتباط مع إجاباتٍ مماثلة لها، بحيث تؤلف معها كلاًّ واحداً.

إن مفهوم «الخطاطة» هذا يغطي بالفعل فئتين كبيرتين من الوقائع يَصْعُبُ للأسف فصلهما فهناك من جهة تلك التي تتصل بنظام عام مُلازم للقصة ومشترك بين جميع الأفراد (أي الذات الإبستيمولوجية، إذا نحن تبنينا مصطلح بياجي)، ومن جهة أخرى كل ماله صلة بالتجربة السابقة لشخصية متميزة، ويحدد اختيار بعض العناصر اللاّمعة، كما يحدد التدخلات الموضوعاتية والمزاجية.

والحالة هذه، أن هاذين المظهرين لم يكونا موضوعاً لإجراء بحوث متكافئة العدد، كما سيتبين لنا فيما بعد. فالمظهر الأول على الخصوص هو الذي حظي باهتمام الباحثين غير أنه قبل أن نعالج بتفصيل هذه النقطة، فإنه من المناسب أن نتساءل عن مصير الأبعاد الأخرى التي رسمها «بارليت». إنه في الواقع ــ وقد أشرنا إلى هذا الأمر ــ آستُخْدَم بعض المناهج، التي من أجل أن تستعيد بعض التجارب، تُغفل عن مراقبة بعض المتغيرات بدقة. ثم إن أغلب الأفكار التي قدمها لا تعدو أن تكون فرضيات مبتكرة، مما آستدعى تناوُلها حديثا، مع انشغالٍ بمسألة الإثبات التجريبي الدقيق.

II ــ التدخلات الموضوعاتية وآستحضار الصور

لنُذكّر بأن أيّ قصة مُعطاة ــ حسب بارليت ــ، تجدُ نفسها بفعالية مندمجة بـ «الخطاطة» المكوَّنة بواسطة التجربة الماضية لذاتٍ ما. ومنذئذ، فالمعلومات المُقدَّمة من طرف النص تخضع لـ «تصفية» filtrage عند دخولها [إلى الذهن]، ثم تُصبحُ موضوعاً لبحث عن الانسجام، ويكون لدينا مسَارٌ من النمط المبين في الشكل التالي :

(*) التشديد منا (المترجم).

الذات Sujet

.«خطاطة» التنظيم السردي
. معارف، وتجارت سابقة.
. موقف، ومصالح

F I L T R A G E

P R O D C T I O N

. إعادة التنظيم

• إضافات

استذكار 5

• تقوية الانسجام

1 2 3 4 5 6 7 . n

1 9 8 4' 5 10 7

فلنفترض أنه في آستطاعتنا أن نمثل لقصة معينة بمتتالية من الأخبار المرقمة من 1 إلى n، فأثناء الاستقبال تقوم الذات بعملية «تصفية» أولى لهذه الأخبار، فالأخبار 2، 3 و :6 ليست بَعْدُ مُحتفظاً بها. فلم «تدخل» في جانب الاستذكار إلاً الأخبار (1، 4، 5 و 7) وبعضها ــ أي 4 هنا ــ لَحِقَتْها إضافات تبعاً لطبيعة المعارف السابقة للذات، والكُلّ يتحول إلى موضوع لإعادة التنظيم(*). نجد إذن إعادة إنتاج [بعض] الأخبار المطابقة لما هو في الأصل : (1، 5. 7)، كما نجد أخباراً أخرى جديدة كل الجدّة، وهي (8، 9، 10) وأخرى مُعَدَّلَة : (' 4). وهذه الخطاطة لا تُبرز التنظيم بالطبع : (إعادة ترتيب المعطيات، والروابط السببية..)(2)

(*) يمثِّل الكاتب لهذا التغيُّر الذي حصل في الخبر رقم 4، بالرقم ' 4 على اليمين. والفاصلة الموجودة إلى جانب الرقم تشير إلى هذا التغيير. على أننا نلاحظ إلى جانب ذلك أن الكاتب لمْ يقدم شرحاً لدور الحروف اللاّتينية المستخدمة (المترجم).

(2) إننا نعلم اليوم جزئيا بفضل أعمال ييكوفيتش (Yekovich) وتورنديك (Thorndike) (1981) بأن «النموذج الإجرائي» المقدم في الشكل الأول لا يعكس الظواهر التي تقع بالفعل فلا يبدو، على الخصوص؛ أن هناك «تصفية Filtrage» للأخبار أثناء التسنين (L'encodage) الأولي.

وإذا كان لهذا النموذج «مصداقية سيكولوجية»[3] فإنه ينبغي أن يُلاحظ بطريقة منظمة، **الامتزاجُ بين الأخبار المقدمة بالفعل وتلك المتعلقة بالمعارف السابقة للذات، فهذه الذات تجد نفسها في موقف استحالة التمييز بين الإثنين. ويترتب** عن هذا كله مانسميه «التَّعرُّفات الخاطئة»

هذا هو ماحاول «سولان (Sulin) ودولين Dooling (1974) أن يفحصاه؛ فقد آعتبرا أن الاستذكار يتطلّب إعادة بناء. عندئذ فالتدخلات الموضوعاتية ستعرف تزايداً في احتمال حدوثها مع تزايد المهلة الزمنية الفاصلة بين الاستماع إلى النص وإعادة استذكاره تبعاً لألفة الذات مع الموضوع. لقد أقاما إذن في كل نقطة مقطعين إثنين (A ،B) مشابهين لهذين الوضعين تقريبا عدى إسم الشخصية الحكائية الرئيسية الذي يتغير، ففي المقطع (A) يتعلق الأمر بـ شخصية «هتلر» الذي يتوفر الطلبةُ عنه على أخبار سابقة عن تجربة الاختبار.

تنقسم الذواتُ الخاضعة للاختبار إلى مجموعيتن؛ فبعد القراءة تتلقى المجموعةُ الأولى مباشرة اختباراً للتعرف، ولا تُجيبُ عنه المجموعة الثانية إلا بعد أسبوع، وتقتضي المهمة أن تُعطي لثماني جُمل نقطةٌ من 1 إلى 5 حسب الدرجة المأمولة للمطابقة مع النص الأصلي. ويُدخِل المُخْتَبَرَانِ ضمن هذه المجموعة ملفوظاً لا وجود له ضمن النص المنطلق، غير أنه ذو علاقة شديدة مع الموضوع : «كَانَ يَكْرَهُ اليَهُودَ ويضطهِدُهُمْ».

وجد الكاتبان، طبقا للفرضيات، **أن المعرفة السابقة بالموضوع تؤثر بصورة بالغة على الأحكام التي تحملها الذوات**(*) وتظهر التعرفاتُ الخاطئة على الخصوص كثيرة فيما يتعلق بالمقطع الخاص بـ «هتلر» ــ باعتباره شخصية معروفة ــ ويكون هذا أكثر، كلما مرت مهلة زمنية أطول بين لحظة تقديم النص ولحظة الاختبار الذي يشغِّل عملية إعادة المعرفة.

إن نفس الظاهرة تم إبرازها حديثا (لأنْدِي Landis 1982) لدى أطفال بين سبع وعشر سنوات، بآستخدام شخصية ملائمة بالطبع، لمعرفتهم، في مقابل شخصية أخرى متخيَّلة. هنا أيضاً بدا أن ما تعرفه الذوات سابقاً يؤثر بشكل جلي على تواتر التعرفات الخاطئة.

إن التجربتين المعروضتين أعلاه، وغيرهما من التجارب (دولين Dooling، وكريستيانسن Christiaansen (1977)، ثم كينتش Kintsch وكوزمينسكي Kosminsky، وستريبي Streby وماكون Mc koon وكينان Keenan 1975) تُظهرُ إذن بأن الاستذكار يَعمَلُ على

---

(3) اقترح ماندلر Mandler وغودمان Goodman (1982) ــ لاعتبارات ما ــ تفضيل عبارة «المصداقية السيكولوجية» التي : «تشير إلى مدى تأثير مكوِّنات القصة في التفاعل، بغضٌ النظر عن قدرة رفع هذه المعرفة إلى مستوى الوعي.» (وخط التشديد منا :N,D,A)
أقول تفضيل عبارة «المصداقية السيكولوجية» على عبارة «الحقيقة السيكولوجية» التي تحيل بشكل صريح قليلا أو كثرا على نوع من «الوعي».

(*) خط التشديد من عندنا (المترجم).

تدخُّل إعادة البناء، وهذا يتم بواسطة إعادة تنظيم العناصر الخاصة بالقصة الأولية والمعطيات التي تتوفر عليها الذات سابقاً.

وإجمالا؛ فالنموذج المقدَّمُ في الشكل السابق يبدو موضحاً للوقائع بصورة جيِّدة. وسنرى في خلاصة هذا «القسم» بأن الأمور هي أقلُّ بساطة.

ويبقي بالطبع أن يُعرَف كيف تُختار الأخبار التي يُبتدأ بها. فَحسب بارليت ستكونُ «الخطاطة» قد تدخَّلتْ، منذ البداية، على هذا المستوى دون أن يدقِّق بأي شكل يكون هذا الدخل. إنه يُلاحظ فقط أن الملفوظات المختلفة المكوِّنة للقصة لها «بريق» متغير. وهذه الملاحظة يمكنُ أن يُسند إليها صنفان كبيرانِ من التأويل : فبعضُ العناصر تظهر ثانية بالنسبة لكل الذوات، أو أنها تظهر فقط عند البعض، وكما هو الشأن بالنسبة لدراسة مسألة التنظيم، فزاوية النظر الأولى هي التي أتاحت الفرصة [لظهور] بعض الأبحاث.

إن العامل الذي يُستند إليه غالبا في فهم البريق المتباين للأخبار، هو درجة استحضار الصورة (L'imagerie) التي تتَّحدُ عفويا ببعض الملفوظات بواسطة الذوات (دينيس Denis 1979).

وقد فحص فييرس Villiers (1974) الأثر الحاسم لهذا التغيُّر في عملية تذكُّر النص. فبعد أن يقوِّم مختلف جمل قصة معينة تبعاً لقدرتها على تحريك الصّور يَطلُبُ من جماعة أخرى من الذوات أن تستذكر هذه القصة، فيسجِّلُ ارتباطاً شديدا بين درجة استحضار الصورة وتوتر الاسترجاعات مؤكداً هكذا، ولو جزئيا، صحة واحدةٍ من أطروحات بارليت.

غير أن درجة استحضار الصورة التي تتحد بالملفوظات لا تكفي لفهم الاسترجاع المخْتَلِف للجمل، فالطابع الموضوعاتي لهذه الجمل يتدخل أيضا، بمعنى علاقتها الحميمية القليلة أو الكثيرة مع ما يمكن أن نعتبره بمثابة غرض القصة : أي ما يدعى بـ البنية الكبرى (La macrostructure). وهذا **يعني بأن العناصر المختلفة لقصة معطاة لا تَتَموْضَعُ كُلُّها في نفس المستوى بل على العكس يبُرز نوعٌ من التَّدرُّج. ولكن كيف يمكن توضيح هذا التدرج ؟**(**)

III ــ تدرُّج الجمل السردية.

عندما تتم مقارنة الاسترجاعات المقدَّمة من طرف عدد من الذوات البالغين، مع النص الذي كان قد اقترح عليهم، يُلاحظ أن بعض الجمل تُعطى بانتظام مرة ثانية من طرف الكل، وبعض الجمل الأخرى تكون موضع «نسيان» عام. أما الجمل الباقية فهي تَحْتَلُّ موقعاً وسطا. ولكي يتضح هذا الأمر أصدر باحثون مختلفون الفرضيَّة التي تقول **بأن عناصر قصة ما قد تكون أكثر حظاً في أن يُحتفَظَ بها إذا هي كانت تشغل موقِعاً مُهيمِناً بالنسبة للغرض**(**)

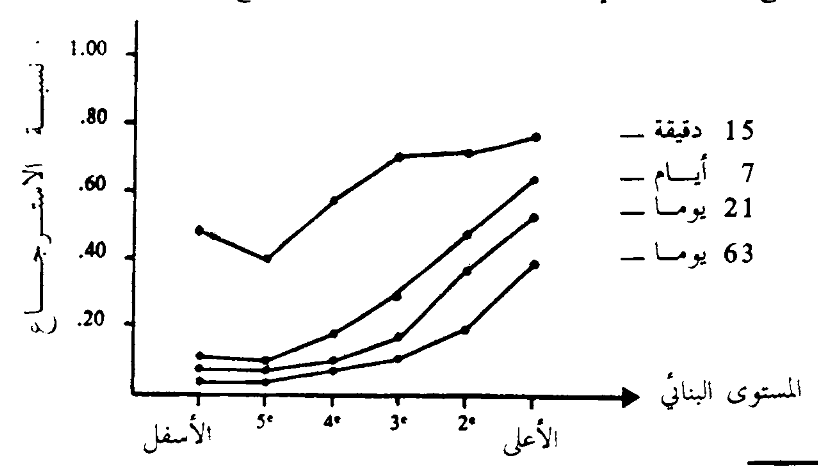
(**) التشديد من عندنا (المترجم)

ولا أحد يعرف للأسف طريقة أخرى لتحديد غرض مقطع مّا، غير الاعتماد على الحدس. ونستطيع أن نلاحظ على الأكثر، بأن الناس يتفقون أمام قصص بسيطة فيما يخص حدسهم النسبي لهذا الغرض. إذن يجب التخلي عن الإجراء الاستنتاجي من أجل اكتشاف الغرض، واللّجوء إلى مناهج تجريبية وآستقرائية.

وهكذا، وضع جونسون Johnson (1970) منهجاً — وُصِفَ بالموضوعية — من أجل تجزيء القصص إلى عناصر، وتصنيف العناصر إلى درجاتٍ، يطلب جونسون في مرحلة أولى، وهو يتناولُ مرة أخرى قصة «حرب الأشباح» من حكّام (طلبة) أن يقسموا النص المنطلق إلى وحدات تبعاً للاستراحات التي يظنون أنها تسمح بأخذ النفس والتأكيد على بعض العناصر وتسهيل الفهم.

وهكذا حصل على تقسيم للقصة في سبعين وحدة، وتقع الحدود بين الوحدات في ثلاثين حالة، بين الجمل، وفي خمس وثلاثين حالة داخل الجمل(*) والتقسيمات المحصَّل عليها تبدو ذات مصداقية (Fiable) مادام الارتباط مع التقسيمات المحصَّل عليها من طرف مجموعة أخرى من خمسين «حَكَماً» يصلُ إلى الرقم 93.

وخلال مرحلة ثانية يُقدِّم «جونسون» لثلاث مجموعات من الذوات، القصَّة المجزأة إلى وحدات ويطلبُ منهم على التوالي إلغاء ثلاثة أرباع هذه الوحدات، ثم النصف، ثم الربع(*)، وتقضي المرحلة الثالثة من التجربة أن تُخضع أربعُ مجموعات أخرى من الذوات إلى اختبار الاسترجاع بعد القراءة، والفاصلُ الزمني بين الاسترجاع والقراءة متغيِّر : خمس عشرة دقيقة. سبعة أيام، واحد وعشرون يوماً وثلاثة وستون يوماً. عندئذ يكفي أن تُقارن العناصر المعطاة ثانية مع موقعها التدرُّجي الذي تم الحصول عليه سلفاً، والنتائج تظهر في الرسم البياني التالي :



(*) إن الحدود هنا لا يمكن أن يقاس عددها بعدد الأجزاء، لأن بداية النص ونهايات الفقرات لا تدخل في الحساب، مع أنها نوع من الحدود (المترجم)

(*) المقصود بهذا إلغاء لاحذف الفقرات كما قد يتبادر إلى الذهن (المترجم).

نسبة استذكار «الوحدات اللسانية» تبعاً لأهميتها البنيوية وللفارق الزمني (نقلاً عن جونسون. 1970)

إنَّ المعطيات المحصل عليها بواسطة قصة «حرب الأشباح»، بل بواسطة قصص أخرى تُظهِرُ بأنه مهما كان الفارق الزمني بين القراءة واختبار الاستذكار، فإن تواتر Fréquence آسترجاع الوحدات شديد الارتباط دائماً بمستوى الأهمية المقدَّر من طرف «الحكَّام» وهذا سر التشابه الكبير بين النماذج [البيانية] المحصل عليها بعد خمس عشرة دقيقة، وسبعة أيام.. إلخ. (غياب التفاعل بين الفارق الزمني والمستوى البنائي).

وقد وجد ميِّير Meyer (1977, a. B) نفس الظواهر أثناء تمييزه فقط بين ثلاث مستويات من الأخبار (الأعلى، الوسط، الأسفل). وقد سجل، مع ذلك، بأن العناصر التي تحتل في التصنيف المتدرّج مرتبة عالية لا تُعطي كُلُّها الفُرْصَةَ لاسترجاع متواتر. وعلى العكس من ذلك فإن الوحدات التي تبدو في الظاهر من الجزيئات (التفاصيل) : الأعداد وأسماء الأشخاص) قد وجدت نَفسَها في الأغلب وقد قُدِّمت ثانية، أكثر مما قد كانت ستوحي بآفتراضه وضعيّتها البنيوية. وأخيرا فإن العلاقات بين الأجزاء التي هي من مستوى أعلى تَلْعَبُ دوراً شديد الأهمية في عملية الاستذكار، فتلك التي من النمط السببي تظهر أكثر فعالية من الأجزاء الأخرى : (المُجاوَرَةُ،الرَّبْطُ)

ويبدو من الواضح جداً، كما يؤكد ذلك ميّير أنه عندما يقرأ بعضُ الأفراد نفس الرسالة النثرية، أو يستمعون إليها، فإن بعض الأفكار المُعبَّر عنها فيها تُسْتَرْجَعُ تقريباً من طرف الكل بينما لا تُقَدَّمُ الأفكارُ الأخرى مرة ثانية إلاَّ من طرف القليل من الذوات. إن الاسترجاع إذن سيبدو شديد الاختلاف عن ذلك الذي قد يُحَصَّلُ عليه في حالة عدم احتفاظَ الجمل بأية علاقة بينها. فالظواهر التي لها علاقة بعامل الهيمنة أو بالجديد من الأخبار على الخصوص، يكونُ لها دور «أقل بكثير مِمَّا لو كانت داخل الاستذكار المتسلسل المألوف (ليوري Lieury ص 40 إلى 47. 93 — 94). وتبدو الوضعية التدرُّجية للعناصر، تلك التي تم تحديدها أمبيريقيا، هي العامل الأساسي الذي يشْرِطُ عملية الاسترجاع. ومع ذلك، فإن هذا قد ظهر بالنسبة للأخبار التي تنتمي إلى المستوى الأعلى، أما بالنسبة للأخبار الأخرى، فإن «المحتوى» النوعي للوحدات قد ظهر أساسيا، ولو أنه عسير المحاصرة.

ويمكننا إذن أن نختم قائلين بأن الحبكات السردية تنتظم بطريقة تدرّجية، بشكل تبدو معه بعض عناصرها حاملة لأخبار جوهرية فيما يخص المقطع المفحوص. وأمام هذا تظهرُ مشكلتان آثنتان :

المشكلة الأولى : هل يمكن أن تُحدَّد البنيةُ التدرُّجية الملازمة للقصة نفسها بطريقة أخرى غير الاستعانة بالرجوع إلى «حكّام» ؟ فهذا السؤال أساسي بشكل كلّي، على الأخص منذ أن أظهر «واترز، Waterrs (1983) حقا — اعتمادا على نصوص وصفية — بأن اختيار

العناصر المنظَّمة بشكل أعلى Superordonnés (في مقابل العناصر التابعة Subordonnés) من طرف الذوات الراشدين، يتعلق بصورة شديدة بالتعليمات المُقدَّمَةِ من طرف المجرِّب. (مثلا : ضع خطاً تحت ماهو مُهِمٌّ بالنسبة للغرض ــ في مقابل ــ ضع خطاً تحت ماهو يَسْمَحُ بتمييز المقطع المَعْني عن باقي المقاطع المُعالجة لنَفْسِ الغرض. ينبغي إذن أن نتوفر على «نموذج» للقصة يسمح بتقسيماتٍ وبتصنيفٍ تدَرُّجيٍّ أقل حَدْساً.

أما المشكل الثاني فهو من آختصاص عُلماء السيكولوجيا بشكل أخص. فمن المناسب أن نَتساءل كيف تتصرَّفُ الذوات من أجل أن تُخصِّص الأخبارَ الموجودة في النص بقيَم مُتفاوتَةٍ تتجلى في التصنيف المتدرِّج للأحكام والاسترجاعات ؟.

وهذا السؤال يختلف بشكل ملموس عن السؤال السابق الذي له علاقة بالبنية الخاصة للقصة، وليس بالضرورة، مع تلك البنية المفروضة من طرف القارىء المستمِع أثناء لحظة الفهم، ويمكن أن يكون هناك بين الإثنين توافق، غير أن الأمر لا يمضي هكذا على الدوام كما سنرى.

خلاصة :

إن المعالجة التجريبية للقصص من طرف علماء النفس تؤَرَّخُ بأعمال «بارليت». وهذه الأعمال لها علاقة أكثر بدراسة الحالة، أكثر مما لها علاقة بالتجربة المصحوبة بالمراقبة الدقيقة للمتغيرات. ومع ذلك، فإن مُعظم الأفكار الصادرة عن النتائج المحصل عليها كانت موضوعاً لفحوص تهدفُ إلى إثبات ما أُسِّسَ بشكل جيّد من خُلاصات بارليت.

ويبدو جيدا أن الأخبار الماثلة في قصة مَّا تُصْبِحُ على الفور موضوعاً لانتقاء، ولتصفيةٍ، تَبعاً للمعرفة السابقة للذات. وينبغي أن نفهم من هذا [أن المقصود] هو معرفتُها العامة(*) (Factuel) (فهتلر معروف جيدا على سبيل المثال)، ودون شك أيضا تجربتُها السابقة فيما يخُصُّ الحبكات السردية، هذه التجربة التي تسمح لها بإدخال نَوْعٍ من التصنيف التدرُّجي بين الملفوظات.

وبمجرَّد أن يجري هذا الانتقاء، فإن الأخبار تجد نَفسها مُجدَّداً وقد اختُزلت بواسطة مَسَارٍ **للتجريد**. وهذا يؤدي إلى الاحتفاظ بالدلالة العامة (البنية الكبرى macrostructure) وإلى الإلغاء التدريجي للشكل السطحي (التركيب، والوحدات المعجمية Items lexicales). وهذا الإلغاء يتضح أكثر كلما زادت المهلة الفاصلة بين القراءة / الاستماع، والاسترجاع. وقد أوضح جارفيلا (Jarvella 1971) **بأن هذه الظاهرة تظهر قبل ذلك أي أثناء القراءة الاستماع(*)، فعِنْدَما يُقاطع هذا أو تلك، فإن الذات لا يمكنها أن تقدِّم استرجاعاً حرفيا**

(*) ترجمنا هذه الكلمة اعتماداً على السياق وحده. (المترجم)

(*) خط التشديد من عندنا (المترجم)

إلاً بالنسبة للعبارة أو الجملة الأخيرة المقروءة أو المسموعة. أما الجمل السابقة فتكون موضوعاً لإعادة صياغة لا تحتفظُ إلا بالدلالة. إن التجريد الذي يَتَضَاعفُ مع مرور الوقت يُفسِّر أيضا التوازي بين منحنيات الاسترجاعات ذات الفواصل الزمنية المتغيرة (انظر الرسم البياني السابق.)

إن الأخبار المنتقاة والمجردة، تلحقها أيضا **إعادة تنظيم** réorganisation. وهذه تتمظهر في طريقتين : تحاول الذوات أثناء الاسترجاع ــ من جهة ــ أن تملأ «الثغرات» (إضافة الروابط، استدلالات مختلفة؛ كلارك Clarke 1977؛ فارن Warren، نيكولا Nicholas وتراباسو Trabasso 1980، باريز 1975)، **تبعاً للمقاصد المُدْرَكَة وللمقولات العامة (التجسيم، والتبسيط. إن الذوات تتجاوز ما كان قد قُدِّم لها حَرفياً مُدْمَجَةً أحيانا عناصر معروفة لديها مُسبَّقاً، غير أنها غير حاضرة في النص. وهذا ما يؤدي إلى التدخلات الموضوعاتية، وإلى أشكال الخلط**(*). ونلاحظُ من جهة أخرى مَيْلاً واضحاً نحو التجميع ونحو إدراج أخبار مختلفة داخل مجموع منسجم.

وهكذا يَظْهَرُ بأن آسترجاع القصة كما هو الشأن بالنسبة لاسترجاع المعطيات النصية بشكل عام ــ شديد الارتباط عند الذوات بنظام قَبْلي، وبمواقف سابقة بالنسبة للمحكي نفسه (وهذا المجال غير معروف جيداً)، وهذا الاسترجاع ليس أبداً في مأمن من التداخل مع العناصر التي ليست موجودة ضمن الصيغة الأصلية، ولكنهُ يُمكن أن يتَّحِدَ بها (لوفتوس Loftus 1975)[4].

ويَظْهَرُ مفهوم «الخطاطة إذن، بآعتباره تنظيما تجميعيا، ورغم طَابع تعريفه الغامض وشدة اتساع الحقل الذي يُغطيه، أقول يَظْهَرُ، بلا رَيب، كبير الملاءمَة من أجل توضيح الظواهر المتصلة بآستذكار القصص.

---

(4) يشكل الأثر الحاسم للمعرفة السابقة ودَورِها التنظيمي في عملية استذكار المعطيات الأمبريقية، ظَاهرةً شديدة البروز تتجاوز، إلى حد كبير، مجال القصة. ويبيِّنُ كروت Groot (1965)، على سبيل المثال بأن استذكار الشكل الخارجي لرقعة شطرنج يتنوع تبعاً لضعف خبرة الذوات (سذاجتهم) أو لحنكتهم في (لعبة الشطرنج)، وتبعا لكون القطع منظمة بطريقة دَالَّة أم لا. إن تهيُّؤ البنية، الذي ليس من الضروري أن يكون تهيُّأً واعياً، يؤثر أيضاً في حالات من النمط الوصفي غير نمط القصة، كالوصف نفسه مثلا (تايلور Taylor، وصامويل Samuels 1983).

مراجع البحث:

Barlett. F: Remembering. Cambridge. C.U.P, 1932, 5e ed, 1964.

Beaugrande. R et Miller GW: Processing models for Children's story comprehension, Poetics. 1980

Clark H.H Inferences in comprehension. in D. Laberge et S.J Samuels (eds) Basic processes in reading, perception and comprehension, Hillsdale, Erlbaum, 1977.

Dooling D.J. et CHristiaansen, R.L.: Levels of encoding and retention of prose in G.E Bower (Ed) the psychology of learning and motivation, New York. Academic Press, 1977.

Jarvella R.J: Syntactic processing of connected speech, Journal of Verbal learning and Verbal Behavior 1971.

Johnson R.E: Recall of prose as a function of the structural importance of linguistic units Journal of verbal learning and verbal Behavior 1970.

Kintsch W. et Kozminskye E, stre Y W.J, Mc Koon G. Keenan. J.M: Comprehension and recall of text as a function of content variables. Journal of verbal learning an Verbal Behavior 1975

Landis T.Y.interactions between text and prior Knowledge in cheldren's memory for prose Child Development. 1982.

Lienry J.S: La mémoire. Bruxelles: Mardaga. 1981 2eme édi.

LoFtus. E.F. Leading questions and the eyewitness report Cognitive Psychology. 1975.

Mandler. J.M et Goodman. M.S: on the psychological Validity of story structure Journal of Verbal Learning and Verbal Behavior. 1980

Meyer B.J * the structure of prose: effects on Learning and memory and implication for education practice, in R.C. Anderson R.J Spiro et W.E. Montague (eds) Schooling and the acquisition of Knowledge, Hillsdale, Erlbaum, 1977.

* What is remembered from prose: a fund of passage structure, in. R O. Freedle (Ed) Discourse production and comprehension, Norwood, Ablex 1977.

Sulin R.A et Dooling.D.J:intrusion of a themat idea in retention of prose, Journal of experimental Psychology, 1974.

Taylor.B.M et Samuls. S.J:Children's use of texte structure in the recall of expositon material Americain Educational Researche Journal, 1983.

Villiers. P.A de Imagery and theme in the recall of connected discourse Journal of experimental Psychology 1974.

Warren. W.H. Nicholas. D.W et Trabasso.T.: Event Chains and inferences in understanding narratives. in R.O. Freedle (Ed) New directions in discourse processing Norwood Ablex 1979.

Waters. H.S: Superordinate - subordinate structur in prose passage and the impotanse of proposotion Journal of Experimental Psychology, Learning, Memory and cognition. 1983.

Yekouvich. R. et Thorndyke.P.W. An evaluation of alternative functional models of narrative Schemata. Journal of Verbal Learning and Verbal Behavior. 1981.

* * *

صدر العدد السابع من مجلة «بيت الحكمة» التي يرأس تحريرها الزميل مصطفى المسنواي. يتضمن العدد ملفاً عن «رولان بارت سميائيا». من مواده بقلم رولان بارت : عن الحياة والأعمال (حوار). ميتيولوجيات ــ الأسطورة اليوم. وبقلم أمبيرتو إيكو وايزابيلا بتزيني : سيمياء «الميثيولوجيات» وبقلم نشومسكي : بصدد البنيات المعرفية ونحوها. عنوان المجلة. ص ب 7084. الدار البيضاء 02 ــ المغرب.

* * *

توصلت المجلة برواية تحت عنوان : «المنعطف» تأليف : الحبيب الدائم ربّى، صادرة عن مطبعة نجم الجديدة، بمدينة الجديدة، دسمبر 1987، تقع الرواية في 116 صفحة من الحجم المتوسط، وتحتوي على 5 فصول معنونة كالتالي : المفتاح الأول، القفل الأول، المفتاح الثاني، القفل الثاني، المفتاح الثالث، وتنتهي الرواية بما سماه المؤلف : خاتمة غير مريحة.

* *

صدر العدد الأول من مجلة «بصمات»، وهي مجلة تصدر لأول مرة عن كلية الآداب الثانية بالدار البيضاء، وتضم مقالات بالعربية والفرنسية تتناول في الأغلب قضايا الأدب المغربي إلى جانب مقالات في اللسانيات. عنوان المجلة : ص. ب : 6535 سيدي عثمان ــ الدار البيضاء.

تحليل سيميائي لنص سردي

التركيب العاملي في قصة «الزيف»[1]

ذ. عبد المجيد نوسي
كلية الآداب ـــ الجديدة

1 ـــ مقدمة :

نهدف في هذه الدراسة إلى تحليل نص سردي، وذلك لمحاولة الاقتراب من المسار العام الذي يتخذه المعنى. إن «أثر المعنى» الذي يمكن للمتلقي أن يُكوِّنَ عَناصِرَهُ، يَنْتُجُ عن مسار توليدي تشتغل داخلَهُ كلُّ العناصر المكوِّنة للنص (الخطاب، الشخصيات، الفضاء...) إلا أننا لن نقوم بتحليل كل مكونات النص، بمعنى، أن التحليل لن يعتمد مجموعة من المستويات لتحليل كل المكونات.

سنهتم بالخصوص بتحليل المستوى العمودي مركِّزين على التركيب العاملي[2] الذي سندرس فيه عناصر البنية العاملية والأفعال التي تنجزها، حيث تَنْتُج عنها مجموعةٌ من التحولات والحالات التي تُكوِّنُ، في تواليها، منظومة قادرةً على كشف العلاقات بين عناصر البنية العاملية، فالعلاقات بين العامل ـــ الذات والمساعد والمعوق تُبيِّن شَكْلَ نُموِّ البرنامج

---

(1) يوجد هذا النص ضمن المجموعة القصصية : **همس الجنون**، لنجيب محفوظ، دار مصر للطباعة، 1938.

(2) التركيب العاملي هو من بين المستويات التي تتبناها سيمياء السرد في تحليل النصوص، وقد اُعْتُمِدَ «النموذج العاملي» modéle actantiel الذي حدده كريماس سنة 1966، غير أن الأبحاث الأخيرة لكريماس تنمُّ عن تجاوز هذا النموذج إلى تحليل يعتمد أساسا «نظرية الجهة» (Théorie des modalités)

أنظر : 1966. GREIMAS (A.J). Sémantique structurale, Larousse, 1966. P : 172-189.
GREIMAS (A.J). Du sens II, ed. Seuil., 1983. PP. 67-90

السردي الذي يسعى العاملُ ــ الذات إلى تحقيقه وموقِفَ العوامل التي تحاولُ إفشال أو إنجاح هذا البرنامج. وتَمكّنُ هذه العلاقات من إبراز الوظيفة الدلالية للبنية العاملية على مستوى النص.

أما النص الذي سنقوم بتحليله فهو بعنوان «الزَّيف»، ويمكن أن نقدم بعض الملاحظات الأولية حول هذا النص :

1 ــ نسلم منذ البداية أن النص الذي نَتعامَلُ معه، قصة قصيرة. وذلك بناء على عناصر موازية للنص، فهو يكوِّنُ، إلى جانب نصوص أخرى، مجموعةً قصصية، وهذه المسألة ترتبط بقصدية الكاتب الذي يشترك معه المتلقي في تعاقد يتم الاتفاقُ بموجبه على الجنس الذي ينتمي إليه النص. نقدم هذه الملاحظة لكون أغلب نصوص **همس الجنون** ومن بينها «الزيف» تتميز بنوع من الاختزال والتكثيف، ذلك أن النصوص تشمل مجموعة من المكونات (شخصيات، عوامل، فضاء زماني، مكاني) القادرة على تكوين فضاء روائي يتميز بمجموعة من العلاقات بين هذه العناصر، ثم ان هذه النصوص طويلة حجما وإن كنا نتفق على أن الحجم لا يشكل معيارا للتمييز بين نص روائي وقصصي.

وإذا كانت عملية تَجْنِيس النص تتم من خلال تحديد الخصائص الخطابية، فإن نص «الزيف» يتوفر على سمات القصة القصيرة، حيث تتم الكتابة وفق الخطاطة الكلاسيكية المميزة للقصة : فالمقطع الأولي للنص يقدم شخصية أولى (علي أفندي جبر) ويحدد سماتها العامة (مترجم بوزارة الزراعة)، وتقومُ المقاطع الوساطية الأخرى بإبراز التحولات : (ينتحل صفة شاعر) التي تمس هوية هذه الشخصية، ثم يشكل المقطع النهائي خاتمة يكشف من خلالها الساردُ عن كينونة هذه الشخصية، فتظهر المفارقة بين «كينونة» هذه الشخصية و «ظاهرها» وتعد خاصية **الكينونة والظاهر** من أهم خصائص الكتابة التي سنحاول تحليلها في هذا النص وذلك في علاقتها بالعوامل.

2 ــ تعتبر قصة «الزيف» من أقدم النصوص التي نَشَرَهَا نجيب محفوظ[3] قبل كتابة الرواية التي ستغلب عِنْدَهُ بعد سنة 1938، لذلك فإن تحليل بعض عناصر الكتابة في هذا النص يُمكّنُ من تفسير بعض خصائص صنعة الكتابة في بدايتها عند نجيب محفوظ.

2 ــ تقطيع النص

سنقوم بخطوة إجرائية أولى تهدف إلى تحديد المقاطع التي يَتَمَفْصَلُ وفقها النص، وتعد عملية التقطيع، على المستوى المنهجي، أساسية، لأنها تمكننا من السيطرة عليه خلال عملية التحليل، إذ نستطيع تحديد مكونات النص القصصي من خلال المقاطع المختلفة، ولا نقوم بتصميمات أو نفترض وجود بعض المكونات بشكل مسبق ثم نختار بعض الاستشهادات

(3) أنظر : الدكتور بدر، عبدالمحسن طه، **الرؤية والأداة (نجيب محفوظ)**ط : 2، دار التنوير للطباعة والنشر، 1985.

لنستدل على صحة هذه الافتراضات، غير أن تقطيع النص ليس عملية بسيطة[4] بل يجب أن يعتمد معيارا معينا يكون ملائما. سننطلق من التحديد النظري الذي اقترحه كريماس لمفهوم المقطع حيث آعتبر أن «كل مقطع سرديٍّ قادرٌ على أن يكوِّن لوحده حكاية مستقلة وأن تَكُون لَهُ غايتهُ الخاصة به. لكن يمكن أن يدرج ضمن حكاية أعم وأن يؤدي وظيفة خاصة [5]

يعطي هذا التعريف للمقطع إمكانية الاستقلالية والاندماج : فيمكن أن يكوِّن وَحْدَة مستقلة بذاتها، ويمكن أن يندمج ضمن نص سردي ليشكل وحدة تؤدي إلى تكامل النص.

بناء على هذا التحديد، سنقوم بتقطيع النص وفق معيارين : دلالي ومكاني. يتحقق المعيار الدلالي حين تكون الأقوال السردية التي تكوِّنُ كل مقطع مركزة حول تيمة معينة. أما المعيار المكاني فيتحقق حين تحيل الأقوال السردية التي تكوِّنُ هذا المقطع على فضاء مكاني واحد، فوحدة المكان تمنح للمقطع صفة التجانس والانسجام.

ـــ المقطع الأول : يبدأ بالقول السردي : كان التياترو مكتظا بالنظارة. ص 12 وينتهي عند : يوم الأربعاء الساعة السابعة مساء... شارع خمارويه رقم 10 بالزمالك». ص 16.
يتميز هذا المقطع بكون كل الأقوال السردية المكونة له تتمحور حول فضاء مكاني واحد هو «التياترو» والذي يكوِّنُ الإطار الذي يُفْتَتَحُ به النص، غير أن المقطع يقدم بعض الفضاءات الأخرى الجزئية (البنوار، الصالة) التي تُعَدُّ تابعة للفضاء الأساسي الذي هو التياترو. وإذا كانت كل الأقوال السردية تحيل على هذا الفضاء، يمكن أن نعتبر أن المقطع يتميز بوحدة مكانية تحقق التجانس، فهي تجعل منه مقطعا له استقلاليته مع إمكانية اندماجه داخل النص السردي العام.

يمكن أن ندرج، إلى جانب عنصر الوحدة المكانية، معياراً آخر ينبني على مقولة إثنانية متميزة بالتقابل : الكينونة والظاهر. يقدم السارد، ومنذ المقطع الأول، بعض العناصر المرتبطة بدلالة النص، حيث يقوم بوصف الشخصيات التي تنجز الأفعال في النص السردي وفق لعبة : «الكينونة والظاهر». فشخصية علي أفندي جبر تقدم في بداية النص من خلال صفاتها المحدِّدَة لها والتي تلتصق بها (مترجم بوزارة الزراعة). هذه الصفات هي التي تحدد كينونة هذه الشخصية، غير أن النص يقدم هذه الشخصية في نفس المقطع بصفات أخرى مغايرة (علي أفندي جبر شاعر). إن تقديم هذه الشخصية داخل النص من خلال وضعيتين مختلفتين يؤشر على وجود لعبة أساسها التقابل : «الكينونة والظاهر».

ـــ أما المقطع الثاني فيبدأ عند : «وتنهدت المرأة ارتياحا وظنت أنها نالت أمنية من أعز أمانيها». ص : 16 إلى : فهل كنا مغالين إذا قلنا إنها نالت أمنية من أعز أمانيها ؟ ص 17.

---

(4) يمكن مراجعة : PROPP (Vladimir). Morphologie du conte ed seuil, 1970. P 113

(5) انظر : -GREIMAS (A.J). **Du sens, ed, seuil, 1970. P. 268**

ينبني تحديد هذا المقطع على معيار دلالي. ذلك أن الأقوال السردية المكوِّنة لهذا المقطع تتمحور حول نوعية العلاقة التي توجد بين شخصيتين من شخصيات النص : أرملة علي باشا عاصم ثم أرملة الدكتور إبراهيم باشا رشدي، ذلك أن العلاقة بين الشخصيتين علاقة تضاد، وتتمثل في محاولة كل واحدة التألق أكثر من الأخرى (وتود لو يغلب نورها نور الأخرى فتنافسها (ص : 16) إن تجانس هذا المقطع يأتي من كون أقواله السردية متركزة حول عنصر دلالي : علاقة التضاد بين الشخصيتين.

ـــ المقطع الثالث : ويبدأ من : «أما علي أفندي جبر فقد رجع إلى مقعده وهو يلقي على الحاضرين نظرة فاحصة خشية أن يكون الشاعر الأصلي بين النظارة. (ص : 17) وينتهي عند : وضاق صدره بنور الدين وشعره ونثره فرمى بالكتب جميعا...(ص :19)

يتحدد تجانس هذا المقطع بناء على معيار دلالي : يرتكز المقطع على إبراز لعبة «الكينونة والظاهر» : فالأقوال السردية، في هذا المقطع، متمحورة : حول عنصر «الظاهر»، إذ يتبين تحوُّل شخصية علي أفندي جبر من حالة الكينونة (موْظف بوزارة الزراعة) إلى حالة الظاهر (الشاعر محمد نور الدين).

ـــ المقطع الرابع : ويبدأ بالقول السردي : «وفي الموعد المسمى ذهب إلى قصر السيدة الجليلة بشارع خمارويه، وكان بادي الوجاهة والأناقة». (ص 19) وينتهي عند : «وما ذهابها بهن إلى تياترو رمسيس إلا لهذا الغرض نفسه». (ص : 23.)

يستمد هذا المقطع تجانسه من معيار مكاني : فوظيفَةُ الأقوال السردية التي يتكون منها المقطع هي وصف الفضاء المكاني (القصر) الذي يتم فيه اللقاء بين شخصيتين : علي أفندي جبر وأرمله علي باشا عاصم.

ـــ المقطع الخامس : ويبتدىء بالقول السردي : «وقد تضايق علي أفندي من حضور الزائرات، وتضايقَ أكثر من دعوته إلى التياترو» (ص. 23) وينتهي عند : «وكانت ليلة». (ص : 24.)

يتحدد هذا المقطع القصير في النص من خلال معيارين : مكاني ودلالي. بالنسبة للعنصر المكاني يتبين أن الأقوال السردية تؤشر على مكانين : القصر والتياترو ويُعضِّدُ هذه الوحدة المكانية معيار دلالي، إذ ترتبط شخصية علي أفندي جبر بشخصية علي باشا عاصم داخل فضاء القصر في إطار علاقة العامل ـــ الذات (علي أفندي جبر) بالموضوع الذي يَسْعَى للحصول عليه.

ـــ المقطع السادس : يبدأ بالقول السردي : «وبعد يومين ذهب علي أفندي جبر إلى زيارة المعرض الرابع عشر للفنون الجميلة» (ص : 24) وينتهي عند : «وقد غادر علي أفندي المعرض مضطربا». (ص : 26.) وهي الفقرة التي ينتهي بها النص.

يتميز هذا المقطع باعتماده على معيارين يضمنان تجانسه : معيار مكاني ويتمثل في تمركز الأقوال السردية حول بنية مكانية واحدة (المعرض)، ومعيار دلالي يتمثل في اكتشاف «حقيقة» شخصية علي أفندي جبر، حيث تظهر الوضعية «الكاذبة» التي كان فيها، ويظهر أنه يحمل صفة «الموظف» وليس صفة «الشاعر محمد نور الدين» التي انتحلها كمظهر «خادع» للوصول إلى الموضوع. هذا الاكتشاف في المقطع النهائي هو الذي يبين لعبة التقابل : الكينونة والظاهر التي ينبني عليها النص.

ـــ التركيب بين المقطعين : الأوَّلي والنهائي.

ينبني المحكي، من خلال المقطعين : الأوَّلي والنهائي، على ثنائية : الكينونة والظاهر. يتميز المقطع الأول بعلاقة «خادعة» بين شخصيتين : علي أفندي جبر وأرملة علي باشا عاصم وذلك داخل فضاء التياترو حيث ينتحل علي أفندي جبر صفة «الشاعر» وتظهر أرملة علي باشا عاصم «كصديقة للشاعر». إن علاقة الاتصال «Conjonction» بين الشخصيتين ممكنة انطلاقا من لعبة الظاهر فقط وقابلة للانحلال حين ظهور عنصر جديد، وهذا ما سيتم في المقطع النهائي حيث سَتُكْتَشَفُ شخصية علي أفندي جبر، ويعود لوضعيته الأولية التي تُحددها كينونته (موظف بوزارة الزراعة). تتجلى لعبة «الكينونة والظاهر» في النص من خلال مجموعة تحولات وحالات هي التي سيبرزها التحليل.

3 ـــ من الشخصيات إلى العوامل :

يهدف تحليل التركيب العاملي إلى توضيح الوضعية التركيبية لكل واحد من العوامل التي تتوزع عبر النص، لأن تحديد هذه الوضعية قادرٌ على تحديد العلاقات التي تنظم العوامل والتي يمكن أن تَكون علاقة **رغبة** كالتي تربِطُ بين العامل ـــ الذات، والموضوع الذي يهدف إلى تحقيقه أو علاقة معاكسة كالتي تربطه بالمُعَوِّق وهو الذي يحاول أن يحول دونه و الموضوع. وهذه العلاقات المؤطرة للخطاطة السردية العامة هي التي تفرز مجموعة «آثار المعنى» التي تشكل دلالة النص السردي.

نشير منذ البداية إلى أن التحليل سيَتَدَرَّجُ عبر مستويات ثلاثة :

الشخصيات، الممثلون (Acteurs) العوامل (Actants)[6]. سنقوم بتحديد سمات الشخصيات، أي جملة المؤثرات الوصفية التي تتخذها داخل الخطاب، وتُخْتَزلُ هذه السمات التي لها «أثر معنى» إلى مجموعة من التيمات (Thèmes). تشير التيمات، بدورها إلى مجموعة من الأدوار التيماتيكية التي تؤديها الشخصيات وهي أدوار اجتماعية ـــ ثقافية أي أنها جملة

(6) يحدد كريماس هذه المستويات كالتالي : «لا تتم لعبة على مستويين وحسب بل على ثلاثة مستويات متغايرة : الأدوار، كوحدات عاملية أولية تقابل الوظيفة، تدخل في تركيب نوعين من الوحدات الأكثر شمولية : الممثلون كوحدات خطابية والعوامل كوحدات للحكي».
(Greimas (A.J). Dus sens. Seuil 1970. P. 256)

من سمات تنجزُها الشخصيات داخل السياق السوسيو ــ ثقافي، وبذلك تصبح شخصيات مجموعة ممثلين ينجزون أدوارا تيماتيكية. وظيفة الممثل مزدوجة(7)؛ فكما أنه قادر على إنجاز دور تيماتيكي (ثقافي، اجتماعي) يستطيع أيضا أن يؤدي دوراً عامليا أو دورا داخل التركيب السردي العام كدور العامل ــ الذات أو المعوق أو المساعد. ان الفعالية الإجرائية لهذا التحليل الذي يتدرج عبر المستويات تكمُن في أنّه يأخذ بعين الاعتبار كل تمظهرات العناصر الفاعلة في النص أي الشخصيات بمفهومها التقليدي (تحديد ثقافي)، ثم يُبَيِّنُ كيف تتحوَّلُ عبر ممارستها السوسيو ــ ثقافية إلى عوامل تؤدي أدوارا تركيبية، ثم إن هذا التحليل لا يعتمد فقط الجانب الوظيفي (وظائف العوامل)، لكنه يُدرجُ عناصر أخرى ترتبط بسلوكات وممارسات الشخصيات الثقافية. بناء على هذا فإن تحليل هذه العناصر سيتطور وفق الترسيمة الآتية :

شخصية ← (سمات الشخصية) ← **تيمة** (Thème) ← دور تيماتيكي ← (rôle thèmatique) ← **ممثل**(8) (Acteur) ← عامل (Actant).

سينمو التحليل وفق مجموعة من الخطوات : الأولى هي وصف مجموعة السمات التي تلتصق بهذه الشخصيات والتي تتحدد في النص من خلال جملة الوحدات المعجمية المنتظمة عبر النص والتي تؤطرها **عملية القول**. أما الخطوة الثانية فتهدف إلى آختزال دلالة هذه الوحدات المعجمية إلى مجموعة من التيمات التي تتضمن أدوارا تيماتيكية يُنجِزُها ممثلون قادرون على أداء وظيفة داخل التركيب السردي.

1.3 تحديد التيمات :

لوصف سمات الشخصيات، سنقوم بتجميع جملة الوحدات المعجمية المرتبطة بشخصية معينة داخل جدول لقراءتها، أي لاختزالها إلى مجموعة من التيمات. وسنعتمد في التحليل خاصة على الشخصيات التي تؤثر في بنية النص بوظائفها، أي الشخصيات ذات المشاركة الأساسية في النص.

الجدول الأول : علي أفندي جبر

المجموعة الأولى	ــ مترجم بوزارة الزراعة. ص : 12 ــ كلاّ يا سيدي أنا موظف بوزار الزراعة». ص :26

(7) أنظر :

- Greimas (A.J). Du sens II, seuil, 1983.P.66

(8) ليس كما يحدد في التشخيص حيث يرتبط الممثل بالفضاء المشهدي. نميز في سيمياء السرد عند كريماس، بين نموذج العوامل وبين نسق الممثلين. manifestation actorielle

المجموعة الثانية	ـ وَهَلْ أَنْتَ في حاجة إلى تعريف يا أستاذ...ص : 13. ـ فَهَلْ تَظُنُّ السيدة أنه شاعر مصر الأكبر بل شاعر الشوق العربي جميعا الأستاذ محمد نور الدين ؟ ص : 14 ـ والحق أن المشابهة التي بينه وبين سيد الشعراء معروفة مشهورة، يعلم بها جميع أصحابه، ص : 14. ـ فَطَبَع بطاقات بآسم محمد نور الدين. ص : 17 ـ ورأى عن حكمة أن يلقي نظرة سطحية على مؤلفات الشاعر فذهب إلى مكتبه وطَلَب مؤلفاته. ص : 17.
المجموعة الثالثة	ـ وبعد يومين ذهب علي أفندي جبر إلى زيارة المعرض الرابع عشر للفنون الجملية. ص : 24 ـ فَمَضَى يسير في الحُجُرات الأنيقة وينظر بعينين فاترتين إلى اللوحات. ص : 24. ـ فالتفت إلى الوراء فرأى صاحبته الجميلة واقفة بين جماعة من السيدات الأرستقراطيات، وآستولت عليه الدهشة وعلاهُ الارتباك، أما السيدة فقد التَفتتْ إلى صواحبها وقالت بتيه : ـ إئذَن لي أن أقدم إليكُنَّ صديقي الأستاذ محمد نور الدين سيد شعراء الشرق. فآبتسمن إليه بترحيب إلا واحدة رددت النظر بينه وبين الأرملة، وقالت ضاحكة : ـ ياها من نكتة بارعة يا سيدتي. ص : 25. ـ وكان علي أفندي في حالة يرثى لها، وقد خانته جسارته تلقاء نظرات السيدة الجريئة التي لا شك تعرف الشاعر الأصلي تمام المعرفة، فلم يجد مناصا من الهرب، فتظاهر بالدهشة، وابتسم إلى الأرملة البائسة وقال : ـ معذرة يا سيدتي... يخلق من الشبه أربعين. ص : 25 ـ كلا يا سيدتي... أناموظف بوزارةالزراعة.ص : 26. ـ وغادر علي أفندي المعرض مُضْطَرِباً ص : 26

يقدم هذا الجدول جردا عاما للوحدات المعجمية المندرجة ضمن الخطاب القصصي والتي تعتبر مؤشرات على مجموعة السمات التي تتصف بها الشخصية. تنتظم الوحدات المعجمية داخل الجدول إلى مجموعات بناءً على **وحدة التيمة** التي تؤدى إليها، ذلك أن الوحدات المعجمية التي تنتظم داخل كل مجموعة تؤدي في كُلِّيتها إلى تيمة موحدة : يتخذ هذا الجرد شكلا عموديا، حيث قمنا بجرد كل الوحدات المعجمية المتصلة بسمات الشخصية، لكن يمكن قراءتها أفقيا، أي اختزال «أثار المعنى» الناتجة عن هذه الوحدات المعجمية إلى تيمة موحدة. ان الوحدة المعجمية (Lexème) تشير، داخل معجم مثلا، إلى مجموعة من

المقومات، لكنها حين تدرج ضمن سياق معين، فإنها تؤشر على مقوم دلالي لا يخرج عن الدلالة السياقية[9] فالمجموعة الأولى تشمل مجموعة من الوحدات المعجمية المتكررة (وزارة الزراعة) التي تشير إلى إطار مهني معيَّن ولا تترسخ هذه الدلالة الجزئية لدى القارىء إلا حين ربطها «بآثار المعنى» المتولدة عن الوحدات الأخرى (موظف، مترجم)، هذه الوحدات تشير بدورها إلى نوع من الممارسة المهنية التي ترتبط بالإطار المهني الأول الذي أشارت إليه الوحدات الأخرى. ويمكنُ ن نستنتج، إذن، أن «آثار المعنى» المتولدة عن هذه الوحدات المعجمية تترابط فيما بينها وتندرج بذلك ضمن سياق واحد، لذلك فإنها تؤشر في نهاية القراءة على تيمة موحدة ومتجانسة : موظف.

أما المجموعة الثانية فتتكون من وحدات معجمية تضيف للشخصية صفة أخرى جديدة. سنهتم في البداية بالوحدات المعجمية المتميزة بالتكرار كوحدة (أستاذ) التي تشير إلى وضعية ثقافية وفكرية تتميز بها الشخصية، على أن هذه الدلالة الجزئية لا يمكن أن تكون نهائية لأن هناك وحدات معجيمة تقوم بتأطيرها داخل تيمة عامة. فالوحدات المعجمية الأخرى (فهل تظن السيدة أنه شاعر مصر الأكبر والحق أن المشابهة التي بينه وبين سيد الشعراء معروفة مشهورة) لا تُمَكِّنُنا من آعتبار هذه الدلالة (الأستاذية) نهائية، خصوصا وأن هذه الأقوال السردية تندرج ضمن ما يمكن تَسميتُه (بتدخلات) الكاتب في منطق السرد، حيث يدرج الكاتب جملة تقريرية يَهدف من خلالها إلى توجيه القارىء. فكل الوحدات المعجمية تشير إلى دلالة جزئية هي أن العلاقة بين هذه الشخصية (الموظف) وبين الشاعر علاقة مشابهة فقط. فكينونة الشخصية تتحدد بالصفة الناتجة عن التيمة الأولى (الوظيفة) أما صفة (الأستاذية ــ كتابة الشعر) فهي فقط صفة ظاهرة مخالفة لصفة الكينونة

وما يُبيِّن ثنائية **الكينونة والظاهر** التي تَنْبَنِي عليها صفةُ هذه الشخصية هوالوحدات المعجمية الأخرى التي تَشْمَلُها المجموعة : (فَطَبَعَ بطاقات بآسم محمد نور الدين، ورأى عَنْ حِكْمةٍ أن يلقي نظرة سطحية على مؤلفات الشاعر). تُبيِّن هذه الوحدات المعجمية أن الشخصية آنْتَحَلَتْ فقط صفة الشاعر وذلك بُغية الوصول إلى الهدف أو مَوْضوعِ الرغبة عِندهَا :

التأثير على شخصية أرملة علي باشا عاصم. ويمكن أن نستنتج أن قراءة الوحدات المعجمية لهذه المجموعة تؤدي إلى مجموعة من «آثار المعنى» التي تُولِّد تيمة موحدة ومتجانسة : الأستاذية، كتابة الشعر. وتتضمن هذه التيمة صفة ظاهرة «كاذبة»[10] غير مرتبطة بكينونة الشخصية.

(9) **Ibid,P: 58.**

(10) لا يحمل هذا المقوم دلالة أخلاقية، فهو إجرائيٌ ضمن المربع السيميائيّ. انظر
GREIMAS (A.J), COURTES (J). **Dictionnaire raisonné de la thèorie du langage.** Hachette, 1979. PP : 417 - 419.

أما المجموعة الأخيرة فتشمل مجموعة من الوحدات المعجمية التي تولِّدُ تيمات تُمكِّنُ من تحديد السمات العامة لهذه الشخصية.

نلاحظ أن مجموعة من الوحدات (الحجرات، الأنيقة، المعرض) تشير أولا للإطار المكاني الذي توجَدُ به هذه الشخصية وهو المعرض. أما الوحدات المعجمية الأخرى في المجموعة (إئْذَنَّ لي أن أقدِّمَ إليكُن صديقي الأستاذ محمد نور الدين سيد شعراء الشرق، فابتسمن إليه بترحيب إلا واحدة رددت النظر بينه وبي الأرملة، وقالت ضاحكة : يالها من نكتة بارعة يا سيدتي) فتُبَيِّنُ بداية مرحلة آكتشاف وضع هذه الشخصية، إذ إن محاورة الأرملة تنفي أن تكون شخصية علي أفندي جبر هي شخصية الشاعر، بمعنى أن الوحدات المعجمية تمكن من الكشف عن ظاهر وكينونة شخصية علي أفندي جبر. تترسخ هذه الدلالة الجزئية (الكشف) لدى المتلقي بقراءة الوحدات المعجمية الأخرى التي تتضمَّنها المجموعة الثالثة والتي تشير إلى نفس الدلالة، فالوحدات المعجمية (وكان علي أفندي في حالة يُرثى لَها، وقد خانته جسارته تلقاء نظرات السيدة الجريئة التي لا شك تعرف الشاعر الأصلي تمام المعرفة، فلم يجد مناصا من الهرب، فتظاهر بالدهشة، وابتسم إلى الأرملة البائسة وقال : كلا يا سيدتي... أنا موظف بوزارة الزراعة) تؤكد دلالة الكشف الجزئية الأولى، فالوحدات المعجمية التي يتضمنها القول السردي الأخير المنجز من طرف الشخصية نفسها (أنا موظف بوزارة الزراعة) تبرز اعتراف الشخصية بوضعيتها الحقيقية أي بكينونتها، لذلك يمكن آختزال الدلالات الجزئية لهذه الوحدات المعجمية إلى تيمة موحدة ومتجانسة : الشاعرية المزيفة، وتبين هذه التيمة لعبة الكينونة والظاهر التي بنى عليها الكاتبُ وضعية الشخصية داخل النص السردي. فإذا كان المقطع الأول هو المقطع الذي تتكون فيه صفة (الشاعر) التي هي صفة ظاهرة فالمطقع الأخير تم فيه عملة الكشف التي تحول الشاعر إلى وضعية أخرى هي وضعية الكينونة، حيث يتم تحديد صفته المرتبطة بكينونته (موظف بوزارة الزراعة، يوجد إذن بين المقطعين الأولي والنهائي تحول من الظاهر إلى الكينونة، وهذا التحول سلبي كما سيُبرز تركيبُ عناصر التحليل، إذ سوف لن يساعد هذه الشخصية على الوصول إلى مبتغاها.

بعد تحليل جملة الوحدات المعجمية المنتظمة داخل الخطاب القصصي والتي تشير إلى مجموعة من صفات الشخصية الأولى، سنعمد إلى تحليل جملة الوحدات التي تلتصق بالشخصية الثانية في النص.

ــ الجدول الثاني : شخصية : أرملة علي باشا عاصم.

المجموة الأولى:

ــ السيدة الجالسة. ص. 12

ممتلئة الجسم ناضجة الأنوثة. ص. 13.

يُزَيِّنُ وجهها العاجي حُسْنٌ تركي مُمَصَّرٌ. ص. 13.

ــ روعة الحسن. ص. 13.

المجموعة الثانية	ــ يدل على طبقتها العالية ثَوبُها الأُنيق ونظرتها الرفيعة وحليها الثمينة. ص. 13 ــ ترك لها مالا وجاها وإسما عظيما. ص. 16.
المجموعة الثالثة	ــ ضايقها ظهور منافسة خطيرة لها من أرملة الدكتور إبراهيم باشا رشدي. ص.16. ــ وضعتهما المواصفات في حي واحد وأغرت بينهما العداوة والبغضاء. ص.16. ــ فكلتاهما تتمتَّعُ بأنوثة ناضجة وجمال فتان وثروة طائلة . ص 16 ــ فكانت كل منهما تعتز بنفسها وتودُّ لو يَغلب نورها نور الأُخرى فتنافستا في آقتناء السيارات الثمينة. ص. 16.
المجموعة الرابعة	ــ وكان آخر مانما إلى مسامعها من أخبار منافستها ما لاَكَتْهُ الألسُن من أن الموسيقار المعروف الأستاذ الشربيني قد شغف بها حبا، وأن الدور الذائع الصيت «حبيت ياقلبي» الذي يتغنى به المصريون جميعا وتهو إليه نفوسهم لحن بوحي جمالها. ص : 17 ــ وما عَلِمَتْ بهذه الأخبار حتى آلْتَهَبَتْ نَفْسُها آلتهابا وآحترق قَلْبُها احترقاً : وتلفتت يُمنة ويسرة تَبْحَثُ عن عاشق «شهير» تصير بحبه حديثا ممتعا وتغدو له وحيا ملهما، فذكرت شاعر مصر محمد نور الدين. ص. 17 ــ وفي تلك الأثناء رأت الشاعر مصادفة في التياترو.ص.17
المجموعة الخامسة	ــ إئذن لي أن أقدم إليكن صديقي الأستاذ محمد نور الدين سيد شعراء الشرق. ص. 25. ــ يالها من نكتة بارعة يا سيدتي ص : 25. ــ وكان علي أفندي في حاله يرثى له، ص. 25. ــ ألست أنت الشاعر ؟ ــ كلا يا سيدتي... أنا موظف بوزارة الزراعة. ص. 26 ــ ألم تقابلني قبل الآن ؟ ــ لم يحصل لي هذا الشرف يا سيدي. ص. 26.

يمثل هذا الجدول تجميعا للوحدات المعجمية التي تشير دلالاتها إلى مجموعة من سمات هذه الشخصية. لذلك سنحاول قراءة هذه الوحدات في **آنتظامها الأفقي** أي في ترابطها، لأن هذا الترابط يُنتِجُ دلالات جزئية قادرة على توليد تيمة موحدة ومتجانسة.

تتكون المجموعة الأولى من الوحدات التي تفترضُ الواحدة منها الأخرى : ذلك أن وحدات معجمية مثل (ناضجة الأنوثة، يُزَيِّنُ وجهَهَا حسنٌ تركي) تشير إلى دلالة الحسن التي لا تتأكد إلا نتيجة للوحدات المعجمية الأخرى التي تضمها المجموعة (روعة الحسن) والتي تترابط مع الوحدات المعجمية الأولى. ويمكن اختزال هذه الدلالات إلى تيمة موحدة ومتجانسة هي تيمة : الجمال.

تتميز المجموعة الثانية بتسلسل مجموعة من الوحدات التي تترابط لتولِّد دلالةً متجانسة، فالوحدات المعجمية (طبَقَتُهَا العالية، ثوبها الأنيق، نظرتها الرفيعة حليها الثمينة) تُحدِّدُ طبيعة الوضعية الاجتماعية الراقية عند هذه الشخصية وتتأكد هذه الدلالة الجزئية نتيجة التداعي الحاصل على مستوى عملية القول والذي يضيف وحدات معجمية تؤكد نفس الدلالة (تَرَك لها مالاً وجاهاً)، لذلك نستنتج بأن الوحدات المعجمية المُكوِّنة لهذه المجموعة تُولِّدُ تيمةً موحدة ومتجانسة : الثراء، وتتضمن هذه التيمة سمة أخرى لهذه الشخصية.

تشمل المجموعة الثالثة مجموعة من الوحدات المعجمية التي تصف هذه الشخصية في علاقتها بشخصية أخرى من شخصيات النص هي :

أرملة الدكتور إبراهيم باشا رشدي. فالوحدات المعجمية (ظهور منافسةٍ خطيرةٍ لها هي أرمَلَةُ الدُّكتور إبراهيم باشا رشدي، أغرت بينهما العداوة والبغضاء) تحدِّدُ نوعية العلاقة بين الشخصيتين وهي علاقة **تضاد**، تُنافِسُ، بمقتضاها، كل واحدة الأخرى. وهذه العلاقة ناتجة عن اشتراك الشخصيتين في سمات مماثلة. فالوحدات المعجمية. (فكلتاهما تتمتع بأنوثة ناضجة وجمال فتان وثروة طائلة) تبين أن سمات (الحُسن والثراء) مشتركةٌ بين الشخصيتين، لذلك فإن رغبة كل واحدة في التميُّز هي التي تحدد علاقة التضاد، وتبرز هذه العلاقة من خلال الوحدات المعجمية التي تتضمنها المجموعة (كل منهما تعتز بنفسها وتودُّ لو يَغلُبُ نورها نور الأخرى فتنافستا)، إذ إن وحدة معجمية مثل (منافستها) تعد محْوَرية، **فهي** تتكرر على مستوى الخطاب لتؤكد علاقة التضاد، لذلك فإن الدلالات الجزئية لهذه الوحدات المعجمية قابلة لأن تختزل إلى تيمة موحدة ومتجانسة : منافسة أرملة الدكتور إبراهيم باشا رشدي.

نلاحظ بالنسبة المجموعة الرابعة أنها تتكون من وحدات معجمية يمكن أن تولد سمات متغايرة بالنسبة للشخصيبتين النسائيتين، فالوحدات المعجمية (نما إلى مسامعها من أخبار منافستها (أرملة الدكتور إبراهيم باشا رشدي) مَالاَكَتْه الألسن من أن الموسيقار المعروف الأستاذ الشربيني قد شغف بها حباً، وأن الدور الذائع الصيت «حبيت ياقلبي» الذي يتغنى به المصريون جميعا قد لُحِّن بوحي جمالها) تشير إلى ذيوع صيت منافستها، **هذا المقوم السياقي**

الذي توكّدُهُ هذه الوحدات هو الذي يفسر دلالة الوحدات الأخرى في المجموعة التي ترتبط بشخصية أرملة على باشا عاصم، فالوحَدَاتُ المعجمية (تلفتت يمنة ويسرة تبحث عن عاشق «شهير» تصير بحبه حديثا ممتعا وتغذو له وحيا ملهما فذكرت شاعر مصر محمد نورالدين) تشير إلى رغبة الأرملة في اكتساب نفس سمة الأرملة المنافسة (ذيوع الصيت)، وتتأكد هذه الدلالة نتيجة تكرار مجموعة من الوحدات التي تشير إلى نفس المقومات (التهبت نَفسُها التهابا، احترق قلبها احترقا)، تشير هذه الوحدات المعجمية إلى دلالة الرغبة عند هذه الشخصية، لذلك فإن وحدات المجموعة الأخرى تؤكد هذه المقومات. فوحدات المجموعة الأخرى (تلفتتْ يمنةً ويسرةً تبحث عن عاشق «شهير»، فذكرت شاعر مصر محمد نور الدين) تبين ارتباط شخصية الأرملة بشخصية علي أفندي جبر الذي يحمل صفة ظاهرة «كاذبة» هي الأستاذية وكتابة الشعر. ارتباط شخصية المرأة بشخصية علي أفندي جبر يعني اتصالها بسمة الشهرة التي سَتضمنُها لها هذه العلاقة. يمكن أن نلاحظ أن الوحدات المعجمية ولدت مجموعة من الدلالات الجزئية (ذيوع صيت المنافسة، رغبتها في الشهرة» ارتباطها بالشاعر المزيف) التي يمكن اختزالها إلى تيمة موحدة ومتجانسة : صداقة الشاعر المزيف.

نلاحظ أولا، بالنسبة للمجموعة الخامسة أن الوحدات المعجمية التي تتضمنها تندرج ضمن المقطع النهائي في القصة، وقد تبين لنا من خلال تحليل سمات الشخصية الأولى (علي أفندي جبر) أن الوحدات المعجمية التي ميزت هذه الشخصية في المقطع النهائي قد ولدت دلالة الكشف بالنسبة لهذه الشخصية حيث تم اكتشافها لتنتقل من صفتها الظاهرة (شاعر) إلى صفة الكينونة (موظف)، لذلك سنلاحظ أن هناك قاسما مشتركا بين الشخصيتين، إذ سيتمُّ في المقطع النهائي أيضا كشف شخصية أرملة علي باشا عاصم، فالوحدات المعجمية : «ألَسْتَ أنت الشاعر ؟

ــ كلا يا سيدتي... أنا موظف بوزارة الزراعة)

كلها تبرز مرحلة الكشف لوضعية شخصية أرملة علي باشا عاصم التي انتقلت من وضعية الشاعر «الشهير» إلى صديقة موظف مغمور بوزارة الزراعة انتحل صفة الشاعر ليحقق موضوع رغبته : الارتباط بأرملة علي باشا عاصم، لذلك فإن هذه الشخصية تنتقل أيضا من الظاهر إلى الكينونة.

2.3. توزيع الأدوار التيماتيكية والممثلين :

يعتمد تحديد الأدوار التماتيكية والممثلين على التحليل السابق لسمات الشخصيات، لذلك فإن تحديد الأدوار التيماتيكية سيتم بناء على التيمات التي تم استنتاجها، ذلك أن التيمات، كخطوة أولى في التحليل، قادرة على إبراز نوعية العلاقات بين الشخصيات. ان «التيمة» تشكل أيضا دورا، وعلى المستوى اللساني يمكن أن نجد لها مقابلا بنيويا في كلمة «فاعل» الذي يمكن

أن يكون في نفس الوقت «إسما» (une figure nominale) وفاعلا (= دور تركيبي).[11]
تشير التيمة ضمنيا، بناء على هذا التحديد، إلى دور معين، فتيمة مثل : الصيد، تتضمن دور تيماتيكيا هو الصياد، أي أنها تشير إلى فعل أولا (فعل الصيد) ثم إلى دور تيماتيكي (مهني). لذلك فإن كل تيمة من التيمات المستنتجة تتضمن فاعلا ينجز دورا معينا، وحسب هذا التحليل سيتم توزيع هذه التيمات على مجموعة من الممثلين الذين ينجزون دوراً أو مجموعة من الأدوار التيماتيكية التي يمكن أن تُحدد العلاقات بين هؤلاء الممثلين.

ـــ شخصية علي أفندي جبر :

لقد أدى تحليل الوحدات المعجمية المنتظمة داخل الخطاب القصصي والتي تحدد سمات هذه الشخصية، إلى استنتاج مجموعة من التيمات الموحدة والمتجانسة (الوظيفة، الأستاذية وكتابة الشعر، الشاعرية المزيفة). وتمكن هذه التيمات من إدراج مفهوم الدور التيماتيكي، إذ أن هذه التيمات قابلة لأن تختزل إلى مجموعة من الأدوار التيماتيكية التي ينجزها الممثل علي أفندي جبر.

فعلي أفندي جبر كشخصية، يقوم أيضا بدور الممثل لكونه يقوم بمجموعة من الممارسات والإنجازات داخل الإطار السوسيوثقافي، أي قبل أن يكون عاملا Actant يقوم بفعل وظيفي أساسا، فهو أيضا ممثل Acteur[12] يقوم بمجموعة ممارسات سوسيوثقافية وهي أدوار تتوزع بين ما هو حرفي، مهني، اجتماعي، عائلي، وثقافي... لذلك يمكن اختزال هذه التيمات إلى مجموعة من الأدوار التيماتيكية :

ـــ على المستوى الاجتماعي ـــ المهني :

فإن التيمة : الوظيفة، تختزل إلى دور تماتيكي ينجزه الممثل علي أفندي جبر : الموظف.

ـــ على المستوى الاجتماعي ـــ الثقافي :

فإن التيمة : الأستاذية ـــ كتابة الشعر، ،تحمل ضمنيا دورين تماتيكيين : أستاذ، شاعر.

ـــ على المستوى الاجتماعي ـــ النفسي :

فإن تيمة : الشاعرية، المزيفة تتضمن دورا تيماتيكيا : شاعر مزيف.

يبين توزيع هذه الأدوار أن الممثل علي أفندي جبر ينجز مجموعة من الأدوار التيماتيكية على مستويات مختلفة. تبرز هذه الأدوار مجموعة الممارسات التي يقوم بها هذا الممثل على مستوى السياق الاجتماعي ـــ الثقافي.

أهمية هذه الأدوار التيماتيكية تتضح في أنها قادرة على تحديد علاقات التوافق أو التضاد بين هذا المثل والممثلين الآخرين.

(11) Ibid, P.64.

(12) Ibid. P; 64

ــ **شخصية أرملة علي باشا عاصم :**

مكنت قراءة الوحدات المرتكزة حول هذه الشخصية من استنتاج مجموعة من التيمات (الجمال، الثراء منافسة أرملة الدكتور إبراهيم باشا رشدي، صداقة الشاعر المزيف، كشف وضعية الشخصية المزيفة).

إذا كانت هذه التيمات مرتبطة بالشخصية، فإنها تشير إلى الممارسات التي تنجزها الشخصية على المستوى الاجتماعي ــ الثقافي، ويمكن تحديد هذه الممارسات على شكل أدوار تماتيكية وذلك انطلاقا من التيمات المستنتجة التي تتضمن أدوارا مرتبطة بمستويات متغايرة : المهني، الاجتماعي، الثقافي.. حيث تصبح الشخصية ممثلا يؤدي شبكة من الأدوار التيماتيكية

على المستوى الاجتماعي ــ الثقافي :

فإن التيمة : الجمال، قابلة لأن تختزل إلى دور تيماتيكي ينجزه الممثل ــ الأرملة : جميلة وهو دور اجتماعي ــ ثقافي إذ يرتبط بالجمال كقيمة ثقافية.

ــ على المستوى الاجتماعي :

فإن التيمة : الثراء، تشير بشكل ضمني إلى دور تيماتيكي : ثرية

ــ على مستوى السياق الاجتماعي ــ النفسي

فإن التيمة : منافسة أرملة الدكتور إبراهيم باشا رشدي، تحمل دورا تيماتيكيا ينجزه هذا الممثل : منافسة أرملة باشا رشدي.

ــ على مستوى السياق الاجتماعي ــ الأخلاقي.

فإن التيمة : صداقة الشاعر المزيف، تتضمن دورا تيماتيكيا : صديقة الشاعر المزيف.

أما التيمة الأخيرة : كشف وضعية الشخصية المزيفة، فإنها تشير إلى درو تماتيكي ذي بعد اجتماعي ــ أخلاقي : شخصية مزيفة. بعد استنتاج مجموعة الأدوار التيماتيكية التي ينجزها الممثلون على مستوى السياق ــ ألاجتماعي ــ الثقافي، يمكن تجميع الأدوار التيماتيكية لكل ممثل ومقارنتها ببعضها البعض. تمثل هذه الأدوار الممارسات والإنجازات التي يؤديها كل ممثل على مستوى السياق الاجتماعي ــ الثقافي، لذلك فإنها قادرة على تحديد نوعية العلاقات بين الممثلين، إذ يمكن استغلال هذه العلاقات (علاقات التوافق، التضاد أو الرغبة) في تحديد الحالات والتحولات على مستوى التركيب السردي.

الممثلون	الأدوار التيماتيكية
علي أفندي جبر	موظف (الكينونة) ــ أستاذ ــ شاعر (الظاهر) ــ شاعر مزيف.
أرملة علي باشا عاصم	جميلة ــ ثرية ــ منافسة أرملة باشا رشدي صديقة الشاعر المزيف (الظاهر)ــ شخصية مزيفة (الكينونة).

تبين معطيات هذا الجدول اشتراك الممثلين، على مستوى الأدوار التيماتيكية، في لعبة : الكينونة والظاهر، وتفسر هذه اللعبة نوعية العلاقات بينهما، فالممثل : علي أفندي جبر ينتحل أدوارا تيماتيكية (أستاذ ــ شاعر) وذلك محاولة منه للتأثير على الممثل الثاني : أرملة علي باشا عاصم، الذي يستجيب للممثل الأول بأن يقبل وضعيته «الظاهرة» ويربط به علاقة بناء على هذه الوضعية، إذ إن الممثل الثاني (أرملة باشا عاصم) سيُحاول بدوره الحصول على «الشهرة»، شهرة الممثل : علي أفندي جبر (الأستاذ ــ الشاعر) على مستوى الظاهر و (الموظف بوزارة الزراعة) على مستوى الكينونة.

يمكن أن نستنتج من خلال هذه المقارنة المبنية على الأدوار التيماتيكية أن هناك علاقة رغبة متبادلة بين الممثلين، بمعنى أن كل واحد يمثل بالنسبة للآخر موضوعا يرغب فيه وأن هذه الرغبة مزدوجة

3.3 تركيب : لعبة الكينونة والظاهر

لقد مكن تحليل الوحدات المعجمية التي يتضمنها الخطاب استنتاج مجموعة من التيمات التي تم اختزالها إلى أدوار تيماتيكية يؤديها ممثلون، وقد مكنت الأدوار التيماتيكية من تحديد أولي لنوعية «العلاقة بين الممثلين وهي علاقة الرغبة المتبادلة». ويمكن اعتمادا على مقاربة تتدرج من العام إلى الخاص،تحديد هذه العلاقة على مستوى التركيب السردي الذي يتحكم في المحور العمودي للنص : العوامل كوحدات تركيبية ووظائفها التي تحدد البرنامج السردي العام في النص.

يمكن انطلاقا من بنية الممثلين المحددة سابقاً، الوصول إلى تحديد العوامل المتحكمة في النص. ان بنية الممثلين بنية وساطية، فهي تُنْقُلُنا على مستوى التحليل، من الشخصيات إلى تحديد العوامل وذلك لأن «الممثل يكون فضاء اللقاء والاتصال بين البنيات السردية والبنيات الخطابية (...) فهو يؤدي دورين على الأقل : دور عاملي ودور تيماتيكي»[13].

(13) Ibid, P. 66

لقد مكننا تجميع الممثلين ومقارنة الأدوار التيماتيكية التي يؤدونها على استنتاج نوعية العلاقة التي تربط بين الممثلين الأساسيين : علي أفندي جبر وأرملة علي باشا عاصم. هذه العلاقة مبينة أساسا على مقوم دلالي هو الرغبة، إذ يرتبط كل واحد بالآخر من خلال محور يتميز بمقوم : الرغبة. إن هذا المقوم أساسي، إذ بموجبه يمكن لمُمثل ما أن يؤدي وظيفة العامل ــ الذات الأساسية، أي حين تصبح له رغبةٌ في تحقيق موضوع ضمن برنامج سردي داخل النص. فلا «يوجد هناك تحديد ممكن للعامل الذات دون علاقته بالموضوع والعكس أيضا صائبٌ»(14).

غير أن الملاحظ من خلال تحليل العلاقة بين الممثلين أن مقوم الرغبة مشترك، ويرْبِطُ بين كل ممثل في علاقته بالآخر، وهذا النمط من العلاقة يجعلنا نستنتج أن كل واحد من الممثلين يؤدي وظيفة العامل ــ الذات ويحدد لنفسه موضوعا هو العامل الآخر، وهذا يبين أننا أمام وضعية تبرز مزدوجة، إذ يكشف التحليل عن وجود عاملين وموضوعين، فكل عامل بناء على علاقة الرغبة المتبادلة والمزدوجة، يمثل موضوعا بالنسبة للآخر بمعنى أن كل واحد من العاملين هو **عامل وموضوع** في نفس الآن، وهو عامل له موضوع يرغب فيه، ويمثل في نفس الوقت موضوعا مرغوبا فيه من قبل العامل الآخر. فالعامل : علي أفندي جبر يحدد لنفسه موضوعا يرغب في الارتباط به هو : أرملة باشا عاصم، وأرملة علي باشا عاصم عامل يرغب في موضوع هو : علي أفندي جبر. ان هذه العلاقة التركيبية المزدوجة تتحدد من خلال الموضوع الذي لا يكون، في البداية، إلا **فضاءاً تركيبيا**، ولا يكتسي أهميته إلا حين يشحن دلاليا، أي يكتسب **قيمة معينة** : فالموضوع له أهميته بالنسبة للعامل أساسا من حيث هو موضوع قيمة (objet de valeur)(15) ان الموضوع يأخذ أهميته ممّا يتضمنه من قيم : فأرملة علي باشا عاصم هي موضوع بالنسبة للعامل الأول (علي أفندي جبر) يتضمن قيما أساسية بالنسبة إليه يرغب فيها وهي التي حددها التحليل من خلال التيمات (الثراء، الجمال)، أما علي أفندي جبر فهو يتضمن كموضوع بالنسبة للعامل الثاني : أرملة علي باشا عاصم، مجموعة قيم حددها التحليل (الأستاذية، الشهرة) وهي قيم كما لاحظنا ترتبط فقط بالظاهر ولا ترتبط بالكينونة.

تبين هذه العناصر التحليلية أن النص يتمفصل وفق برنامجين سرديين، إذ يَسعى كلُّ عامل إلى إنجاز برنامجه السردي، ويمكن أن نصوغ هذه الوضعية التركيبية على شكل رموز تبين ازدواجية البرنامج السردي في النص.

المقطع الأولي : الحالة الأولى

---

(14) أنظر : Préface de Greimas in
COURTES (Joseph). Introduction à la sémiotique narrative et discursive, Hachette, 1976.P. 13

(15) Ibid,P.21

(عا 1 V موعا 2) **عا1 = علي أفندي جبر، موعا 2 = عا 2 كموضوع لـ : عا 1.**
(عا 2 V موعا 1) **عا2 = أرمله علي باشا، موعا 1 = عا 1 كموضوع لـ : عا 2.**

يمكن القولُ إننا أمام قول سردي يقدم الحالة الأولى التي توجد عليها البنية التركيبية في المقطع الأولي من النص، فالمقطع الأولي يبين وجودُ عاملين، كلُّ واحد يحدُد لنفسه، على محور الرغبة، موضوع ــ قيمة يريد امتلاكه، غير أن حالة الانفصال هي التي تميز العلاقة بين كل عامل والموضوع الذي يرغب فيه، إذ يظل كل عامل في انفصال عن موضوع رغبته. غير أن علاقة الرغبة المتحكمة في المسار السردي ستؤدي إلى تحول من حالة الانفصال المميزة للمقطع الأولي إلى حالة مغايرة هي حالة الاتصال والتي تُميز المقطع الخامس كمقطع وساطي أساسي في النص.

يتميز المقطع الخامس بحالة الاتصال على مستويين :

الفضاء : تشير كلُّ الأقوالِ السردية في هذا المقطع (ستعود معي إلى القصر. ص :23) إلى ارتباط العاملين بفضاء مكاني واحد : القصر. المستوى التركيبي : تبين الأقوال السردية أن الاتصال المكاني يرتبط باتصال على مستوى العلاقة التركيبية بين العاملين (ثم سارت بهما السيارة وحدهما إلى القصر السعيد. ص 24) إذ تتغير العلاقة من حالة الانفصال إلى حالة اتصال يتكمن كل عامل إثرها من امتلاك القيم التي يرغب فيهاوهي (الثراء الجمال) بالنسبة للعامل الأول (والشهرة، العلاقة بشاعر كبير) بالنسبة للعامل الثاني : أرملة علي باشا عاصم. ويمكن صياغة هذه الحالة الجديدة على شكل رموز كالتالي :

(عا 1 Λ موعا 2)
(عا 2 Λ موعا 1)

نلاحظ أن هذا الاتصال الذي تم بين العاملين، في إطار **البرنامج السردي المزدوج**، ينبني على تبادل «échange» بين العاملين حصل بموجبه، كل واحد على الموضوع الذي يرغب فيه. وعلى مستوى عام حصل كل واحد على القيم التي يرغب في امتلاكها. غير أن هذا التبادل لا يُعد نهائيا لأنه تبادل «خادع»، بمعنى أنه ينبني على المقولة الاثنانية الأساسية : الكينونة والظاهر. هذه الثنائية هي التي جعلت التبادل ممكنا : فالعامل 1 (علي أفندي جبر) أصبح ذا قدرة على إنجاز برنامجه السردي انطلاقا من الأدوار التيماتيكية الظاهرة (أستاذ، شاعر) التي لا ترتبط بكينونة (موظف بوزارة الزراعة) أما العامل 2 (أرملة علي باشا عاصم) فإنه تمكن من الاتصال بالموضوع ــ القيمة اعتماداً على الأدوار التيماتيكية الظاهرة (صديقه الشاعر) وذلك ليصبح ذائع الصيت كما هو الأمر بالنسبة «للشاعر». فثنائية الكينونة والظاهر هي التي جعلت الاتصال ممكنا وإلا ظلت الحالة كما في المقطع الأولى، حالة انفصال غير أن هذا الاتصال لايشكل اتصالاً محققا بل هو اتصال «هش» لأنه تم بناء على قدرة «زائفة» مبنية فقط على

ما هو ظاهر وليس على ما يرتبط بكينونة العاملين، لذلك فإن ظهور عناصر جديدة في المقطع النهائي ستؤثر على هذه الحالة وتخلق تحولا جديدا يغير من وضع العاملين في علاقتهما بالموضوع.

يتميز المقطع النهائي بكون أقواله السردية تتمركز حول فضاء مكاني موحد (معرض الفنون الجميلة) يرتبط به كل من العاملين 1 و 2. غير أنه يشمل عناصر تؤثر على حالة الاتصال التي يتميز بها المقطع الخامس، فالكاتب يدمج في هذا المقطع النهائي شخصية جديدة غير محددة السمات، فهي تحمل سمة واحدة (صديقة الأرملة ص. 25) لكنها ستقوم بتغيير وضعية العاملين ويتضح ذلك من خلال الأقوال السردية التي يشملها المقطع النهائي.

إئذن لي أن أقدِّم إليكن صديقي الأستاذ محمد نور الدين سيد شعراء الشرق.

ــ يالها من نكتة بارعة يا سيدتي ص : 25.

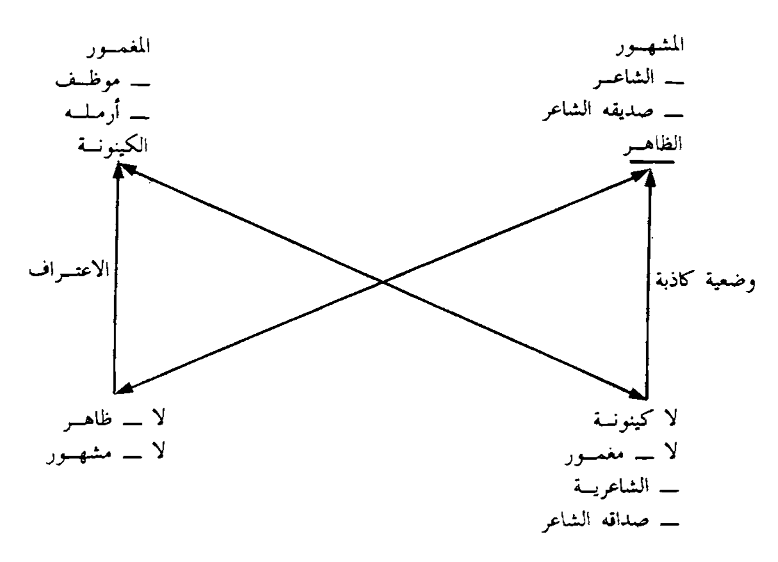
ــ ألست أنت الشاعر ؟

ــ كلا يا سيدتي... أنا موظف بوزارة الزراعة. ص.26.

يمثل القول السردي (يا لها من نكتة بارعة يا سيدتي) الذي تنجزه هذه الشخصية، عنصرا محولا، إذ يكشف هوية الشخصية ويظهر كينونتها. ويعضِّدُ السرد هذا العنصر المحول بقول سردي يتضمن اعتراف العامل الأول (كلاً يا سيدتي... أنا موظف بوزارة الزراعة). يتضمن هذا القول السردي الذي أنجَزه العاملُ الأولُ اعترافا بالوضعية الجديدة التي أصبح عليها وهي التي تنزع عنه الأدوارالتيماتيكية (الأستاذية،الشاعر) وتعيدُه إلى وضعيته الأولى (موظف).

يؤدي هذا التحول من الظاهر إلى الكينونة، على المستوى التركيبي، إلى تحول من حالة الاتصال مع الموضوع ــ القيمة إلى حالة انفصال بالنسبة للعاملين، ذلك أن فقدان العامل الأول لوضعيته الظاهرة «أستاذ شاعر» جعلته يفقد الموضوع ــ القيمة لأن شروط امتلاكه للموضوع قد ألغيت بعد مرحلة الاكتشاف. وتفس الأمر بالنسبة للعامل الثاني (أرملة علي باشا) الذي أصبح في حالة انفصال عن الموضوع القيمة، لأن شروط اتصاله بالموضوع ــ القيمة قد تغيرت، فالموضوع القيمة (العامل 1) لم يعد يحمل نفس المقومات الدلالية السابقة (الشهرة الأستاذية) التي تحدد قيمته كموضوع يرغب فيه العامل 2. إن **الاعتراف** في هذا المقطع مزدوج فهو اعتراف يكشف هوية كل من العاملين ويجري على وضعيتهما تحولا سلبيا. أي أنه ينقلهم من حالة اتصال إلى حالة انفصال. وينتج عن هذا التحول أن كل عامل يفقد موضوعه الذي يرغب فيه. وبذلك يعودان إلى الحالة التي يوجدان عليها في المقطع الأولي وهي حالة الانفصال ويكون البرنامج السردي، نتيجة لفقدان الموضوع، سلبيا.

ويمكنُ صياغةُ حالاتِ وتحولاتِ البرنامج السردي انطلاقا من مُربع سيميائيٍ نبين فيه دلالة لُعبة الكينونة والظاهر التي تنبني عليها وضعيةُ العوامل.



يمكن من خلال هذا المربع السيميائي إبرازُ التحولات التي خضع لها العاملان ودلالة هذه التحولات من خلال لعبة الكينونة والظاهر.

يعدُّ هذا المُربع قابلاً لإبراز وضعيةِ العاملين 1 و 2. إن تحديد المقومين : المغمور، المشهور، المميزين للعاملين يتم بناء على الأدوار التيماتيكية التي ينجزها كل منهما. وهي تتعلق بالكينونة من جهة (موظف، أرملة) وبالظاهر الذي يتحدد من خلال الأدوار التيماتيكية (شاعر، صديقة الشاعر).

إن انتقال كل عامل من مقوم إلى آخر يوافقه، على المستوى التركيبي، تحولُ العامل من حالة إلى أخرى، فانتقال العاملين من اللا ـ ظاهر (المغمور) إلى الظاهر (المشهور) هو اتخاذ لوضعية «كاذبة» أو مزيفة، أي اكتسابٌ لصفة لا توجد بالنسبة للعاملين (الشهرة) ولكنها تظهر اعتماداً على أدوار تيماتيكية (كالشاعر) بالنسبة للعامل الأول و (صديقة الشاعر) بالنسبة للعامل الثاني وهي أدوار ظاهرة. هذا الانتقال المبني على الظاهر هو الذي توازيه على مستوى البرنامج السردي حالة الاتصال بين كل عامل وموضوعه في المقطع الخامس. غير أن تحقق الاتصالِ اعتماداً على **قدره ظاهرة** غير «حقيقية» هو الذي يؤدي إلى الانفصال في المقطع النهائي للنص، الذي يعد مقطعَ اعتراف.

ويوافقُ حالة الانفصال. على مستوى المربع السيميائي، الانتقالُ من اللاّكينونة المحددة من خلال مقوم لا ـ مغمور (= مشهور) المتولد عن الأدوار التيماتيكية الظاهرة (شاعر ـ صديقة الشاعر) إلى الكينونة، أي إلى ما يوجد عليه العاملان في حالتهما الأولى غير الظاهرة والتي تتميز بالمقوم : المغمور الذي يتحقق نتيجة الأدوار التيماتيكية = (موظف، أرملة). ويتحقق هذا الانتقال في المقطع النهائي، إذ يتم الكشفُ عن كينونة العاملين : لذلك يُعد هذا المقطع مقطع اعتراف.

إن لعبةَ الكينونة واالظاهر التي انبنت عليها وضعية العاملين وظيفية، فقد مكنتنا من إبرازِ التحولاتِ التي ميزت التطور الديناميكي للبرنامج السردي في النص. تشكل هذه اللعبةُ أيضا خاصية فنية اعتمدتْها الكتابة في النص لخلق محورين دلاليين متقابلين : محور يرتبط «بكينونة» العاملين والتي تتحدد من خلال الأدوار التيماتيكية : موظف أرملة علي باشا، ومحور ثانٍ يرتبط «بظاهر» العاملين. إن المسافة الفاصلة بين المحورين الدلاليين هي النتيجة الأساسية للعبة الكينونة والظاهر، حيث تخلُق مفارقة دلالية تضع العوامل في **وضعية ساخرة.**

إن الاعتراف الذي يتمُّ فيه الانتقالُ من الظاهر إلى الكينونة يُبين الوضعيةَ «الزائفة» التي توجد عليها العواملُ، والكشف عن هذه الوضعية هو سُخرية من هذه العوامل، وعلى مستوى عام، هو سخريةٌ من نسقِ القيم الاجتماعية ــ الثقافية المزيفة التي تتعامل بها الفئات الاجتماعية المُحددة في النص من خلال بعض الوحدات المعجمية. (جماعة من السيدات الأرستقراطيات ص 25).

وتتحدد هذه السُّخريةُ على طرفي عملية التواصل، فهي ترتبط برؤية الكاتب الساخرة التي تكشف مظاهر الزيف في السلوكات وكذلك بقراءة المتلقي.

إن لعبة الكينونة والظاهر تحدد السخرية كصورة بلاغية[16] تنبني على بُعدٍ دلالي يتجلى في المفارقة الدلالية بين محورين، وعلى بُعد تداولي، إذ لا يُمكن نفي موقف الكاتب الذي يكمُن وراءَ الخطاب، وكذلك القارىء الذي يقومُ بتركيب مكونات هذه الصورة البلاغية.

خاتمة :

يمكنُ أن نلاحظ، في نهاية التحليل، أن هناك علاقة بين العنوان (الزيف) كعنصر مُوازٍ للنص وبين العناصر التي قمنا بتحليلها وهي البنيةُ التركيبية للعوامل، ولعبة الكينونة والظاهر. على المستوى الدلالي، يُشير العنوان إلى تشاكل «الزيف» الذي عمل النص على تمطيطه من خلال الوحدات المعجيمة، العناصر التركيبية ولعبة الكينونة والظاهر.

فقد عملتْ هذه المكونات على توليد مقومات سياقية كونت في تركيبها، تشاكلاً دلاليا متجانسا.

---

(16) انظر. Hutcheon (Linda) Ironie et parodie. Strategie et structure, in Poétique. N° 36. 1978. pp 467 - 477.

مصطلحات القصة في المغرب من بداية الأربعينات إلى نهاية الستينات

ذ. عبد الرحيم مودن

تقدم لنا هذه المصطلحات القصصية وجهات نظر الكتاب في الكتابة القصصية، أو طريقة التعامل مع الشكل القصصي الذي تعددت عناصره وملامحه بتعدد مصطلحاته. وقد لا يكون ضروريا البحث عن سند نظري تحكَّم في هذه المصطلحات التي زادت على الثلاثين مصطلحا، غير أن هذا لا يمنع من التأكيد على دلالاتها النابعة من حركة المجتمع أولاً، وحركة الأشكال الأدبية أثناء حوارها فيما بينها، أو أثناء إصغائها للدبيب الإجتماعي ثانيا.

وقد سبقت الإشارةُ إلى أن المصطلح القصصي ــ بالإضافة إلى العنصرين السابقين ــ تحكمت فيه عوامل خارجية ترتبط بالمنبر، الذي يساهم في ترويج مصطلحات معينة، بل التدخل ــ أحيانا ــ في التسمية ذاتها، وبالإضافة إلى ذلك تَحَكُّم الذوق السائد أثناء مرحلة محددة في عملية التصنيف، كما أن المتابعات النقدية التي لاحقت الإنتاج القصصي اقترحت تصنيفاتها ومصطلحاتها الخاصة.

ولو حاولنا تحديد مرتكزات هذا التعدد في المصطلح القصصي لوجدنا أن أهم مرتكزاته تكمن في الآتي :

أ ــ الكم الذي تحكم في الطول أو القصر. من هنا كان الفرق بين القصة القصيرة والأقصوصة والرواية فرقا كميا، الشيء الذي برز في التسميات العديدة التي خضعت لهذا

(1) أشرنا ــ في مناسبة أخرى ــ إلى مفهوم الحجم الذي يتجاوز الكم. ونؤكد في هذا المجال أن الحجم يستند إلى بُعد الطول من جهة، وبعد العرض من جهة ثانية، وهذا يقتضي التعامل مع النص القصصي أفقياً وعمودياً، الشيء الذي يفرض تجاوز مفهوم الكمِّ، بمعناهُ البسيط أو الساذج.

المقياس الكمي مثل «الأقصوصة القصيرة» و «القصة الصغيرة» و «الأقصوصة الصغيرة».. إلخ والفرق الكمي لا يعكس الفروق من حيث الحجم فقط بل يعكس التكامل من حيث الشكل أيضا. فالقصة تماثل الرواية بسبب ضغط العنصر الكمي في كل من العملين. وقد لا يقف الكم عند الملامح الظاهرة ــ التي لاتخلو من دلالة ــ، بل يصبح الكم ممتلكا لدلالة جديدة ترتبط بعملية التشكيل، الشيء الذي دفع بالكاتب إلى إنتاج «قصة في دقيقة» يمارس فيها التلميح والإشارة والتركيز على الجوهري دون العرضي... إلخ.

ب ــ المحتوى القصصي الذي تحكم في المصطلح؛ فالقصة الواقعية تناقض القصة الخيالية بسبب المحتوى الواقعي الملموس، الذي تجسده الأولى، وتخلو منه الثانية. والمحتوى تَحَكَّم مرَّةً أخرى في المصطلح، الذي جعل من القصة «قصة مغربية». وبالإضافة إلى هذا وذاك، فرض توفير المحتوى المحلي وتحويل القصة إلى بلاغ، مضحية بوسائل الإبلاغ، أي بالعناصر القصصية المحلية.

ج ــ توفر أساليب التشويق في بعض النماذج، فرض انتماءها ــ بالرغم من آفتقادها لعناصر التشكيل القصصي ــ إلى النص القصصي مع أنها لا تحمل هويتها القصصية بشكل صريح. هكذا كان كاتب المذكرات في مستوى واحد مع **كاتب الأحاديث**، وهذا الأخير يستوي مع صاحب «القطعة الأدبية» الذي بدوره لا يختلف عن كاتب «**الصور أو «الحالات القصصية**».

د ــ المعيارية، التي مكنت بعض كتاب القصة المغربية من تقديم النص القصصي، بمُصطلح محدد، يعكس معرفة مكتملة بأشكال القص وطرائقه. وقد سبقت الإشارة إلى أن العامل الزمني لم يكن وراء إنتاج القص بشكله المتكامل أوعدم إنتاجه، بل يمكن القول بخضوع النص القصصي لوضعية تزامنية Synchronique دون أن تكون وضعية تزمينية Diachronique، وهذا ما يفسر وجود مصطلحات قصصية مضطربة مازالت سائدة إلى الآن[2] ذلك أن مرحلة الستينات ــ وما بعدها ــ التي تميزت باستقلالية النص القصصي (قصة قصيرة أو رواية) وامتلاكه لبنيته المتكاملة من حيث التشكيل، أقول إن هذه المرحلة وما تلاها، لم تمنع من وجود التضارب في آستعمال المصطلح القصصي بسبب ارتباطاته المجتمعية من جهة، وبسبب تاريخيته التي خضعت للإنقطاع في مراحل محددة من جهة ثانية[3]، وبسبب «معاناته» من سيطرة أجناس أدبية أخرى غزته بمصطلحاتها الفنية من جهة ثالثة. هذه الصورة دفعت القارىء ــ كما اتضح أثناء التحليل ــ إلى الاعتقاد وكأن كل

(2) عبد الهادي قشقوشي : حلم الليلة الثانية بعد الألف، **شيء كالقصة القصيرة** الأساس عدد 10 و 11 نوفمبر 1983.

(3) وكأن كل عقد من عقود القص، يصبح بداية للكتابة القصصية بسبب الانقطاع الحاصل بين مراحله. فجيل الأربعينات لا علاقة له بجيل الخمسينات وهذا الأخير لا علاقة له بجيل الستينات..

مرحلة من مراحل الكتابة القصصية، بداية للجنس القصصي ذاته. من هنا برزت بعضُ الآراء التي جعلت من بداية الستينات بداية للقصة المغربية الحديثة مهملة بذلك هذه «الوفرة» النسبية في المصطلحات التي تدل ــ فيما تدل عليه ــ على وضعية القص في جدليته مع الأشكال الأدبية من جهة، ومع المجتمع من جهة ثانية.

وقد حاولنا أن تكون دلالة المصطلح منطلقة من سياقه التاريخي الذي أنتجه في مرحلة محددة، كما أننا وضعنا لكل مصطلح ما يقابله باللغة الفرنسية، التي حققت الكثير في ميدان الأجناس الأدبية عن طريق المعاجم المختصة. وفي حالة عدم توفر مقابل أجنبي للمصطلح ــ بسبب خُصوصيته نجتهد في البحث عن مقابل مصطلحي يراعي ما أمكن دلالته الفنية أولا والتاريخية ثانيا، ثم اللغوية أخيرا.

1 ــ قصة[4] Récit- conte- histoire

يعادل هذا مصطلح «الرواية»[5] وقد يصبح المصطلح في مستوى المسرحية[6] التي لا تعدو في رأي كاتبها أن تكون قصة مشخصة أو رواية مُمَثَّلة. والشائع أن مصطلح «قصة» في تاريخ القصة المغربية رادف الحكي أو السرد. وهذا ما يفسر انضواء الكثير من قصص الأربعينات والخمسينات والستينات تحت لواء السرد أو الحكي المشوق لما جرى. ويفسِّر من جهة ثانية ــ ارتفاع نسبة هذا النوع في الإنتاج القصصي عامة[7]

---

(4) يبدو أن آختلاف المطلح في اللغات الأجنبية دليل على اختلاف عناصره البنائية بين منطقة وأخرى.

(5) أنظر : عز الدين إسماعيل، الأدب وفنونه. ص 199، 200، 201.
شكري عياد : القصة القصيرة في مصر «دراسة في تأصيل فن أدبي» معهد البحوث والدراسات العربية، مصر 67 / 1968 ص 21 و 22.
أحمد المديني : فن القصة القصيرة في المغرب، في النشأة والتطور والإتجاهات. دار العودة، بيروت (د. تاريخ) ص 32. وانظر مقدمة «إنها الحياة» لأحمد البوعناني ص. 2. وكذلك «بوتقة الحياة» للبكري أحمد السباعي. ومعلوم أن هذا الأخير أطلق على «المخاض» ــ وهي من نفس الحجم ــ مصطلح رواية كما جاء على ظهر الغلاف وفي الصفحة الأولى أيضا. وإذا كان وضع المصطلح على الغلاف قد لا يدل على جنسه أحيانا، فإن الكتابين معا لا يختلفان في الجانب الشكلي، الذي ارتكز على مجموعة حوارات لا تنتهي بين المتكلم والآخرين في بوتقة الحياة بهدف تسجيل لقطات سيرية خاصة بالمتكلم، كما أن المتكلم، ــ بضمير الغائب ــ يتابع شهادته السيرية على مرحلة المقاومة المغربية، من خلال أسلوب الحوار مع الآخرين المؤيدين. والمعارضين لحركة المقاومة المغربية.

(6) أنظر مقدمة «رؤية ملك لمحمد الفزازي»، مطبعة النجاح. البيضاء، ص 3، 11

(7) عبد القادر السميحي : معجزة الأجراس،الأنوار، س 10، عدد 47 مارس أبريل 1955.

ورادف مصطلح «قصة «Histoire» الخبر المروي من طرف سارد معين. برز ذلك واضحا عند عبد العزيز بن عبد الله(8) وفي نصوص قصصية عديدة شكل فيها الخبر موضوع الحكي(9)

2 ــ قصة قصيرة Nouvelle

ــ رادف هذا المصطلح مصطلح «قصة»(10) .ولم يكن الفارق بينهما لمدة طويلة ــ إلا فارقا كميا، أو بعبارة أخرى كان الفارق بينهما يتحدد في الكمِّ عوض أن يحدد في الكثافة أو الشكل(11) وهذا ما أدى أحيانا إلى أن تصبح القصة القصيرة قصة مطولة أو «رواية قصيرة» يقوم بناؤها على تعدد اللحظات، وتطور الأحداث والمفاجآت والمسارب الجانبية، والإطناب في الوصف والأفعال المتناقضة المشحونة بمختلف العواطف....(12)

ولم يتخذ المصطلح ملامح البنائية الدقيقة إلا في أواخر الخمسينات التي انتجت نصوصا تحمل هويتها القصصية الواضحة سواء على مستوى التسمية أو على مستوى السرد(13)

3 ــ قصة صغيرة : mini - nouvelle

الصغر هنا بالمفهوم الكمي، الذي يشمل المساحة القولية. وقد لا تختلف عن القصة القصيرة التي تعتمد التكثيف والتركيز على الجوهري دون العرضي بهدف خلق اللحظة الدالة. أقول لا تختلف عنها إلا من حيث القصر أو الطول على مستوى الكم(14)

4 ــ أقصوصة : Nouvelette

يطرح الفارق الكمي مرة أخرى في نطاق التركيز على الحدث المفرد والشخصية الواحدة التي تتحكم في فضاء النص(15).

(8) قصص عبد العزيز بن عبد الله

(9) وهذا ينطبق بصفة خاصة على نصوص محمد الخضر الريسوني ــ عبد القادر هيدور : رجل المستقبل. الأنيس، س. 9 عدد 87. أبريل 1954.

(10) التهامي الوزاني : غزال، الأنوار، عدد 10، س،4، يناير فبراير 1949.

(11) أنظر على سبيل المثال تحليل أحمد زياد لـ «غادة أصيلا». العلم 10 يونيه 1949.

(12) نعيم حسن اليافي : التطور الفني لشكل القصة السورية، الآداب البيروتية عدد 5، س. 13، ماي 1965، ص. 44.

(13) نذكر على سبيل المثال نصوص عبد الجبار السحيمي.

(14) ربيعة بنت منصور : ضحية، العلم عدد 2928. سنة 1958.
ومعلوم أن نصوصا قصصية حملت التسمية السابقة «قصة صغيرة» لا تعدو أن تكون نوادر وطرائف بعناوين أخلاقية. أنظر : قصص صغيرة، النهار س. 7، ع. 1286. صفر الخير 1375.

(15) القطيب التناني : مؤامرة. العلم عدد 2669 / 1957. عبد الحميد عواد، الأغنية الخالدة ــ العلم ع : 2594 / 1957

5 أقصوصة قصيرة : micro - nouvelle

تختلف عن الأقصوصة من جهة وعن القصة القصيرة من جهة ثانية على مستوى الكم. وقد لا تتعدى إطار الخبر الذي تعاد صياغته بأسلوب حكائي، تضاف إليه بعض اللمسات التوضيحية بهدف المتعة أو العبرة[16]

6 ـــ أقصوصة صغيرة : petite nouvelette

هي قصة الفكرة، التي تلغي الفضاء والزمان والحدث بهدف تسليط الضوء على لحظة معينة من حياة الشخصية[17]. وقد تشبه إلى حد كبير «القصة القصيرة جدا» الرائجة في عصرنا الحالي.

7 ـــ أقصوصة رمزية : Nouvelle symbolique

تظل خصائص الأقصوصة البنائية المشار إليها سابقا متوفرة في هذا النوع، مع وجود فارق جوهري يكمن في تحويل العالم الموضوعي إلى عالم مجازي عن طريق إشباع الأشياء بدلالات بعيدة. وقديما مارس القاص ـــ أثناء السرد ـــ وظيفة الكتابة والتفسير في آن واحد بهدف تقريب القارىء من الرمز[18]. كما أنه قد يكتفي بتشكيل عالمه دون تدخل منه تاركا للقارىء حرية التأويل.

8 ـــ أقصوصة مغربية : Nouvelle marocaine

تحافظ على العناصر البنائية للأقصوصة، مع الإلحاح على الموضو ع المحلي المستوحى من البيئة المغربية[19]، ومن هنا لم يكن الهدف خلق نسيج حكائي مغربي ـــ بالرغم من توفر دعوات عديدة في هذا الإطار ـــ[20] بل اكتفى الكاتب بالكتابة عن المواضيع المحلية والشخصيات المتواجدة في الواقع الاجتماعي.

9 ـــ قصة واقعية : Conte réaliste

يتدخل الكم (الطول) في تشكيل بنية القصة. غير أن مصطلح الواقعية رادف ـــ في كثير

---

(16) محمد السوسي : الكسيح. العلم عدد 2350 س 11، 10 نوفمبر 1956.

(17) محمد السوسي : الطالبة. العلم عدد 2297 س. 18 شتنبر 1956.

(18) الدمية لعبد الجبار السحيمي «أقصوصة رمزية» العلم عدد 2351.س.11.14 نوفمبر 1956. (أشباه العبيد) لنفس الكاتب، العلم عدد 2269. 22 أغسطس 1956.

(19) عبدالرحمان السائح «العاطل» العلم عدد 2341.س 1.11 نوفمبر 1956
الزوجة الثانية. أقصوصة مغربية، بدون توقيع، الأنوار عدد 35. ماي يونيو 1953.

(20) دعوات أحمد زياد بصفة خاصة في أوخر الأربعينات ومرحلة الخمسينات

من الأحيان ــ المحلية أو (الواقع المغربي)[21] كما أن الواقعية تعني الحقيقة التي يعرفها الكل، غير أن الكاتب يعيد إنتاجها بواسطة الحكي محافظا على عناصرها الواقعية، خاصة على مستوى الحدث دون أن يمنعه هذا من التصرف في بعض الجوانب الفنية الأخرى تغيير إسم الشخصية مثلا ــ التي لا تؤثر على ملامحها الواقعية أو الحقيقية[22] وبالإضافة إلى هذا وذاك، مثلت الواقعية ــ في مرحلة ما ــ ميثاقا بين الكاتب والقارىء الذي كان يعتبر القص مجرد خيال أو وهم يمنحه المتعة، الشيء الذي فرض على الكاتب أن يمارس نزعة إصلاحية نابعة من توظيف القص في التعبير عن الواقع الملموس. وهذا ما يفسر عدم آكتفاء الكاتب بالإشارة إلى الجنس القصصي الموصوف بالواقعية، بل يضيف ــ في أغلب الأحيان ــ العناوين الهامشية التي تؤكد على واقعية النص[23]

10 ــ قصة مغربية(*) Conte marocain

سبقت الإشارة إلى أن الطابع المغربي الذي يوصف به النص لا يتجاوز الموضوع المحلي من جهة[24]، والواقعي أو الحقيقي من جهة ثانية[25] ويعد جانب الكم عاملا جوهريا ــ كما هو الشأن بالنسبة للنوع السابق ــ في التمييز بين القصة المغربية والأقصوصة المغربية وهذا

(21) صديق الغار : موح. العلم عدد 216. س2 ماي 1947.
(22) قاسم الزهيري : مآب (من مظاهر الحياة المغربية) رسالة المغرب. ع 1. س6. غشت 1947.
(23) الهاشمي الفيلالي : قصة عامل (من مآسي الحياة) رسالة المغرب عدد 29. س 8. 12 شتنبر 1949. ــ وتجدر الإشارة إلى أن الكاتب قد يعلن عن واقعية النص أثناء بداية السرد. بالرغم من أن هذا التقليد الإيهامي الذي سار عليه الكاتب يهدف إلى الإقناع بالممكن أو المحتمل فإن ذلك لم يمنع الكاتب من توظيفه للعنصر الواقعي بمفهوم الحقيقة أو الصدد برز الإلحاح على الواقعية في قصص حسن الوراكلي بصفة خاصة. وكان الواقع عند الكاتب يرادف أزمة تكررت بشكل فرعي في معظم قصصه وهي (من صميم حياتنا الاجتماعية). انظر صور من الماضي النصر ع، 5 و 6 س، 1 نوفمبر 1958
ــ حسن الوراكلي : «أمل ضائع»ــ النصر س 1 ع.2. 1957
«وانتقم لشرفه»النصر س 1 ع : 3 1958
عبد السلام المؤدن : «وقفت الطاحونة» قصة واقعية الأنوار س 9. ع 42

(*) يقدم أحد المنابر قصة مغربية بالعبارة التالية «هي قصة مغربية واقعية لا علاقة لها بالقصة الأجنبية الشهيرة». انظر : محمد الحسن اليوسفي : بائعة الخبز الرأي العام، س 4. عدد 178 دجنبر 1950.
(24) «الكاهنة» و«الرومية الشقراء» ــ لعبد العزيز بن عبد الله. العلم إبتداء من 21 غشت 1949.
(25) أبو بكر اللمتوني : «المهرب» دعوة الحق ع1. س 2. شتنبر 1958.

ما جعل من القصة نصا روائيا تواترت حلقاته في الصحافة المغربية[26]. والطابع المغربي لا يشمل الواقع اليومي أوالمعيش، بل يشمل أيضا الواقع التاريخي[27]. وتجدر الإشارة إلى أن وصف القصة بالطابع المغربي قد يكون هدفه هو رغبة المنبر ــ سواء كان صحيفة أو مجلة في التمييز بين القصة المكتوبة من طرف المغاربة، والقصة المكتوبة من طرف الكتاب العرب بصفة عامة، مادام المنبر يقدم للقارىء إنتاجات قصصية عربية ومغربية من جهة، ومترجمة من جهة ثانية[28]. والأمر لا يخلو من دلالة، خاصة أن الرغبة في إنتاج قصة محلية شكّل ــ وما يزال ــ هاجسا ملحا لدى الكتاب المغاربة[29]

11 ــ قصة مغربية اجتماعية : Conte social marocain

وهي لا تختلف عن النوع السابق إلا في الإلحاح على الموضوع الإجتماعي اليومي تمييزا له عن الموضوع التاريخي من جهة، وعن الخيالي من جهة ثانية، ويظل الهدف الإصلاحي متحكما في طريقة السرد الذي يتجه نحو الكشف عن (مآسي المجتمع)[30]

12 ــ قصة مغربية فكاهية : Conte humoristique marocain

تهدف إلى المتعة عن طريق السخرية التي لا تتجاوز عنصر الإضحاك أو الدعابة[31]. وبنية النص تقوم في جوهرها على المفارقة التي تمكن الكاتب من إبراز المواقف الضاحكة. كما أن الكاتب يستعمل مجموعة «الكمائن» لإحراج الشخصية في وضع اجتماعي أو نفسي

---

(26) المصدر السابق.
محمد العمري الوسيني : زيارة رهيبة ــ (في القصص المغربي) الأنوار عدد 37. سبتمبر / أكتبور 1953.

(27) الكاهنة والرومية الشقراء لعبد العزيز بن عبد الله.

(28) عبد الرحمان الفاسي : عمي بوشناق ــ (قصة مغربية) الثريا، عدد ممتاز خاص بالمغرب الأقصى، س 3 مارس 1946.

(29) سبقت الإشارة إلى دعوة أحمد زياد في الأربعينات والخمسينات التي لم تبتعد عن دعوات سابقة ولاحقة برزت على صفحات السعادة مثل الدعوة إلى (روايات مغربية محضة) نادى بها (عبد الكريم بوعلو) السعادة، عدد 3908. وإعلان رسالة الأديب عن مسابقة للقصة التي من شروطها أن «تكون ذات صفة مغربية في الروح والمغزى» أي أن تكون «قصة من صميم الحياة» رسالة الأديب عدد 9. س 2 ماي 1959.

(30) أمين صديق. السعادة عدد 7817.س 47. أبريل 1950.
ــ ابن الشاطىء : دموع الحرمان، قصة مغربية اجتماعية. النصر.س.1.ع.2.1957.

(31) أمين : بطل صنديد : السعادة عدد 7870. س 47 يونيو 1950.
ــ دأبت بعض الصحف على نشر قصص مسلسلة بعنوان «قصص مرحة» أنظر : العزيزة الخبيثة، «لُولاَ» بدون توقيع. النهار.س.7.ع 1925. ربيع الأول 1375.

معين. وبالإضافة إلى ذلك يتميز بناء النص بإنتمائه إلى البناء الأقصوصي لاعتماده على الحدث المفرد والشخصية الواحدة واللغة السريعة المختزلة.

13 ــ رواية تمثيلية : Roman théatral

شاع هذا المصطلح ــ وما يزال ــ[32] في تاريخ القصة المغربية لأسباب تاريخية وسياسية[33] وفنية. والمصطلح يقدم لنا نوعا قصصياً مركبا من بنيتين أدبيتين : بنية المسرح وبنية القص. وقد ساهمت الكتابات العديدة التي لاحقت الإنتاج الأدبي في إشاعة هذا المصطلح المركب الذي آكتفى فيه بعض الكتاب بالإقتصار على الجزء الأول وإلغاء الجزء الثاني[34]. وهذا ما يؤكد على الطابع القصصي لهذه النصوص التي طغت فيها البنية السردية على البنية الحوارية، مما كان سببا في تحويل الحوار المسرحي إلى سرد قصصي ــ يمارسه المؤلف عن طريق الشخصية ــ يتسم بالطول وطغيان الجانب الوصفي وتجميد حركة الصراع بهدف التحليل والتفسير... إلخ[35]. من هنا ارتبط مصطلح «الرواية التمثيلية» بالفن القصصي آعتمادا على أن الحوار لا تتعدى وظيفته إطار تشخيص المسرود[36].

وإذا كانت الرواية التمثيلية ــ آعتمادا على الخصائص السابقة ــ نوعا من أنواع القص فإن ذلك لم يمنع من تداخله بمصطلح آخر آقترب منه وابتعد عنه في آن واحد، آقترب منه على مستوى الخصائص البنائية المشتركة، التي تجسدت في طغيان البنية السردية على البنية الحوارية، وآبتعد عنه من حيث علاقته بالقارىء أو السامع الذي يتعامل مع نص مروي، عوض أن يتعامل مع نص مشخص أو ممسرح. ولاشك أن هذا الفارق هو الذي دفع بأحد الباحثين إلى تصنيف بعض النصوص المنتمية إلى هذا النوع في باب القص.[37]

14 ــ رواية تمثيلية شعرية : Roman théatral poétique

وهي لا تختلف عن المصطلح السابق، إلا من حيث البنية السردية التي حلت محلّها بنية النص الشعري.[38] وأصبح هاجس الكاتب هو تطويع الشعر للحوار مادام الشاعر يعيد

(32) عبد الله كنون : أحاديث عن الأدب المغربي الحديث.

(33) أقصدُ توجيه الحركة الوطنية للكتابة والكتاب.

(34) مذكرات محمد حسن الوزاني ج 1. دار الغرب الإسلامي. بيروت.

(35) محمد الفزازي : رؤية ملك . مطبعة النجاح، البيضاء (بدون تاريخ)

(36) أنظر مقدمة الكاتب في المصدر نفسه، التي تدل على وعي فني هام لا يساير بنية النص المضطربة.

(37) انظر تصنيف محمد الصادق عفيفي لـ «شيخ القرية» لعبد الله شقرون في مؤلفه (القصة المغربية الحديثة) ومعلوم أن هذا النص قدِّم من طرف مؤلفه ــ كتمثيلية إذاعية.

(38) علال بن الهاشمي الفيلالي : ربة شاعر. (في أربعة فصول)، رسالة المغرب ابتداء من العدد 143 س. 11. غشت 1952.

إنتاج حكاية (ابن زيدون) و (ولادة) الشيء الذي برز في إطلاقه على المشهد مصطلح الفصل المساير لكل مرحلة من مراحل حياة ابن زيدون. وإطلاق مصطلح الرواية ينبع من تتبع القصة التاريخية للشخصيتين.

15 ــ قطعة أدبية : Texte littéraire

أطلق هذا المصطلح على النص الأدبي الذي آضطرب بين المقالة والخاطرة من جهة، والأسلوب القصصي من جهة ثانية. ودلالاته تكمن في إبرازه لوضعية الفن القصصي المضطربة في مرحلة محددة[39]

16 ــ قصة في دقيقة Conte instantané

مصطلح يعكس طبيعة السرد وحركته[40] فالنص يعتمد على الاختزال والتكثيف من جهة، كما أن طبيعته تفرض زمن القراءة الذي يتحدد في وقت وجيز من جهة ثانية. هكذا يصبح زمن السرد ممتدا إلى زمن القارىء الذي أصبح بدوره منتجا للنص.

17 ــ قصة تاريخية Conte historique

وهي التي تعالج الموضوع التاريخي[41] دون أن يعني ذلك توفر الشكل التاريخي[42]. ومن جهة أخرى قد تكون القصة التاريخية مجرد تضمين للحكاية التاريخية في ثنايا التحليل الذي يتناول فيه الكاتب حقبة من الحقب التاريخية[43]

18 ــ قصة خيالية : Conte fictif

وهي تناقض القصة الواقعية أو «الحقيقية» كما سبقت الإشارة إلى ذلك. والكاتب يقصد بذلك استحالة وقوع الأحداث الواردة في قصته من جهة، وتعذر وجود شخصياتها من جهة

---

(39) انظر مقدمة «ربيع الحياة» لمحمد الخضر الريسوني. ص 6. ومعلوم أن الكاتب ــ في المقدمة ــ ميز بين القصة والقطعة الأدبية.

(40) عبد اللطيف خير الدين : قصة في دقيقة. الأطلس ع.11س.1 غشت 1963
ــ محمد برادة : فاتت أيامك. مجلة القصة والمسرح ع2. أبريل 1964. والكاتب استغل زمن وقوف الحاصلة لتقديم زمن القص من خلال خيوط متشابكة.

(41) العربي العمراوي : الف رجل. دعوة الحق. ع 4. 5 س.1 نوفمبر 1957.

(42) واضح أن الموضوع التاريخي لا يؤدي بالضرورة إلى وجود شكل قصصي تاريخي. انظر جورج لوكاتش الرواية التاريخية. ترجمة : جواد كاظم. 1978 ص : 502

(43) وهذا ينطبق على كتابات عبد القادر الصحراوي التي جمعها كتابه المعنون «جولات في تاريخ المغرب». دار الكتاب، البيضاء، ط؛ 1،

ثانية. من هنا كان هدف الكتابة القصصية هو خلق المتعة التي لازمتها الإثارة النابعة من غرابة الأحداث وتعدد المفاجآت[44]... إلخ.

19 ـ حديث : Causerie

يرادف هذا المصطلح الأسلوب الحكائي المشوق، الذي يعتمد على التذكر أو الاسترجاع لذكريات ماضية. ويتم ذلك في أغلب الأحيان عن طريق نسبة الحكي إلى الرموز الحكائية الشائعة في تراثنا مثل الجد والجدة[45]

20 ـ قصة حدثت منذ سنة histoire ayant eu lieu depuis un an

مصطلح يلح على واقعية القصة بالاستناد إلى الزمن. والخطاب عادة موجه إلى القارىء الذي يرغب في أن يجد في القصة الواقع الملوس[46] وهذا ما يفسر احتفال القارىء بالفضاء والزمان وأسماء الشخصيات.. إلخ.

21 ـ رواية بوليسية : roman policier

تعتمد على الكم من جهة، وعلى موضوع الجريمة الذي يقتضي وجود رجال الشرطة والأحداث المتلاحقة... إلخ[47]. وسرد هذا النوع يتميز بالسيطرة على القارىء الذي يصبح مخبرا جديدا[48].

22 ـ قصة متسلسلة : Feuilleton

وهي تشبه الرواية القصيرة التي تتأرجح ـ بنائيا ـ بين القصة القصيرة والرواية. والتسلسل يعود إلى ضيق مجال النشر، خاصة أن أغلب القصص المسلسلة نشرت على أعمدة الصحافة المغربية. وبالإضافة إلى ذلك يصبح عنصر التسلسل عاملا هاما في كسب عدد متزايد من القراء[49]

(44) محمد العمراني : ألحان الموت.الأنوار عدد 15.س 4. نوفمبر ديسمبر 1949
ـ ابن القرية : أحلام المساء. القيامة (قصة مسلسلة) س 1.ع 16 أكتوبر 1952.
دأبت بعض الصحف على تخصيص قصص معينة للأطفال، تعتمد الخيال. انظر : الثعلب الماكر، بدون توقيع. قصص خيالية عنْ الإنسان والحيوان. الأنوار، ع 9. ديسمبر 1948. ومعلوم أن هذه القصص مثّلت رُكناً ثابتا أشرف على إنجاز بعض حلقاته «محمد العمرتي. المصدر السابق.

(45) فتاة مغربية (ع.ب) : من أحاديث جدي. السعادة ع 7818 س 47. أبريل 1950.

(46) مصطفى الصباغ : قصة حدثت منذ سنة. الأطلس ع 16. س.1. 1 دجنبر 1963.

(47) عبد العزيز بن عبد الله : هجوم في جنح الظلام (مسلسلة). العلم، انطلاقا من العدد 1344.

(48) انظر ضحايا «حب» محمد بن التهامي مطبعة فضالة، دون سنة الطبع.

(49) معظم قصص عبد العزيز بن عبد الله التي جمعها مؤلّفُهُ «شقراء الريف».
ـ انظر أيضا : عبد الرفيع الجوهري «عذراء» صوت المغرب 1963.

23 رواية : roman

مصطلح يشمل النص القصصي الذي يتميز بكمه الكبير بالقياس إلى القصة القصيرة[50]، غير أن هذا المصطلح قد يلتقي مع مصطلح «قصة»التي تميزت أحيانا بالكم الكبير ولكنها آنضوت تحت لواء القصة القصيرة[51]. ويظل جانب الكم بما يفرضه من تعدد للشخصيات والحوادث وفضاء متسع يشمل التاريخي واليومي والأسطوري، فضلا عن منطق الحكي الذي تنتظمه حبكة متماسكة تحكمت في الفصول وغيرها، يظل هذا الجانب عاملا حاسما في تمييز الرواية عن غيرها. غير أن هذا الكم أحيانا لا يتعدى الحجم دون أن يمتد إلى الشكل، الشيء الذي يؤدي إلى خلق تراكم معين من الأحداث والشخصيات والمعارف دون أن يغير ذلك من بنية النص، الذي ظل مشدودا إلى القصة عوض أن ينتمي إلى الرواية[52]. هكذا كانت بعض الفصول لا تتعدى الأسطر القليلة، مما أثر على بناء النص.

24 حكاية : Conte -récit - histoire

لم يستعمل المصطلح ــ في معظم الأحيان ــ من طرف الكتاب إلا في مستويين :

أ ــ مستوى الأسلوب الحكائي الذي يستوحي فيه القاص أدوات الحكي عن طريق متكلم مجهول يُعَبَّر عنه بالراوي. هذا الأخير الذي يحكي عن أحداث واقعية[53]

ب ــ أما المستوى الثاني فهو الذي يخص حكايات الأطفال التربوية التي خصصت لها بعض الصحف صفحة أسبوعية مستقلة[54]

25 ــ خرافة : Fable, conte

الحكاية غير الواقعية. وآستعمالها ــ عادة ــ يكون بالمعنى القدحي لأنها تماثل «الخرافات»

---

(50) وهذا ما يفسر شكلها المتسلسل في الصحافة. انظر :
عبد العزيز بن عبد الله : جاسوسة في حدود فلسطين، (رواية مسلسلة). العلم ابتداء من عدد 1293. 31 أكتوبر 1950.

(51) محمد التازي «المتمردة». العلم ابتداء من 5 يناير 1960.

(52) عبد الحق العمراوي : مريم (قصة في حلقات) العلم ابتداء من ع : 520. 1948.

(53) أحمد زياد : وأخيرا هاجر الفقيه. العلم. 3 غشت 1949.
ــ عبد القادر حسن : ابن السبيل العلم 10 غشت 1949.

(54) قدمت في هذا المجال العديد من الحكايات المقتبسة من «قصص مشرقية لكامل كيلاني» وغيره من الكتاب، بالإضافة إلى ذلك توفرت بعض النصوص الحكائية المحلية، وعلى سبيل المثال نذكر : «كيف آستولى الثعلب على بتوقيع (عن المستمع).العلم. ع416. يناير 1948.

الجارية على لسان العجائز عندنا»[55] وهي بذلك لم ينظر إليها كأثر قصصي جاد، بل ظلت حبيسة الرؤية السابقة مع توظيفها، في الجانب الأخلاقي الموجه للأطفال من جهة، أو للمتعة أثناء السمر من جهة ثانية. وبالإضافة إلى ذلك كان مصطلح (خرافة) قد شمل أيضا الأخبار «الواقعية» التي تتعارض مع أخبار أو تقاليد بيئة معينة. وقد أطلق أحد المهتمين ــ تحت رعاية المستعمر ــ مصطلح الخرافة على العادات والتقاليد والنوادر المغربية[56]. وبالإضافة إلى ذلك قد تدل الخرافة على المرويات التراثية التي ترددت فيها أخبار الخوارق وصراع الإنسان مع مظاهرها المختلفة[57].

26 ــ قصة وطنية : Conte nationale ou patriotique

وهي ذات الموضوع النضالي ضد الغزاة سواء بالنسبة للماضي أو الحاضر[58]

27 ــ قصة مصورة : photo - roman

نص قصصي يجمع بين الصورة والسرد. وقد توزع هذا النوع بين المترجم[59] والأصيل. فالمترجم حافظ على الحوار الفرنسي الذي يوجد داخل الصورة الحاملة للحوار بين الشخصيات، وذيلت الصورة بالترجمة العربية للحوار الفرنسي. أما الإنتاج الأصيل فقد ارتكز في معظم الأحيان على الشخصيات التراثية ــ شخصية ــ جحا مثلا ــ التي نزعت من جذورها التراثية وأصبحت مندمجة في الطابع الإستهلاكي الذي أتت به حضارة الأجنبي[60]

---

(55) ولعل هذا الموقف الذي مارسته النخبة الوطنية تجاه الحكاية الخرافية ينبع من رفضها لممارسة المستعمر الثقافية التي كشفت ــ لأهداف عديدة ــ عن الطابع الحكائي للخرافة المغربية، مركزة على الطابع الإثنوغرافي خدمة لأهداف الإستعمار. أنظر : ركن « ما كل شيء يقال» لـ «أشار فأشار». العلم س 2. يناير 1947. كذلك ع 116. س 2 يناير 1947.

(56) محمد بخوشة : أدب المغاربة وحياتهم الاجتماعية والدينية وبعض خرافاتهم. مطبعة A B C البيضاء ط 2. 1943.

(57) باحث : تطور فن القصص في الأدب العربي. رسالة المغرب، ع 3، س 1 / 1942.11.15

(58) شقراء الريف وقصص أخرى من قصص الكفاح الوطني بالمغرب. دار النجاح بيروت 1973.

ــ ح. و : الشيء الخطير ــ قصة وطنية. النصر، ! س 1. ع 5 و 6 نوفمبر 1958.

(59) الطواف حول العالم في ثمانين يوما (مسلسلة) السعادة من ع 8646 إلى ع 8700 / 53.

(60) وهذا ما عالجه الشريط المصور ــ عبر حلقات محددة ــ من خلال محاور محددة قدمت شخصية جحا في أوضاع مختلفة مثل (جحا يشتري سيارة) و (جحا يدعو نفسه النجم السينمائي).. إلخ. انظر السعادة. يناير 1947.

28 ـــ قصة العدد Conte du numéro

هذا المصطلح لا يدل على جانب تنظيمي يخص الصحيفة، بل يدل على تميز فني للقصة المنشورة بجانب نصوص قصصية أخرى[61]. والتميز بالإضافة إلى الجانب الجمالي ـــ ينبع أيضا من دلالة توجه الصحيفة والملابسات المحيطة بأحداث معينة.. إلخ

29 قصة الأسبوع Conte hebdomadaire

قد يرتبط هذا المصطلح بالجانب الزمني الذي يفرض على المنبر أن يكون أسبوعيا، دون أن نلغي من الاعتبار الخصائص الفنية للنص.[62]

30 ـــ قصة هذا العدد Conte de ce numéro

وهذا يدل على كثرة النصوص القصصية، الشيء الذي فرض وجود النص القصصي في كل عدد على حدة. وقد يعني ذلك ندرة النص القصصي ـــ من وجهة أخرى ـــ ما دام النص القصصي ليس بابا ثابتا في هذا المنبر.

31 ـــ قصة للمناقشة Conte à thèse[63]

هذا المصطلح المثير لا يخص جانب التشكيل الفني، بل يخص جانب الموضوع. ومن ثم فالعنوان دعوة صريحة للقارىء لكي يشارك في إنتاج النص عن طريق الحوار والنقد. كما أن هذا المصطلح قد يكون حافزا للكتابة القصصية، خاصة أن وضع هذه الأخيرة كان يعاني من صعوبات التأسيس من جهة، والإستمرارية من جهة ثانية.

32 ـــ صور قاتمة من حياتنا Images sombres de notre vie

رسم سريع لظاهرة من الظواهر الإجتماعية المقلقة، ويعتمد صاحب هذه الصور على أسلوب التشويق والإيحاء بالإصلاح. وصاحب الصورة يوقع بإسم مستعار في أغلب الأحيان،

---

(61) إبراهيم بوعلو : الرجل والصخرة، والزاوية المهملة. الأهداف ع 4. س 1. 1964.
ـــ محمد السرغيني : المقبرة والعقم. دعوة الحق ع 2. س 6. نوفمبر 1962.
وتجدر الإشارة إلى أن التمييز الفني للنص المنشور قد يمتد إلى نصوص مشرقية تمثل دلالة خاصة بالنسبة للمنبر. انظر الحقد الكبير، قصة العدد مجةلالشباب المغربي. ع 17. س 2 يونيو 1960.
ـــ ابن يقظان : إحذروا إبليس : الرأي العام. س 2. ع 54. ماي 1948.

(62) محمد الخضر الريسوني : رماد في المنصة. صوت المغرب 12 / 1 / 1963.

(63) الغرملي أحمد : لمن ستكون ؟ صوت المغرب. 26 يناير 1963.

الشيء الذي يدل على حساسية القضايا المطروحة من جهة،وعلى وضعه المادي كشاهد حقيقي ــ داخل الصورة[64]

33 ــ قصة مسروقة nouvelle indiscrète

أي التقاط الأشياء الخفية التي تتسم بالإحراج مثل العلاقات الغرامية بين الشيوخ والفتيات الصغيرات. وفي معظم الأحيان يستوحيها المنبر من كاتب شرقي كبير[65]. وبالإضافة إلى ذلك، كان استعمال فعل السرقة وسيلة من وسائل إثارة شهية القارىء.

34 ــ من كل بلد حكاية : Un conte de chaque ville

حكايات واقعية قصيرة، تتنوع بتنوع الأقاليم، وتنوع القضايا وهي أشبه بالمراسلات الصحفية غير أنها تتميز بأسلوبها الأدبي المشوق[66]. ولم تحمل هذه الحكايات أسماء كتابها، الذين فضلوا الأسماء المستعارة بسبب واقعية الأحداث.

---

(64) صور قاتمة من حياتنا. «هرج في الليل» بتوقيع (أنا وقلمي). النهار، س 7. ع 1758. 10 ماي 1957.
ــ صور قاتمة من حياتنا «عقلية بطاطا» بتوقيع (أنا وقلمي). النهار، س 7. ع 1744. أبريل 1957.

(65) فكري أباظة : قصة مسروقة، مجلة العلوم والفنون، ع 2. مج 2. 15 أبريل 1952.

(66) يخطبونه قبل الأربعين ــ من القنيطرة ــ بتوقيع (حائر) .ع 1 .مج 2. مارس 1952.
يوم لك ويوم عليك ــ من الرباط الزوجة المدهشة.
وقد قدم المصدر السابق حكايات أخرى بشكل مسلسل، تجري أحداثها في الغرب، بأسلوب فكاهي في معظم الأحيان. انظر : تطوانية في باريس ــ مسلسلة ــ بدون توقيع، مجلة العلوم والفنون عدد 1، مج 2، مارس 1952.

تحليل لغوي أسلوبي
لمقطوعة عمرو بن شأس الأسدي(1)

ذ. محمد بوحمدي

كلية الآداب — فاس

أرادتْ عِراراً بالهوان. ومن يُرِدْ ... عراراً — لعمري — بالهوان فقد ظَلَمْ
فإنْ كنتِ منّي، أو تريدين صحبتي ... فكوني له كالسَّمن رُبَّتْ له الأَدَمْ
وإن كنتِ تَهْوَيْنَ الفراقَ، ظعينتي ... فكوني له كالذئب ضاعت له الغنمْ
وإلاَّ فسيري مثلما سار راكبٌ ... تجشَّم خِمْساً ليسَ في سيْره أَمَمْ
وإنَّ عراراً، إن يَكُنْ ذا شكيمةٍ ... تقاسينها منه، فما أملك الشِّيَمْ
فإنَّ عراراً، إنْ يكن غير واضحٍ ... فإنِّي أحبُّ الجوْن ذا المنكب العَمَمْ

يستهل الشاعر البيت الأول بفعل ماض مسند إلى ضمير المؤنث الغائب «أرادتْ» ومرجع الضمير في الفعل زوجه، وهي قريبة منه، وملاصقة له حسا ومعنى، وكان من الأنسب أن يستعمل ضمير الخطاب «أردتِ» لأنها الطرف الأساسي في الخطاب، والمعنية مباشرة بموضوع الحديث، ويستقيم الوزن لو استعمل هذه الصيغة أي «أردتِ» لأن المقطوعة من البحر الطويل، وتكون التفعيلة الأولى : فعول، بدلاً من فعولن (أردتِ = فعول، أرادتْ = فعولن)، وذلك مطرد كثيرا في البحر الطويل، بل ان الشاعر نفسه استعمل «فعول» مرتين في هذه المقطوعة، في البيتين الأخيرين :

وإنَّ = فعول، فإنَّ = فعول.

(1) ديوان الحماسة لأبي تمام، شرح التبريزي، دار القلم، بيروت، 1/99 — 100.
وفي الهامش الرابع من الصفحة 99. وعمرو بن شأسٍ ينتهي نسبه إلى أسد ين خزيمة، شاعر مخضرم، أدرك الإسلام وهو شيخ كبير، وكانت له امرأة من قومه، وابنٌ من أَمَةٍ سوداءَ يقال له عرار، فكانت تُعيِّره إيَّاه، وتؤذيه، فأنكر عمرُو عليها أذاها له، وقال هذه الأبيات، ثم إنه جهد أن يصلح بين ابنه وامرأته، فلم يكن ذلك، وجعل الشر يزيد بينهما، فلما رأى ذلك طلقها ثم ندِم ولام نفسه. توفي سنة 40 هـ / 640 م.

هكذا يسقط الاعتراض بالجانب العروضي، فما سر العدول عن ضمير الخطاب إلى ضمير الغيبة ؟ وماهي الدلالة التي تتأسس على هذا الاستخدام ؟

إن إحساس عمرو بن شأس بالمهانة، واستفظاعه لهول مالحق ابنه من هذه المرأة دفعه إلى استبعادها وتغييبها من مجاله اللغوي، أي جعلها غائبة، أو بالأحرى مغيبة بواسطة ضمير الغيبة، وهذا إيحاء بتغييبها من حياته، والتضحية بعشرتها من أجل ولده الذي يملأ كيانه، والحاضر في ذهنه حضورا قويا، ونلمس هذا الحضور في تردد إسمه مرتين، في صدر البيت وفي عجزه.

ومما يعمق هذا البعد الدلالي الخفي لضمير الغيبة، ورود الفعل على صيغة الماضي، فالماضوية فيه توميء من طرف خفي إلى أن هذه الزوجة المشاكسة لم تعد تمثل بالنسبة للشاعر إلا جزءا من الماضي الذي فات وانتهى.

إنَّ استعمال ضمير الغيبة في الفعل «أرادت» وبناءه بناءً ماضوياً استعمال «فني، وتكمنُ فنيته أو جماليته في كونه بوحاً لاشعوريا لما يعتزم الشاعر تنفيذه والإقدام عليه ونعني به الانتصار لعاطفة الأبوة المجروحة، وإنصاف ابنه من هذه المرأة، ومن أي مخلوق كبُر شأنه أو صغُر، ونفهم ذلك من استعماله للإسم «مَنْ» في الجملة :

«ومن يرد عراراً ـــ لعمري ـــ بالهوان، فقد ظلم»

ف «من» تفيد استغراق جنس العقلاء، وتستوقفنا هذه البنية النحوية التي استخدمها، وهي الجملة الفعلية الشرطية فالخاصية الأساسية التي تمتاز بها الجملة الفعلية الشرطية انها ليست لها مرجعية زمنية محددة، بل تنزع إلى الإطلاق(2)

ومعنى هذا أن مضمون الجملة الشرطية : «ومن يرد عرارا، لعمري، بالهوان فقد ظلم»، ينسحب على الحاضر كما ينسحب على المستقبل. ونلاحظ أن لفظة «الهوان» تتكرر مرتين في البيت الأول، في الصدر وفي العجز، وهذا التكرار تجسيد لغوي للمرارة التي استشعرها الأب من إيذاء ابنه.

ولتأكيد إصراره على دفع هذا الهوان، والحيلولة دون وقوعه مرة أخرى، استعان بتقنيتين لغويتين، وهما :

أ ـــ أسلوب القسم «لعمري»، وهو جملة إسمية اعتراضية تخللت الجملة الشرطية، ويحق لنا أن نتساءل : ماهي القيمة الدلالية لهذه الجملة الاعتراضية ؟ هل يكفي القول : إنها جيء بها استجابة لدواعٍ عروضية أم إن لها أبعاداً دلالية لاتتحقق بدونها ؟

إن القيمة الدلالية المباشرة لهذه الجملة الاعتراضية هي، طبعا تقوية مضمون الجملة الشرطية

---

(2) في مناهج الدراسة الأدبية. حسين الواد، منشورات الجامعة، ص : 13

ويمكن تقديره بهذا الشكل : فقد ظلمني، أو ظلم عشيرته، وتنداح الدائرة وتكبر حتى تشمل الناس جميعا. إن إطلاق جملة جواب الشرط وتجريدها من القيود يجعلها تنطلق في أفق عريض من التأويلات تسبح في فيض زاخر من الدلالات، فالحذف في هذا السياق نمط من الإفادة وشكل تعبيري متميز، ولو أن الشاعر ذكر المفعول به لافسد علينا متعة الانطلاق والركض وراء الدلالات الهاربة المنفلتة.

وإذا ما تأملنا البيت الأول مرة أخرى نكتشف ثنائية أساسية طرفاها الزوجة والإبن (عرار)،وتَتَمَظْهَرُ هذه الثنائية الأساسية في ثنائيات أخرى فرعية نوضحها على النحو التالي :

الزوجة	≠	الإبن (عرار)
الأنوثة	≠	الذكورة
البياض (الزوجة بيضاء)	≠	السواد (عرار أسود)
الفعل الماضي «أَرَادتْ»	≠	الفعل المضارع «يردْ»
ضمير الغيبة في الفعلين «أرادت و «يرد»	≠	الحضور (إسم عرار الظاهر مرتين
الفاعل في الفعلين «أرادتْ» و «يرد»	≠	المفعول به (عرار مرتين)

وتبرز هذه الثنائيات تناقضاً أساسياً بين الزوجة والإبن (عرار)، ولابد من جسم هذا التناقض، وهذا الصراع بتدخل حاسم، وقد قرر الشاعر حسمه بالانتصار لابنه، أي الانتصار لعاطفة الأبوة المجروحة، وإبعاد الزوجة من حياته كما فهمنا ذلك من استعماله لضمير الغيبة في الفعل «أرادتْ» وكذلك من صيغته.

وفي البيت الثاني يتغير مجرى الخطاب، إذ نلاحظ حضورا قويا للزوجة من خلال ثلاثة ضمائر للخطاب :

كنتِ / تريدين / فكوني.

ويتنامى هذا الحضور، ويبلغ ذروته في البيت الثالث من خلال أربعة ضمائر للخطاب :

كنت / تهوين / ظعينتي / فكوني.

ثم يأخذ في التراجع والانحسار في البيتين الرابع والخامس :

فسيري / تقاسينها. على التوالي.

وفي البيت الأخير تختفي الزوجة نهائيا، ولايرِدُ لها ذكر.

إن حضور الزوجة في الأبيات : الثاني، والثالث، والرابع، يقابله غياب عرار واختفاؤه نهائيا :

الأبيات	الزوجة الحضور من خلال ضمائر الخطاب	عرار الغياب أو الاختفاء
الثاني	كنت ـــ تريدين ـــ فكوني	له
الثالث	كنت ـــ تهوين ـــ ظعينتي ـــ فكو ني	له
الرابع	فسيري	له

وغيابها أو اختفاءها نهائيا يقابله حضور متميز لعرار باسمه أو ببعض صفاته كما هو الشأن في البيتين الأول والسادس :

الأبيات	الزوجة الغياب أو الاختفاء	عرار الحضور من خلال الإسم أو الصفة أو الضمير
الأول السادس	ضمير الغيبة في «أرادات»	الاسم الظاهر مرتين (عرار) عرار. غير واضح. الجون. ذا المنكب الضمير المستتر في الفعل : يكن

تلك هي الظاهرة الأسلوبية البارزة والمهيمنة على مجمل النص، ولم تتخلَّف إلا في البيت الخامس، ودلالة هذه الظاهرة أنَّ الشاعر لم يستطع الجمع بينهما على صعيد لغوي واحد لأنهما عنصران متضادان ومتنافران، ينفي أحدهما الآخر ويطرده من مجاله، ويستحيل، بالتالي،الجمع بينهما على صعيد نفسي واحد.

انطلاقا من البيت الثاني، إذن، يستدعي الشاعر زوجته ويخاطبها مُهيبا بها أن تشمل عراراً بعطفها وحد بها ورعايتها، وتكون له كالسمن رُبَّت له الأدم، قال التبريزي في شرح هذا البيت : فإن كنت توافقينني، وتريدين لزوم صحبتي، فكوني له كالسَّمن الذي لا يتغير إذا رُبَّ له الأديم»[3]

وإذا كان الأديم مربوبا أي مصلَحا، ووضع فيه السمن لا يغيره. ومن عادة العرب أنهم يطلون زق السمن بالمختر من عصير الثمار لتطيب رائحته، ويمنع السمن أن يفسد.

هذه الصورة التشبيهية،على بساطتها، تحفل بإيماءات عميقة، ومن أبرزها أن العلاقة المثالية التي يحلم بها الشاعر، ويتمنى أن تسود بين الطرفين هي علاقة الاحتواء والاحتضان، أي علاقة التعايش والانسجام، ومن إيماءاتها أيضا أن الزوجة هي التي أفسدت عراراً بسوء

(3) ديوان الحماسة : 1 / 100.

معاملتها، فصار دا شكيمة، كما ورد في البيت الخامس، لأنَّ السمن، وهو المعادل الموضوعي لعرارٍ، لا يفقد رونقه ولا يتغير طمعه، إلا إذا فسد الأديم، وهو المعادل الموضوعي للزوجة.

إن الحضور المثكف للزوجة في البيتين الثاني والثالث مظهر من مظاهر تعلق الشاعر بها، لأنها جزء من ذاته، كما تشير إلى ذلك لفظة «منّي» ومن معاني «من» عندالنحاة التبعيض، ويبرز تعلقه الشديد بها في البيت الثالث، في الجملة «ظعينتي»

والظعينة في اللغة الهودج الذي تحمل فيه المرأة على ظهر الجمل والناقة، وجمعها ظعائن ثم أطلقت على المرأة نفسها توسعا في الاستخدام اللغوي، ونلمس هذا التعلق في مستويات ثلاثة :

1 ــ في تذكيرة لهذه المرأة بأنها زوجته «ظعينتي» وأن رباط الزوجية أقدس من أن يعصف به سلوك متهور وتصرف طائش كتصرفها.

2 ــ في إضافتها إلى نفسه من خلال ياء الإضافة في «ظعينتي» وهي جملة فعلية تتضمن معنى النداء، فكأنه قال : ياظعينتي، أو : أظعينتي، ومن الطريف أن نشير هنا إلى حذف أداة النداء، وهو ملمحٌ لطيف يعكس القرب الشديد والحضور القوي للزوجة في ذهن الساعرِ، فهي ليست بعيدة عنه حتى يستعمل أداة النداء، على أن دلالات أخرى شفافة تحوم وترفُّ في فضاء الجملة : «ظعينتي» كالسفر والترحال والهجر والبعاد وأشجان الفراق، لأن الظعينة ترتبط في الثقافة الشعرية العربية القديمة بكل هاتيك الدلالات. فاستخدام هذه اللفظة دون غيرها من مجموعتها اللغوية كالزوجة والحليلة وغيرهما إنما أريد به أن يستثير في النفس الدلالات الحافة المصاحبة، كما أن فيه إيحاءً برحيل الزوجة المرتقب من حياة الشاعر، ويدعم هذا الفهم ورود «ظعينتي» في سياق الحديث عن الفراق.

«فإن كنت تهوين الفراق ظعينتي»

أي أن لفظة الفراق ساهمت إلى جانب المعطيات السالفة في استدعاء لفظة «ظعينتي»

3 ــ في الإظهار بعد الإضمار : إذا تأملنا مستويات الخطاب، أوجهات الكلام، بتعبير القدماء، في البيتين الأولين، نلاحظ أن الشاعر استعمل ضمير الغيبة في البيت الأول «أرادت» وضمير الخطاب في البيت الثاني : كنت / تريدين / فكوني.

وضمير الخطاب أيضا في صدر البيت الثالث. كنت / تهوين.

ثم يصرف الكلام إلى الإظهار : ظعينتي، أي أنه يعبر بالإسم الظاهر، والإظهار بعد الإضمار، أو الإظهار في موطن الإضمار تعبير عن العناية والإهتمام والتعلق.

أما الصورة التشبيهية الواردة في الشطر الثاني، في قوله :

«فكوني له كالذئب ضاعت له الغنم»

فقد أراد بها «الفساد ووقوع الشر، وهذا تهديد منه لها[4]

إن المنطق الداخلي للبيتين الثاني والثالث هو منطق الترغيب والترهيب يتوسل به الشاعر إلى ترشيد هذه المرأة، فهو يتودد إليها، ويحذرها في الآن نفسه، وسلك في ذلك مسلكا تصويريا حسيا.

هذا التشابه في المعنى يعكسه تشابه البنى النحوية والصرفية ففي الشطرين الأخيرين يكاد يتحقق التماثل المطلق نحويا وصرفيا :

عجز البيت الثاني : فكوني / له / كالسمن / رُبَّتْ / له / الأدم

عجز البيت الثالث : فكوني / له / كالذئب / ضاعت / له / الغنم

وكلا البيتين يحتوي على جملة شرطية واحدة. في الشطر الأول فعل الشطر، وفي الشطر الثاني جوابه. فالتشابه في المعنى، أو ماعبرنا عنه بالمنطق الداخلي، هو سر تشابه المبنى.

ـــ وفي البيت الرابع يلفت نظرنا تكرار الفعل «سار» بصيغ صرفية متعددة : صيغة فعل الأمر «فسيري» وهو جواب فعل الشرط المحذوف[5] وصيغة الماضي «سار»، وصيغة المصدر «سيره» بالإضافة إلى حرف السين في «خمسا» و «ليس»، ونعتقد أن تكرار هذا الحرف هو صدى لتكرر الفعل «سار» أو «سيري» فما مغزى هذا التكرار ؟ وما دلالته النفسية والشعورية ؟

يبدو أن الشاعر لم يقتنع في أعماق نفسه بكف زوجته عن تهورها بالرغم من المحاولات المضنية التي يبذلها، فهي مُصِرَّة على إهانة عرار، ومتمادية في إلحاق الأذى به، ويشبهها براكب تجشم خمسا، والخمس من أظماء الإبل، وهو أن ترد الماء في اليوم الرابع بعد غِبٍّ ثلاثة أيام، «وجعلت العرب الخمس أشأم الأظماء، لأنهم لا يظمئون في القيظ أكثر منه، والإبل لا تقوى في القيظ على أطول منه، وهو شديد على الإبل.«[6]»

يشبه الشاعر زوجته براكب تكلف ورود الماء للخمس على غير هداية وقصد، وهذا أشقى له، وأدعى إلى أن يضل ويتيه في الصحراء، ويكون مصيره الموت عطشاً.

إن تكرار الفعل «سار» بتقاليبه الصرفية تجسيد لغوي لتمادي الزوجة في طيشها، وهو ما يؤدي بها إلى إن تختفي من حياة الشاعر كما اختفت من البيت الأخير، ولا يبقى إلاَّ عرار.

إن الشاعر ينتصر في نهاية النص لعاطفة الأبوة، وتطغى صورة ابنه على مجال اهتماماته،

(4) ديوان الحماسة : 1 / 100.

(5) تقديره : وإن لم تفعلي فسيري، أي : وإن لم تكوني له كالسمن رتب له الأدم فسيري... وقد يحذف فعل الرط إذا كانت أداة الشرط «إن» مقرونة ب «لا».

(6) الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة. حمزة بن الحسن الاصبهاني تحقيق عبدالمجيد قطامش، دار المعارف. مصر 2 / 253

وتأخذ بمجامع قلبه، فقد ذكره بالإسم «عرار» وبالصفة «الجون» وبالتركيز على بعض: مظاهر رجولته التي يستند إليها الشاعر الشيخ، وهي : «ذا المنكب العمم» أي العريض الواسع التام، وذلك من سمات الفتوة والكمال الجسماني، كما نلاحظ الإفصاح البين عن عاطفة الحب التي يكنها لابنه «فإني أحب» وموقف الشاعر في الانتصار لابنه موقف عادي وطبيعي لا يثير الدهشة والاستغراب بعد استنفاده لكل الوسائل الممكنة في إقناع الزوجة فلم تقتنع.

إن النص يصور العاطفة الإنسانية الخالدة (حب الزوجة والولد)، كما يصور الصراع النفسي المرير الذي عانى منه الشاعر من جراء توزعه بين هاتين العاطفتين المتعارضتين وقد حاول جاهداً الجمع بينهما على صعيد واحد فلم يفلح، فضحى بإحداهما مكرها، ويتجلى هذا الصراع في الثنائيات الكثيرة التي يحفل بها النص، فبالإضافة إلى الثنائيات التي أبرزناها في البيت الأول، وثنائية الحضور والغياب التي تسود مجمل النص، هناك ثنائيات أخرى تسهم هي الأخرى في إبراز هذا الصراع وتعميقه وتجسيده على المستوى اللغوي، وهي :

الذئب ≠ الغنم

تهوين ≠ الفراق (تقابل معنوي)
الواضح (الأبيض) ≠ الجون (الأسود)

كما أن لفظة الجون تضم طرفين متقابلين لأنها من الأضداد اللغوية، فالجون يطلق على الأبيض وعلى الأسود والسياق هو الذي يحدد المراد.

* * *

وصدرت الطبعة الأولى من رواية «عين الفرس» للميلودي شغموم عن دار الأمان ــ الرباط ــ 1988، وتوضح بدايتها أن الطابع الفنتازي الأسطوري لايزال مهيمنا على مسيرة الكاتب الفنية. وتواجه الرواية قارئها منذ البداية هكذا :

«الوقائع الغريبة التي سأرويها لكم في هذه الحكاية وضمنها قصة الولد الرهيب والبنت العجيبة ــ وقائع حدثت سنة 2081 بإحدىٰ الإمارات الكئيبة، في هذه السنة بالضبط تحول ما كان يسمى من طرف بعض المؤرخين الحاليين «بالوطن الكئيب» إلى إمارات كثيرة، انهارت «دول» وتحولت «بلدان» عظيمة إلى إمارات بديلة، كما هي حال العمران الذي يصنعهُ الإنسان...!.» [ص : 5].

هاجس الذنب في شعر أبي القاسم السُّهيلي

دارسة موضوعاتية بنائية

القسم الثاني[*] : تحليل البائية

الدكتور حسن جلاب
كلية الآداب ـــ مراكش

البائية كالعينية الكبرى من بحر الطويل، وقد سبق أن فسرنا اعتماد الشاعر البحور الطويلة، وسلك أحسن صور هذا البحر إذ لم تتجاوز زحافاته القبض من فعولن ومفاعيلن : فقد وازن الشاعر بين مفاعيلن صحيحة ومقبوضة. وزواج بين فعولن صحيحة ومقبوضة كذلك مع تغليب الأولى.

أما قافية الباء فهي من أكثر الحروف ورودا في القوافي، ورويها مطلق (أي متحرك) والحركة التي قبله قصيرة (متحركة كذلك). وصورة القافية عموما من صنف المتدارك (توالي حركتين قبلهما سكون) وهي مستقلة بنفسها غير مفتقرة إلى ما قبلها أو ما بعدها.

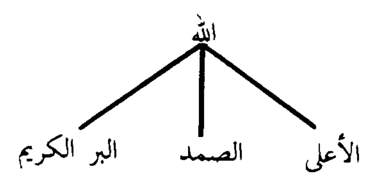
الوحدة المطلعية :

صرفت إلى رب الأنام مَطالبي ... ووجهت وجهي نحوه ومآربي
إلى الملك الأعلى الذي ليس فوقه ... مليك يرجّى سيبه في المساغب
هو الصمد التبر الذي فاض جوده ... وعم الورى طرا بجزل المواهب

(*) نشرنا في العدد الثاني تحليل قصيدتي السهيلي : العينية الكبرى والعينية الصغرى، ونشر الآن القسم الأخير الخاص بتحليل البائية مع خلاصة واستنتاجات عامة تهم مجموع الدراسة.

بالرغم من حرص الشاعر على توفير التصريع في المطلع، والتكرار (ملك) في البيت الثاني، فليس هناك ما يشير إلى اهتمامه بالمكونات الصوتية لهذه الوحدة المطلعية. ولا تفسير لذلك إلا في الاتجاه العام لشعر السهيلي القائم على التوارد والتلقائية والبساطة.

وسيرا على نمط مطالع القصائد الأخرى يتجه الشاعر نحو تعظيم الخالق وإظهار قدرته وسلطانه ليبرر لجوءه إليه، ويصفه بصفات هي :



وبنى على هذه الصفات ثلاث مقولات موازية:

الأعلى ← ليس فوقه مليك

الصمد ← صرفت إليه مطالبي، وجهت إليه مآربي، والصمد في اللغة السيد المقصود الذي لا يقضى دونه أمر.

البر الكريم ← فاض جوده على الورى، ويشير كذلك إلى أنه المرجَّى في المساغب.

فمنذ المطلع يظهر المنحى الذي ستأخذه الأبيات، وهو مخالف لما سبق، أي منحى الاستجابة.

ومنذ المطلع كذلك يبرز منهج الإحالات القرآنية التي يتخذها الشاعر أساسا لتسنين التوسل وجعله معتمدا على ركائز نصيبه.

ففي البيت الأول إحالة إلى قوله تعالى (إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا[42]، وقوله (وأن أقمْ وجهك للدين حنيفا).[43] فالاعتبار الديني أساسٌ لتمام التوسل ونجاحه.

وفي الثالث إحالة واضحة إلى سورة الإخلاص.

ونتساءل لماذا تمت الإشارة إلى «المساغب» والتي لا يتغلب عليها إلا بالعطاء الجزيل (السيب) ؟ فهل نظمت القصيدة في أعقاب أو أثناء طاعون سنتي (واحد وسبعين وخمسمائة وإثنين وسبعين وخمسمائة) وما رافقه من مجاعات واكدار، فقد هلكت فيهما آلاف من البشر، منهم بعض كبار رجال الدولة (بما في ذلك الخليفة نفسه)[44].

(42) سورة الأنعام، آية 79.

(43) سورة يونس، آية 105.

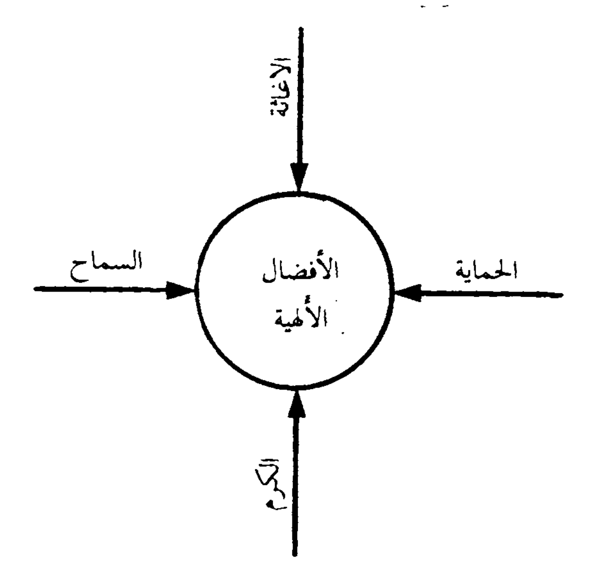
(44) انظر التفاصيل مع أسماء المصابين من الشخصيات في الاستقصا 2 / 151.
و Marrakech dés origines à 1912. P .201

التوسل :

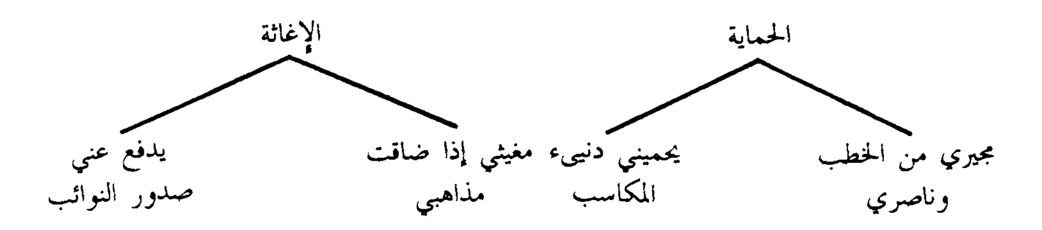
مجيري من الخطب المخيف وناصري مُغيثي إذا ضاقت عليّ مذاهبي
مقيلي إذا زلت بي النعل عاثرا واسمح غفار واكرم واهب
فما زال يوليني الجميل تفضلا ويدفع عني في صدور النوائب
ويرزقني طفلا وكهلا وقبلها جنينا ويحميني دنىء المكاسب

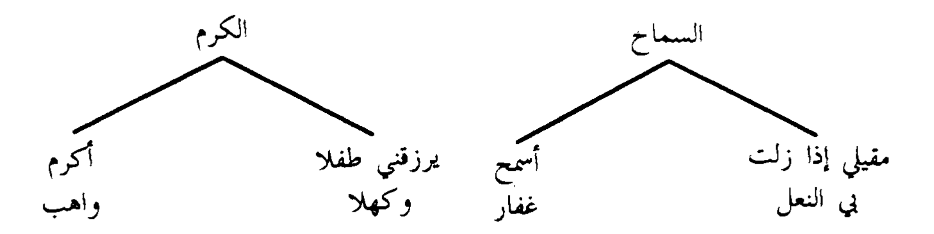
منذ بداية التوسل نلاحظ اختفاء تلك الثنائية التي كانت سائدة في العينيتين : ثنائية القوة / الضعف، واليأس / الأمل...

ففي البائية خط موحد، واتجاه واحد هو الاستجابة. لذا يطالعنا بمجموعة من المكتسبات من خلال سرد تجربته مع الخالق سبحانه فيبين أن أفضاله عليه أربعة تكوّن محور القصيدة بكاملها، فتأتي باقي الأبيات لتوضيحها أو التعليق عليها، وهي :



وفي هذا المقطع يفصل هذه الأفعال الرباعية، كالتالي :





والمعجم السائد هو ماسميناه معجم ما يؤمل أن يكون، أي الذي له دلالات الأمل والفضل والعفو. وتستوقفنا صيغ بعض الأفضال ومدى علاقتها بالتوسل خاصة، وإننا لم نجد لها شبيها فيما سبق، كقوله : (مجيري من الخطب المخوف، وناصري...) فما هو الخطب المخوف الذي يجيره منه ويناصره عليه، هل هو عمله ؟ أو ذنبه ؟ وكيف يناصره عليه ؟ لانعتقد ذلك خاصة وان جملا أخرى تكوّن مع هذه قرائن تساعد على تأويل آخر. فقد قال في الوحدة المطلعية (يرجّى سيبه في المساغب) والتي سبق إن وقفنا عندها.

وإذا علمنا أن القدماء كانوا ينشدون القصيدة كما قال الأمين الصحراوي (في نزول الشدائد)[45] تأكد لنا بالفعل أنها قيلت بمناسبة شدة من الشدائد التي عرفها عصر الشاعر وما أكثرها. وقد رجحنا أن يكون ذلك وباء ومجاعة (واحد وسبعين، وإثنين وسبعين وخمسمائة) وهذا ما يجعل «للخطب المخوف» و «المساغب» و «ليس فوقه مليك» تفسيرات واضحة ومعبرة.

فإذا رجعنا إلى الأفضال الأربعة تبين لنا بعد هذا التخريج أن الحماية والإغاثة قصد بهما الواقع الحادث، وان السماحة والكرم من التوسل المعتاد لدى الشاعر. وفي المقطع تجانسات حرفية :

— ففي البيت الأول تجانس استهلالي صوتي، وتجانس خلفي صرفي في الياء.

— وفي الثالث تجانس استهلالي صوتي، وخلفي صرفي في الياء كذلك.

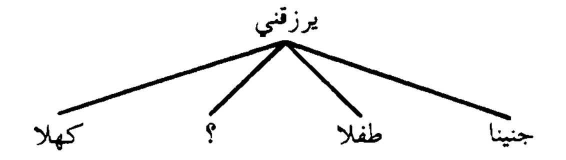
وكان لتكرار الياء بهذه الكثافة تأثير موسيقي، خاصة وانها وردت في كلمات ممدودة : مجيري، مقيلي، يوليني، الجميل، يحميني..

وفي ترديد الياء نزوع إلى النداء، وفي المد استطالة للآهات، وهي قرائن توضح ما يطبع النص من تعبير عن حالة الحزن التي تغشى الشاعر والمتوسل مهما تحدث عن الاستجابة والعفو...

وفي المقطع كذلك تقابل سياقي بين طفل، كهل، جنين... مع ملاحظة إغفال الشاعر لمرحلة من مراحل حياة الإنسان وهي الشباب. فهل طلب الرزق مقتصر على حالات الضعف

(45) عن الاعلام 8 / 72 — 73

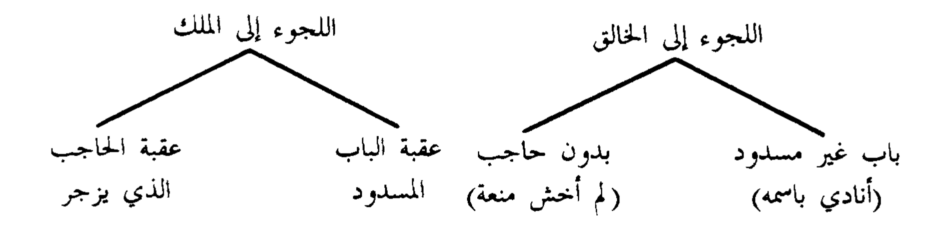
المشار إليها على أساس أن حالة الشباب هي حالة قوة لا يلتمس فيه الرزق وإنما يحصل عن السعي ؟ ام إن الضرورة الشعرية لها يد في ذلك ؟ فقد قال :



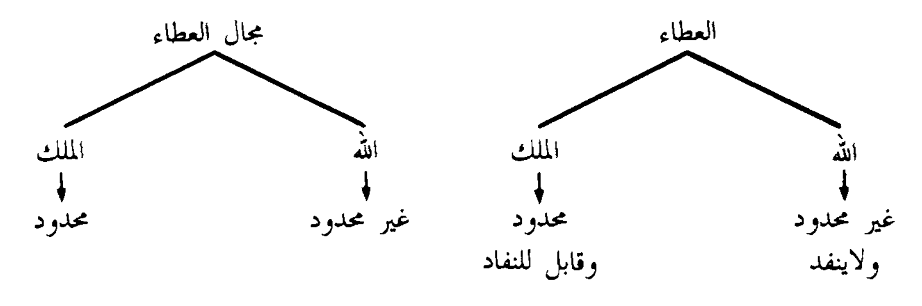
إذا سدَّت الأمــلاك دوني بــابها ... ونهنه عن غشيانهم زجر حــاجب
فـزعتُ إلى بـاب المهيمن ضارعــاً ... ذليـلا أنـادي بـاسمه غير هــائب
فلم ألف حجابا ولم أخش منعة ... وإن كان سؤلي فوق هام الكواكب

ويستمر في الحديث عن تجربته مع خالقه مركزا على واحد من الأفضال الأربعة المذكورة : وهو الكرم.

وإبرازا لأهمية الكرم الإلاهي وسعة العطاء الرباني، يدخل في سلسلة من المقابلات بين الملك الأعلى، الصمد، البر، وملك الوقت، ومواقف كل منهما



فالخالق يقبل الدعاء مباشرة، ويقبل طالبه بدون حجاب.
ويوازن بين عطاء الله، وعطاء الملك :



وهو هنا يفضح ظاهرتين من الظواهر الاجتماعية في عصره :

ـــ اللجوء إلى الملوك والتهافت على أبوابهم.

ـــ تشديد هؤلاء لتنظيمات الحجابة، فسواء في حكم عبد المومن أو ابنه يوسف أو عند ملوك الأندلس.. كانت الحجابة من التنظيمات الدقيقة التي توكل لمن توفرت فيه شروط اللباقة والذكاء وبعد النظر[46].

ويبدو من خلال الأبيات ـــ ومن واقع حياة السهيلي ـــ أنه كان من أزهد الناس في لقاء الملوك، فقد كان فقيرا كفيف البصر، خامل الذكر يعيش على الكفاف، ولم يطلب السلطان ويقصده، وإنما كانت المبادرة من يوسف عندما نبغ السهيلي واشتهرت تآليفه، فطلبه إلى مراكش[47]

وساق الشاعر هذه المقابلات في أسلوب تقرير سردي يحتوي على صورة واحدة (وإن سؤلي فوق هام الكواكب) كناية على البعد والعلو وصعوبة التحقيق، فالوظيفة المعنوية لها : هي الدلالة على البعد. والوظيفة النفسية هي الدلالة على استحالة التحقيق، إلا أن الأمر بسيط وهيِّن لدى خالق الكواكب نفسها.

كما أن هناك تراكيب لفظية : نهنه، زجر... تتضمن تناغما صوتيا، ويثير جرسها مطابقة بين الكلام والصورة، وهي في ذلك مثل قولنا : الجحفل،الجرار..

كريم يُلبى عنده كل من دعا ... نهارا وليلا في الدجا والغياهب

يقول له لبيك عبدي داعيا ... وإن كنا خطاء كثير المعايب

فما ضاق عفوي عن جريمة خاطيء ... وما أحد يرجو نوالي بخائب

فلا تخش إقلالا وإن كنت مكثراً ... فعرفي مبذول إلى كل طالب

فسائله متى شئت ان يمينه ... تسح دفاقا بالمنى والرغائب

يحدث تحول في هذا المقطع إذ يستعمل الشاعر ضمير الغيبة بدل ضمير المتكلم، فبعدما كان يروي تجربته مع الخالق وأفضاله وأنعامه عليه ينتقل إلى التعميم، إمكانية تعميم هذه الأفضال على الخلق عموما، فيستعمل لذلك ضمائر الغيبة، وإلى جانبها المخاطب الذي هو المحور الأساسي المقصود بالكلام، فنوعها بين كاف الخطاب وتاء الضمير...

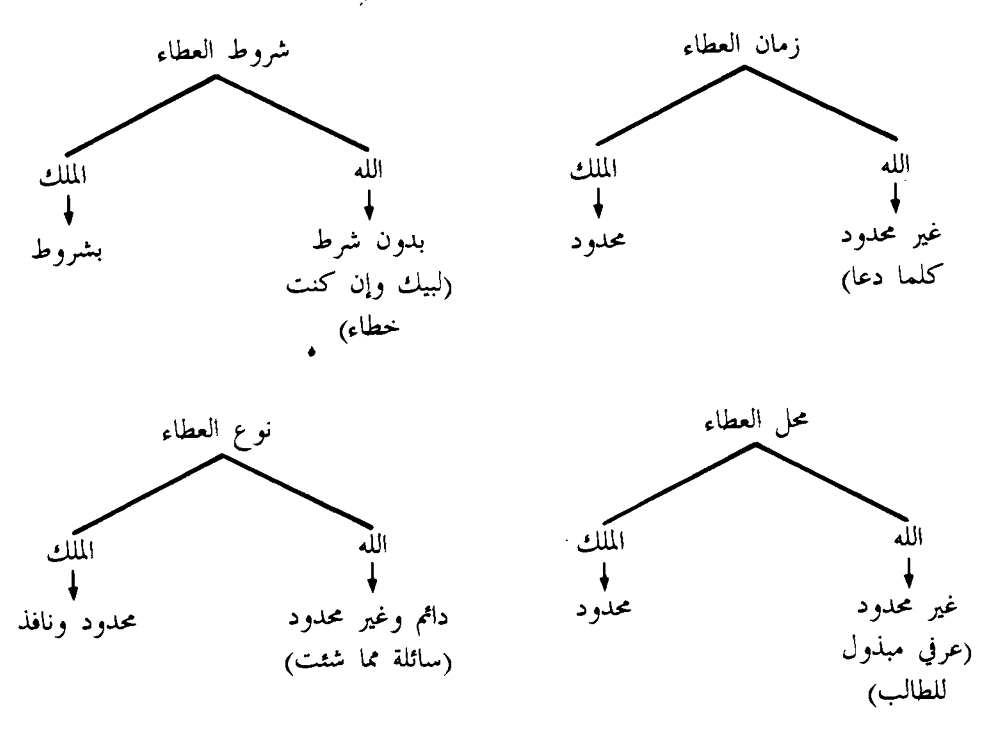
---

(46) لأهمية موضوع الحجابة عند الموحدين كان المراكشي في المعجب يتحدث بعد ترجمة كل خليفة عن أسماء وُزرائه وكتابه وحجابه.

(47) إظهار الكمال 35 والاعلام للزركلي 4 / 86

ومع تحول محاور الخطاب بقي الموضوع واحدا كما بينا، لذا استمر في تفصيل الأفضال الرباعية المذكورة في المقطع السابق، وفي المقارنة بين الملك الأعلى (الخالق) والملك الأرضي (الخليفة)، من حيث الزمان، والشروط، والمحل، والنوع...

وفي كل الحالات يبدو ضعف العطاء الأرضي بالمقارنة مع العطاء الرباني :



وتستند هذه المقابلات على آيات قرآنية وأحاديث نبوية نذكر منها جزءا من حديث قدسي طويل رواه مسلم عن أبي ذر الغفاري، ان النبي ﷺ قال فيما يرويه عن ربه (... ياعبادي لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر)[48] وقوله تعالى (ما عندكم ينفذ، وما عند الله باق)[49].

ومع ما تتضمنه هذه النتيجة من تعظيم للخالق وتوحيده وتنزيهه مسايرة بذلك مذهب الموحدين، إلا أنها لا توازيه بتعظيم الخليفة الذي أصبغ عليه شعراؤهم هالة من الجلال والقداسة منذ ابن تومرت إمامهم المعصوم..

(48) الحديث 24 من الأربعين النووية.

(49) سورة النحل، آية 96

وجر هذا التقابل الموضوعي بين (الله والملك) إلى تقابلات معجمية وسياقية تدعم أحد الافتراضين : عظمة الخالق / عجز المخلوق : ليل / نهار / عفو / خطأ، اقلال / إكثار.. وإلى أسلوب حواري جدلي يشخص فيه حديث الخالق وجوابه.

ــ وفي المقطع صورة شعرية مألوفة عند الشعراء : وهي تشبيه العطاء الوفير بالماء العزيز وهو عطاء محقق للآمال والرغائب. وتفهم دلالة الصورة باعتبار البيئة الصحراوية العربية حيث يعز الماء الذي هو عنصر الحياة وأساسها، ويكون ــ عندما ــ يتوفر ــ أهم المنى والرغائب.

وبذلك فإن الشاعر يستمد الصور من ذاكرته الشعرية أكثر مما يأخذها من وقائع حياته التي لا يلعب فيها الماء نفس الدور.

فحسبي ربِّي في الهَزاهز ملجأً   وحرزاً إذا خيفت سهامُ النوائب

يختم الشاعر مقطع التوسل الذي قابل فيه بين عَطاءي الإله والملك بنتيجة هي الاعتماد على الخالق وحده (حسبي ربي) وهي نتيجة بديهية ومنطقية على وجه العموم، إلا أن منطق العصر كان يقضي، ويوجب اختيار نتيجة معاكسة أي اعتماد السلطان إذ لايخفى مدى تهافت العلماء والشعراء والكتاب على بلاط الموحدين لما عرفوا به من سخاء وكرم ورعاية لأهل العلم(50).

ويعود الشاعر إلى الأسلوب الذي بدأ به في الوحدة المطلعية : تعظيم الخالق وإظهار ضعف الشاعر وعجزه : هزاهز، ملجأ، حرز، سهام النوائب... وطبيعي أن يبدي الإنسان ضعفه أمام الخالق سبحانه، وخلق الإنسان ضعيفا.

وتستوقفنا عبارة هزاهز، ففي تركيبها المضاعف تناغم صوتي يثير جرسه مطابقة بين الكلام والصورة : فالهاء من حروف الاهتزاز يعطيه اقترانه بالزاي (حرف مجهور، وحرف صفير) تنغيما خاصا، يزيده إصرارا وتأكيدا التضعيف، فتصبح له دلالات الاهتزاز والاضطراب وهو مدلول الكلمة في اللغة (الفتن والحوب) وما أكثرها في عصر الشاعر وخاصة فترة يوسف بن عبد المومن أي الفترة الأخيرة من حياة السهيلي(51).

وبهذا فالشاعر لا يختار الجانب الإلاهي في العطاء فقط، وإنما في الحياة العامة، فهو يحتمي به من فتن العصر وحروبه ونوائبه ومصائبه جملة وتفصيلا، فيقرر زُهده في الدنيا على وجه العموم.

---

(50) في المعجب إشارات إلى تشجيع الموحدين للأدباء والعلماء 215 ــ 217 ــ 239 ــ 242 ــ 292 ط. القاهرة 1949. وانظر كذلك الفصل الثاني من كتابنا الدولة الموحدية 1 ــ 1983

(51) انظر تفاصيل الحديث عن حروب الموحدين في فترة يوسف خاصة

الشفاعة

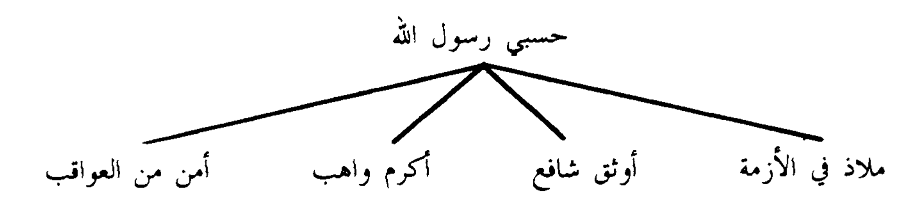
وحسبي رسول الله في كل أزمة ملاذا وامنا في إختشاء العواقب
وحسبي رسول الله أوثقُ شافع وأكرم من مدت له كف راغب
عليه كما هب النسيم تحية تفوح بها الأرجاء فيح السباسب
وأزكى صلاة ينتهي القطر دونها ويقصر عن إحصائها كل حاسب

يخصص الشاعر مقطع الشفاعة في كل قصائده لتحقيق هدفين :

1 ــ إضافة حجة لتبرير التوسل، أو لطلب تحقيقه وهي حجة الشفاعة النبوية المقررة بالنص :

2 ــ الصلاة على الرسول والسلام عليه وعلى آله الأخيار.

لهذا ذكر الشاعر (اوثق شافع) وزاد عليها ــ نظرا لخصوصية النص ــ اعتبار الرسول (ملاذا في الأزمة)، والأزمة أو الهزاهز والخطب المخوف والمساغب كلمات تؤكد مجتمعة خصوصية النص وخروجه عن توسل عادي إلى استنكار لما عرفه المجتمع الأندلسي / المغربي ــ في عصر الشاعر ــ من اضطراب وأزمات أخذ منها الناس مواقف متباينة، لهذا كله لا يركز المقطع كعادته على الشفاعة، وإنما يثير قضايا أخرى، ويجعل الرسول معتمدهُ فيها، نجملها فيما يلي :



فيجمع بين الأمل الأخروي (الشفاعة) والقصد الدنيوي (أزمة، عاقبة...) وفي التكرار الأفقي لجملة «حسبي رسول الله) إصرار وتركيز للقصد.

أما بيتا الصلاة والسلام عليه فشكليان مكروران مع ما فيهما من تشبيه معاد (كما هب النسيم، ونزل القطر) وهما مأخوذان كغيرهما من صور الشاعر من الذاكرة الشعرية لكثرة تداولهما في الشعر العربي عامة، وفي مقامات المدح النبوي خاصة.

وفي تكثيف عناصر النص : معجميا، صوتيا، تكريبيا... نلاحظ :

1 ــ وجود معجم دلالي ثنائي يعبر أحدهما عما هو كائن : خطأ، خطب، خوف،... ويعبر الآخر عما يؤمل أن يكون : شفاعة، كرم، عفو...

فبالرغم من أن محور النص هو الاستجابة فإنه لم يخل من اعترافات الشاعر بالذنب والتقصير والخوف وخاصة في مقطع المقابلة بين عطاء الله وعطاء الخليفة، ومقطع الشفاعة.

فبما أن المحور كان هو الاستجابة، فإن ألفاظ «المؤمل فيه» أو «المتوقع» جاءت أكثر إلحاحا من غيرها وكان القصد منها إثبات اللجوء إلى الخالق، والاعتماد عليه وحده فيما يعرفه العصر من أحداث وحوادث كما بينا.

2 ــ استمرار إهمال الجانب الصوتي في النص، فالتمديدات الصوتية التي تفيد استطالة الآهات والحزن قليلة، وكذا الجناسات والمقابلات وغير ذلك من الوسائل التي يتوسل بها الشعراء إلى إغناء الموسيقى الشعرية. ومع ذلك وجدنا كلمات تتوافق معانيها وأصواتها، وتناسبا حرفيا في الأبيات على وجه العموم مع تكرار حرف الياء.

3 ــ تركيبيا : لا أثر لذلك التعادل النحوي أو الفعلي بين الأبيات والذي لاحظناه في العينتين، ويمكن تفسير هذا الاختلاف باختلاف البنيتين في العينيتين : بنية ثنائية مقابل بنية قائمة على محور واحد في البائية، لذا جاء التعادل النحوي والفعلي لتدعيم البنية المذكورة وتأكيدها.

ونفتقد كذلك أساليب الشرط الموجودة في النصين السابقين التي تتسم بمنحاها الحواري الجدلي وتختص بلازمنيتها، فهي وإن كانت تعبر عن زمن معين فإنه ينزع بها إلى إفادة الإطلاق لتصلح للحاضر والمستقبل والدوام. ولعل هذا ما جعل التراكيب الشرطية في العربية تعبِّر عن الحكمة التي تتجاوز الزمن الذي قيلت فيه، لتكون صالحة لكل الأزمان.

وقد كان الشاعر يقصد هذه الأهداف في العينيتن (لذا اتخذت الصغرى منهما نموذجا يحتدى ويقتدى به) في حين أن البائية خصصت ــ فيما نعتقد ــ لتحديد موقف الشاعر من بعض أحداث عصره[52]

أما الأسلوب فيغلب عليه الطابع السردي المباشر، فالصور الشعرية القليلة الواردة في هذا النص والنصوص الأُخرى ــ غير إبداعية وتقعد فيها الرُّؤية بالشاعر على أرض الواقع الخارجي، ولا تستطيع تجاوز الحسية والسطحية والنقل المباشر[53]

وتحتكم إلى عمل مرسوم ومخطط في الذهن فتكون موحية محطمة للحواجز بين الموجودات ومعبرة بصدق وإخلاص عن المعاني والأبعاد التي يهدف الشاعر إلى إيصالها للمتلقى. يبقى أن أهم ما في قصائد السهيلي مُعجَمُها التوسلي وقيمتها الدلالية باعتبارها صنفا أدبيا مهملا في عصر سلطت في الأضواء على أصناف أدبية أخرى. ومع ذلك تمكن من إثبات الذات ليصبح نموذجا يقتدي به فيما بعد.

---

(52) ونشير إلى أن بعض المتأخرين ذكر أنها صارت مستعملة في نزول الشدائد. الاعلام 8 / 72.

(53) انظر مقدمة رسالة د : أحمد الطريسي : الرؤية والفن في الشعر المغربي، مرقونة بخزانة كلية الآداب بالرباط.

خلاصة واستنتاج :

عُرف السهيلي بكتاباته في اللغة وشرح السيرة النبوية أكثر مما عرف بالشعر والأدب. فلم يكن يروجُ بين الأدباء إلاً عَيْنيتُه الصُّغرى (يا من يرى ما في الضمير ويسمعُ) التي عورضت وخُمست... لذلك أغفل ذكره كثير من دراسي الأدب الموحدي بالأندلس(54)

فاخْتيارُه ضمن سبعة رجالِ مراكش لن يكونَ بسبب اتجاهه الأدبي بالدرجة الأولى(55)، ولعل هذا ما يفسر المستوى العام الذي كان عليه شعر السُّهيلي، وخاصة الجانب الصوتي، وجانب التركيب البلاغي ويلقى الضوء في الوقت ذاته على الجانب الدلالي المعجمي.

لقد تحدثنا عند ختام تحليل كل قصيدة عن خصائصها، وسنضع الآن خلاصة عن شعر السهيلي عموما :

1 ــ بالرغم من وجود تقسيم أولي للنص الشعري (مطلع، توسل، شفاعة) فإن المقطع الأساسي الذي هو التوسل لا يتضمن أي تحضير أو ترتيب مسبق، وإنما يخضع لما سميناه «بنية التوارد» لذا يحدث فيه التكرار والبتر، وينعدم التسلسل المنظم للمعاني والأفكار

وقد حاولنا إيجاد رابط وقاسم مشترك بين النصوص الثلاثة (هو هاجس الذنب) فلاحظنا بالفعل خطاً تطوريا من نص إلى آخر اعتمدناه في ترتيب التعامل معها.

فقد كان محور العينية الكبرى هو الذنب / العفو، وهو يوازي في اعتراف صاحبه بالذنب والتماسه العفو : مقام التوبة عند الصوفية. في حين تطور الوضع في العينية الصغرى إلى محور الفقر / الفضل الذي كان التركيز فيه على الافتقار إلى الخالق والتماس فضله، واعتماده دون غيره (استمرار هاجس الذنب)

وتأتي البائية لتكميل هذه المعاني حيث تكون الاستجابة الإلهية محورها مما يوازي مقام التوكل عند الصوفية وبذلك نلمس بوادر بنية تطورية بين النصوص.

3ــ هذه البنيات الثنائية جعلت معجم النص مقسما إلى مستويين : يعكس الأول اعتراف الشاعر بالذنب والفقر... أو ما سميناه التعبير عن الواقع (أو ما هو كائن)، ويعكس الثاني تشوف الشاعر إلى محو آثارهما بالعفو والفضل والاستجابة، أو ما أسميناه التعبير عن المتوقَّع (أو ما يؤمل أن يكون) وبالرغم من وجود تفاوت بسيط بين معجم المستويين من نص

(54) محمد مجيد السعيد في كتابه (الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس) لم يذكر إسمه في الفصل المخصص للشعر الديني ص 257 ــ 293.ط الكويت 1980، ونحا نحوه أغلب الدارسين.

(55) انظر ما قلناه عن تنظيم زيارة سبعة رجال لمراكش، في الفصل الثالث من الباب الأول من أطروحتنا : الحركة الصوفية بمراكش وأثرها في الأدب.

إلى آخر، فإن انشغال الشاعر بهما معا جعل عدد ورودهما في النصوص متقاربا على وجه العموم، كما يتضح من هذا الجدول :

النصوص	تردد ماهو كائن	تردد مايؤمل أن يكون
العينية الكبرى	36	34
العينية الصغرى	19	11
البائية	16	24
المجموع	71	69

4 — وبحضور هذا المعجم التوسلي المزدوج يغيب أي نوع آخر من المعجمات كالمعجم الصوفي مثلا بمفهومه الموضوعي الذي نجده عند بعض معاصري السهيلي كمحي الدين بن عربي المشهور وأبي الحسن الششتري، أو معجم السيرة النبوية ذي الوظيفة المرجعية الذي لاحظنا غناه عند عياض والذي استمر في الأندلس على عهد الموحدين عند أمثال ابن الجنان، وأحمد بن ميمون الأشعري، وعلي بن إبراهيم الأنصاري وغيرهم[56]

ونصل بذلك إلى النتيجة التالية : **إن الخطاب الشعري الصوفي عند السهيلي كان أقرب إلى المنحى الزهدي عند موسى المارتلي، وابن الوكيل، وابن محرز البلنسي منه إلى المنحى الصوفي الفلسفي عند ابن عربي والششتري والرعيني وأضرابهم**[57].

5 — وستتفرع عن الملاحظة الأخيرة عدة نتائج :

— على مستوى مضمون شعر السهيلي : طغيان الوظيفة الانفعالية للغة على الوظيفتين المرجعية والشارحة.

— الاتجاه إلى تسنين التوسل بالالتزام بإكثار الإحالات القرآنية والحديثة ومزجها بذكاءٍ داخل النسيج التوسلي :

— الدفاع عن وحدة الأمة وجمع كلمتها : بتقرير الوحدانية وتعظيم الخالق ورد الاعتبار إلى النبوة، مع الدعوة إلى نبذ الانقسامات وترك الفتن وعدم الإسهال في الاضطرابات، بالرجوع إلى الخالق وطلب فضله وعطائه وكرمه.

ولعل هذا ماجعل السهيلي يُستدعى من طرف يوسف بن عبد المومن الذي كان يعاني من الاضطرابات والفتن التي كان يُشعِلها بعض زعماء الأندلس كابن همشك وبن مردنيش،

(56) الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس 269 — 293

(57) نفس المرجع

وأتباع ابن قيسي وغيرهم... من الذين كانت تغذيهم أطماع مسيحية أو نزعات فلسفية صوفية.

ولهذه الأسباب كذلك خلا شعر السهيلي من كل آثار المذهب الموحدي التومرتي بما فيه من مبالغات وتهويلات ودعوة إلى المهدوية والعصمة بالرغم من أن الفترة التي عاشها كانت فترة ازدهار هذا الاتجاه، وان أغلب شعراء الأندلس ساهموا فيه بتلقائية وكثافة. فهذا الاتجاه يتعارض والأهداف التي حددها السهيلي لشعره من نزوع إلى السنة واعتصام بالخالق، ونبذ للخلاف ودعوة إلى وحدة الأمة. في حين أن الاتجاه الموحدي كان في أغلب عناصره خارجا عن السنة، داعيا إلى تعظيم الإمام، وتقديم الخلافة الموحدية على ما سواها.. فكان مصدراً من مصادر التفرقة وسببا فيها، الشيء الذي جعل أواخر الموحدين (المنصور، ثم المامون) يدعون إلى تركه والعودة إلى الأصل[58] : التقيد بالسنة.

* * *

(58) انظر كتابنا الدولة الموحدية، أثر العقيدة في الأدب الفصل الثاني ط. 1 الدار البيضاء 1983.

حول فشل النحو التوليدي

موريس كروس
مختبر الأتوماتيك والتوثيق اللساني
جامعة باريز(*)

ترجمة الدكتور موحى الناجي

لقد فشلت محاولة بناء نحو توليدي قادرٍ على وصف اللغة الفرنسية وصفا شموليا على غرار النحو التقليدي. ومهما يكن فقد توصلنا في هذه الدراسة إلى وصف لغوي تبين لنا أنه تصنيفي بالدرجة الأولى، وأكثر تعقيدا مما كنا نتوقع، وهذه النتيجة تطرحُ مسألة مَدَى صلاحية نظرية النحو التوليدي.

لقد ظهرت مناهجُ النحو (التوليدي) التحويلي إلى الوجودِ منذُ أزيدَ من عشرين سنة،

أتوجه بالشكر الجزيل للأساتذة الباحثين محمد الولي، مبارك حنون، الطيب بلغازي ومحمد الحناش الذين لم يتوانوا في المساعدة على إنجاز هذه الترجمة.
وأودُّ بالمناسبة أن أنبه إلى أمرين : أولهما أن ترجمة هذه المقالة لا تعني مشاركة صاحبها في كل الانتقادات الموجهة إلى النحو التوليدي، وإنما هدفنا فتح باب الحوار بين المدارس اللسانية. وثانيهما أن الأمثلة المعتمدة هي الأمثلة الإنجليزية. أما ترجمتها إلى العربية فلمجردِ الاستئناس وتيسير الفهم لطائفة من القراء.

(*) مختبر الأتوماتيك للتوثيق اللساني هو. E.R.A رقم 247 المركز الوطني للبحث العلمي CNRS المرتبط بجامعتي باريس 7 و 8 أود أن أشكر بصفة خاصة Marcel- Paul Schüzenberger على مساعدته لتحسين صيغ سابقة لهذه المقالة. كما أتقدم بالشكر والامتنان إلى
Terence Langendoen, James Heard, Murry eden, david
Berlinsky, Paul Postal, The edere lghtner, André lentin Morris Salkoff
لتصحيحاتهم ومساعدتهم، طبعا هذا لا يعني أنهم متفقون مع كل أفكاري.

ويُعتقد أنه بفضلها أصبح التركيبُ علماً دقيقاً. فقد ثبت من قبل أن النماذج التحويلية فرضت على الوصف ضبطا وانسجاماً لم يسبق التوصل إليهما.

ومع ذلك، يمكن للمرء أن يتساءل لماذا لم يستطع أي لساني أن يبني نحواً تحويليا يتميز بنفس الشمولية التي يتميز بها النحو التقليدي[1]. ويظهرُ أن مثلَ هذه المناهج الفعالة لم تطبق بصفة منتظمة على لغة كالإنجليزية ــ والمثير في الأمر أن اللسانيين الذين يركزون عملهم على دراسة اللغة الإنجليزية كثيرون لدرجة أنه كان بإمكانهم إنجازُ جزء هامٍّ من النحو الإنجليزي. وسأحاول الآن تحليلَ هذه الأعمال وتوضيح كيف يمكنُ التعريفُ بتوجهات البحث الجديدة.

إن الملاحظاتِ الآتية ليست وليدة تأملاتي الإبستمولوجية حول أسس النحو التوليدي، بل هي استنتاجاتٌ توصلت إليها أنا وزملائي، بعدَ أن حاولنا بناءَ نحو توليدي تحويلي للغة الفرنسية. ولقد أسسنا نحواً شكليا (Formal Grammar) يتعلقُ بجزء هام من اللغة الفرنسية، ولكن لم نكن لنتوفق في هذه المحاولة لولا التغييرات التي أضفناها إلى النظرية. ويشتمل هذا النحو على 600 قاعدة بما فيها بعضُ قيود التطبيق (rules and conditions of application) ولا نفرق بين هذين التصويرين). وقد حاولنا بصفة منتظمة مراجعة إمكانية تطبيق هذه القواعد على أكثر من 1200 وحدة معجمية (Lexical items) وليس في علمي ما إذا كانت هناك محاولة مماثلة لتطبيق هذا النوع من النحو الشكلي في اللغة الإنجليزية أو أي لغة أخرى، وقد نشرت هذه الأوصاف ليختبرها اللسانيون (1976 a, bons, Guillet lectère, 1977 Muenier, 1974 la belle, 1975, Gross, 1978 Giry-Schneider 1978 Négroni -peyre)

ومثلتُ المعطيات اللغوية في نَوى مزدوجة (binary matrices) لا يمكن خزنها أو استرجاعها أو تغييرها في فترة معقولة من الزمن دون اللجوء إلى الحاسوب. وبالتحديد فإن الأوصاف تكون تصنيفا (Classification) للمحمولات البسيطة (Simple predicates) في *اللغة الفرنسية*، ويُعتبر كل صنفٍ نواة مصغرةً (Submatrix) لكل 1200 × 600 قالبٍ مزدوج، وتثيرُ خصائصها الأوليةُ تساؤلاتٍ ذات أهمية بسيكولسانية (1974 Gross). وإذا نحن قارنا جداولَ النوى مثنى مثنى ــ أي إذا قارنا الخصائص التركيبية لكل كلمتين آثنتين ــ نلاحظُ أنه ليس هناك كلمتان إثنتان لهما خصائص تركيبية متطابقة. وإذا قرنا الجداول مثنى مثنى، أي مجالات القواعد (domains of rules)، فإننا نحصل على نفس النتيجة. وفي

(1) Jespersen 1909، Poustma 1904 ــ 29، إلخ، والخطوة الحديثة العهد والوحيدة في هذا الاتجاه (1973 Stockwell et all) ليست بنحو، بل هي محاولة لإدماج معطيات جزئية ذات أصول مختلطة، ودراسة انسجام القواعد. وتعد هذه المحاولة الوحيدة لجمع القيود التحويلية التي تم التوصل إليها لحد الآن، غير أنها متقادمة نظرا للتطورات النظرية الجديدة والتي غيرت الوضعية تماما على ما يظهر. لنذكر كذلك المجهودت التي قام بها Chapin 1967 و Householder et al 1964 ــ 5، الذين صنفوا أعدادا هامة من العناصر المعجمية.

الجدول رقم 1 أُعطي نموذجا محسوسا لذلك وسأناقش في الفقرة الثالثة كيف أن لقيود الاختلاِل الشكلي (conditions of formal irregularity) تأثيراً هاماً على قضية تعلم اللغة

قضيــة تعلــم اللغــة

						Compléments directs ou indirects													Comp. indirect					
							Complétives						Noms							Noms				
											Pron													
$il\ V\ \Omega$		Auxiliaire avoir	Auxiliaire être	N_0 est $V_{pp}\ \Omega$	$N_0\ V\ Prep\ N_1$		que P	que Psubj	[pc z.]	$V^z\ \Omega$	ce (ci + la)	ppv	N_{hum}	ppv	N_{-hum}	le fait Qu P	ppv	$N_0\ V\ Prep\ N_2$		N_{hum}	ppv	N_{-hum}	ppv	$N_0\ V\ V^0\ \Omega$
+	s'agir	-	+	-	+	de	-	+	+	+	+	-	+	-	+	+	-	-	pour	+	-	-	-	-
+	apparaître	-	+	-	+	0	+	-	-	-	+	+	-	-	+	-	+	-	à	+	+	-	-	-
+	apparoir	-	-	-	-	0	-	+	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	0	-	-	-	-	-
+	s'avérer	-	+	-	+	0	+	-	-	-	+	+	-	-	+	-	+	-	à	+	-	-	+	+
+	y avoir avantage	+	-	-	+	à	-	+	-	+	+	-	-	-	-	-	-	+	pour	+	-	-	-	-
+	y avoir lieu	+	-	-	+	de	-	+	+	+	-	-	-	-	-	-	-	-	pour	+	-	-	-	-
+	n'empêcher	+	-	-	+	0	+	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	0	-	-	-	-	-
+	être besoin	+	-	-	-	de	-	+	+	+	+	+	-	-	+	-	+	-	pour	+	-	+	-	-
+	être l'heure	+	-	-	-	de	-	+	+	+	+	+	-	-	+	-	+	-	pour	+	-	-	-	-
+	être question	+	-	-	+	de	-	+	+	+	+	+	+	-	+	+	+	-	pour	+	-	+	-	-
+	être temps	+	-	-	+	de	-	+	+	+	+	+	-	-	+	-	+	-	pour	+	+	-	-	-
+	faire bon	+	-	-	+	0	-	-	-	+	-	-	-	-	-	-	-	-	pour	+	-	-	-	-
+	falloir	+	-	-	+	0	-	+	-	+	+	+	+	+	+	-	+	-	à	+	+	-	-	-
+	s'en falloir	-	+	-	-	pour	-	+	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	de	-	-	+	-	-
+	paraître	+	-	-	+	0	+	-	-	-	+	+	-	-	+	-	+	-	à	+	+	-	-	+
+	paraître	-	-	-	+	0	+	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	0	-	-	-	-	-
+	sembler	+	-	-	+	0	+	-	-	-	+	+	-	-	+	-	+	-	à	+	+	-	-	+
+	souvenir		+	-	+	de	+	-	+	+	+	+	+		+	+	+		à	+	+	-	-	

جدول 1 عن كروس 1975

لقد تعَرَّضنا [في مُؤلفات سابقة] لكل القضايا التي سنناقشُها أسفَلَه حينما كنا نحاول بناءَ ودراسةَ ميكانيزماتٍ مجردةٍ (abstract mechanisms) تتعلق بنَحو اللغة الفرنسية. وتناولنا بالدرس قاعدة حذف المركَّب الإسمي المماثل (Equi NP delection) (Gross 1968 - 1975) في وقتٍ كانت فيه نفسُ الظاهرة في اللغة الإنجليزية تعاني تضخما في التنظير. وقد

كنا دائما نعجز عن فعل نفس الشي في اللغة الفرنسية باعتبار أنه كلما أدخلنا مثالا جديداً كان لابد من تطبيق القاعدة بطريق تخالف تلك التي استعملناها في الحالات التي سبقتْ دراستها. وقد كان التباين طفيفا في غالب الأحيان : الروابط والظروف (prepositions) التي يمكن أن تظهر أو لاتظهر، وهناك زمن أو صيغة خاصة للفعل (Special tense or mood). وقد كنا مرغمين على الاستنتاج أنه يستحيل الحصول على تعميميات بدون دراسة متكاملة للواحدات المعجمية، ولاستعمالها التركيبي. نصل بعدها إلى تصنيف المعطيات التي جمعناها بهذه الطريقة المنتظمة[2]. وبعد أكثر من عشر سنوات من البحث، تحولت أهدافنا ــ التي كانت في البداية هي أهداف النحو التوليدي ــ إلى الاهتمام بقضايا جديدة ومتعددة أثارتها التجارب الكثيرة من جهة، والتنظيرُ للمعطيات الناتجة عنها من جهة أخرى.

ولابد أن نُبرز الاختلافات الهامة بين هذا العمل والنظرية التوليدية المعيار. وهذه الملاحظات تقود إلى استنتاجٍ واضح؛ وهو أنه كان من المُمكن استعمالُ النحو التوليدي كمنهجٍ وصفيٍّ يفوق بكثير كلّ المحاولات التقليدية البنيوية السابقة.

ولكن التأكيد على استعمالِ أنموذج تجريبي experimental pardigm يعتمدُ كليا على تأمل باطني (introspection) لإعطاء الأمثلة اللسانية، وتدفعه الرغبةُ في معاملة اللسانيات على مستوى تجريدي من التعليل، هو دفعٌ بهذا الميدان إلى نوع غريب من التأمل الفسلفي، وقد اختفى التركيز على الجمل المقبولة من طرف أغلبية المتكلمين بالإنجليزية ــ أو على الأقل كما يؤكده اللسانيون خارج هذه المدرسة الفلسفية ــ وعِوَض هذا العمل ظهر نقاشٌ أكاديمي حول أشكال النحو الكلي (Forms of Universal Grammar) يتجلى ذلك في :

---

(2) لقد درسنا على وجه الخصوص (كروس 1975) توزيع الجملة الفضلة ج que (ce) وبصفة مستقلة درسنا أيضا توزيع صيغة المصدر الفضيلة فصيغة المصدر Ω (ج بدون فاعل). ويوجدُ في كل حالةٍ حالةٍ أكثر من 2600 فعلا. ولاحظنا تشابها دقيقا بين هذين التوزيعين، ماعدا ثلاثة أصناف من الاستثناءات :

أ) حوالي 70 فعلا، وأفعال مساعدة، وأدوات الجهة لها تركيب صيغة المصدر (انظر جدول رقم 2 وجدول رقم 3).

ب) 180 من الأفعال التي تسمح بصيغة المصدر فقط تمتاز دلاليا بمفهوم النقل (انظر جدول رقم 2 وجدول رقم 3).

ج) حوالي 200 فعل آخر تأخذ جملا فضلة فقط وهي تتسم من الناحية الدلالية بمفهوم الاستنتاج المنطقي.

وكل الأفعال الأخرى الباقية أي حوالي 2400 تسمح بهذين التركيبين. وفي هذه الظروف فإنّ مفهوم المصدري الذي يظهر في جل الأعمال حول حذف المركب الإسمي المماثل يظل فارغ المعنى. وعلى كل حال، فإن غياب دراسة مماثلة بالنسبة للإنجليزية قد أدى إلى تعميم استعماله.

1 — وقائع لسانية (Linguistic facts) : لقد تطور تصور الواقعة اللسانية كثيراً منذ القرن السابق. ويمكن إعادة بناء هذه الواقعة اللسانية بفضل ممارسة المتخصصين، رغم أن هذه الحقيقة لم توضح في أية نظرية لسانية.

(أ) فهدف اللسانيات المقارنة هو دراسة تطور القرابة اللغوية وكنتيجة لهذا، فإن الواقعة ستكون شكلا لسانيا يربط بين لغتين أو مرحلتين لغويتين بالنسبة لنفس اللغة.

(ب) أما النحو التقليدي فإنه يعتبر الوقائع قابلة للتَّغيُّر (1968 Chevalier) ويربطها أساسا بتَعَلُّم اللغات الأم مع اهتمام خاص بأبجدية اللغة (Spelling) (لاسيما قواعد التطابق والأسلوبية الأدبية، أما تدريس اللغات الأجنبية فإنه يثير وقائع نحوية أخرى مثل استعمال حروف الجر، والرتبة، إلخ...

(ج) تُعدُّ الوقائع الإضافية في اللسانيات البنيوية بمثابة سلسلة من المقولات، أي من الأشكال التركيبية (1933 Bloomfield, 1946 Harris).

(د) وفي النحو التحويلي نجد 1952 Harris يميز تصور الوقائع اللسانية بجعل العلاقات بين الأشكال التركيبية هي النقطة الأساسية. أما تشومسكي 1956 Chomsky فقد جاء بمجموعة من الفرضيات حول شكل هذه العلاقات. إن المقولة الجديدة (new category) بالنسبة إليه هي بناءٌ أو علاقة مفترضة بين بناءاتٍ ستُقلِّص عدد الفرضيات (hypotheses) : وهي وقائع حول الميتالغة (metalangage) اقترحها تشومسكي.

والمثال التالي سيوضح لنا بعض التصورات التحويلية (Transformational concepts)، وكذا دراسة أشكال تركيبية مشابهة تؤدي بنا إلى الوضعية التالية : بعض الأشكال لها خاصية تركيبية وأخرى تفتقدها. لنأخذ المثال التالي :

(1) أ — King John launched an attack against the city (شن الملك جون هجوما على المدينة)

ب — King John watched an attak against the city
(شاهد الملك جون هجوما على المدينة)

في هاتين الجملتين King John هو الفاعل، أماan attack against the city فهو مفعول به يحتوي كذلك على رأس (head) وهو : an attak، ومتعلِّق به هو against the city. ومن وجهة نظر أخرى، فإن الجملتين مختلفتان : المُركَّبة against the city (phrase) تعد كذلك مفعولا للفعل الأساسي to launch وليس لفعل to watch وهذا ناتج عن الاختلافات حول مقبولية (acceptability) أزواج الجمل الآتية :

(2) أ — It is against the city that king John launched an attack
* (انه على المدينة قد شن الملك جون هجوما)

It is against the city that king John Watched an attack.

(انه على المدينة قد شاهد الملك جون هجوما)

An attack was launched against the city by king John — ب

(شُن هجوم على المدينة من طرف الملك جون)

An attacked was watched against the city by King John.

* (شوهد هجوم على المدينة من طرف الملك جون).

ويبحث النحو التوليدي عن هذا النوع من الوقائع باعتبار أنه يبين القيود اللاشعورية التي يملكها متكلمو اللغة.

سيؤول هذا المثال في النحو التقليدي كنموذج لحالة القاعدة والاستثناء. فالجملة التي تكون فيها against the city ذات وظيفتين آثنتين تشكل حالة استثنائية لأنها محدودة في أفعال مثل to launch، والتي يبدو أنها أقل عددا من الأفعال الأخرى[3] وقد ورث النحو التوليدي هذه الخواص التجريبية من الأنحاء التقليدية، انظر تشومسكي (1972 : 126 — 7) :

«لقد كانت الأنحاء التقليديةُ الأكاديمية أنحاء توليدية، وذلك على الأقل في مضمونها، رغم أنها لم تتمكن من تحديد كيفية تركيب الجمل وتأويلها. والنحو التقليدي الجيد يعطي عَرضا كاملا لاستثناءاتِ القواعد (exceptions to rules) ولكنه يعطي إشاراتٍ وأمثلة فقط لتوضيح البنيات القياسية (regular structure)...»

ويظهرُ أن التباينَ الحقيقي بين النحو التوليدي والنحو التقليدي يكمن في الطبيعة الشكلية للميتالغة، كما يقدمها النحوُ التوليدي، ونجد أن التصورات (Concepts) في الدراسات التقليدية غير محددة بدقة، وهي تتغير حسب الحدس (intuition). ويسبب الاستعمال البسيط للشكلية (formalism) اختلافات هامة في ممارسة اللسانيين. ونظرا لأن المقولات والقواعد النحوية ممثلة برموز محددة، فإن استعمالها بصفة متماسكة قد أدى إلى وصف منسجم للوقائع اللسانية المستقلة في التأكيدات التركيبية، وهذا الانسجام نجده في اللسانيات البنوية كذلك، ولا نعثر عليه في اللسانيات التقليدية. وفي نظر بعض اللسانيين، فإن تطبيق التقنيات

(3) إن المعطيات في الواقع أكثر تعقيدا لأن هذه الظاهرة تابعة للفعل الأساسي، والإسم ومواضعها النسبية. هناك أمثلة في موضع الفاعل :

An agreement between them should occur.

(لابد أن يقع اتفاق بينهم).

An agreemnt between them would displease Max.

اتفاق بينهم لن يُعجب ماكس).

ولا يمكن لـ Between them أن يزحلق إلى اليمين إلا في المثال الأول.

الشكلية يتطلب فحص كل البنى بتفصيل (من أدوات التعريف (determiners) وحروف الجر[4]، والجمل النحوية التي كانت مهملة بصفة عامة)، وكنتيجة مباشرة، فإن تصنيفات جديدة للوقائع لم تكتشف بعد.

ومهما يكن، فإن بعض الانتقادات الأساسية الموجهة للنحو التقليدي تنطبق كذلك على النحو التوليدي، وفي ميدان كهذا حيث يجب أن يكون هناك تشكك دائم في الحدس، يكتفي المتخصصون بمعطيات النحو التقليدي ولا يزيدون عليها إلا بعض التفاصيل. وفي أحسن الأحوال يلجأون إلى قيود جديدة، إلا أنها غير منتظمة حيث تَردُ على شكل أصناف محصورة من الأمثلة[5]. وعموما ليس هناك من المتخصصين في النحو التوليدي من يعي ضرورة توضيح وجودِ الظواهر [اللسانية]. ورغم إبدائهم لبعض الملاحظت حول التباين الواضح على مسلك بعض الجمل، إلا أن ملاحظاتهم تبقى مصطنعة، وتؤكد على أن المقارنة بين أكبر عدد من الحالات هي الضمان الوحيد على وجود معطيات حقيقية، ومن الغريب أن قواعد النحو التوليدي كانت قد صيغت بتفصيل اعتماداً على قوانين المنطق وعلى الحاسوب قبل الإشارة إلى العدد الكبير من الظواهر المناسبة.

وسأوضحُ الآن هذه النقط بإعطائي أربعة أنواع من الأمثلة كانت قد تعرضت لها الدراسات الكلاسيكية فيما قبل.

1.1 بالنسبة للمثال الأول، أي البناء للمجهول، هناك مشاكل جوهرية تتعلق بوجوده، وتعكس مدى استعصاء تشكيل قاعدته. تعتبر جمل مثل **Max ate my soup** (شرب ماكس حسائي) **My soup was eaten by Max** (شُرب حسائي من طرف ماكس) مرتبطة بعملية تحويلية. وهذا الارتباط يبرره كَونُ المركبين الإسميين **Max, my soup** وَ **The boy, a cake** يحتفظان بعلاقة الترادف في إطار شروط شكلية محددة. أولا لستُ أدري هل هناك دراساتٌ تقارن بين المركباتِ الإسمية بصفة منتظمةٍ في المبني للمجهول والمبني للمعلوم تحتوي على عدد كبير من الوحدات المعجمية أو على تصنيف دلالي للأسماء على الأقل. فقد اتُّخذت خُطوة غير مبررة تتردد بين (أ) مراجعة بعض الأزواج الواضحة (**obvious pairs**) التي جاء بها الحدس الخالص وبين (ب) التأكيد بأن هناك علاقة صورية مستقلة عن المضمون المُعجمي للمركبات الإسمية. وحتى لو أنجزت دراسة متأنية عن فعل (أكل) **to eat** فإنها لن تسمح بتعميم قاعدة المبني للمجهول على أفعالٍ أخرى. وفعلا فإن دراسةَ بعض الأفعالِ توضح

---

(4) لكن يظهر أن اللسانيين التوليديين يؤمنون أن توزيع حروف الجر والظرف ليست واقعة مهمة. فهم يظنون أنهم وجدوا حلا للمشكل بصفة نهائية باستعمال قاعدة سياق غير ملاءمة من نوع ف م س ← ف ح ج م س، والتي تدخل حرف الجر الصحيح في السياق الصحيح.

(5) مثلا أهملت التوليدية المتممات الظرفية (الفضلات الظرفية) التي لم تدرس دراسة جدية في النحو التقليدي.

بالملموس ضرورَة القيام بدارسة متأنية في هذا الباب. لنأخذ مثلا فعل to inhabit (قطن) الذي لا يقبل المبني للمجهول.

Max inhabits Manhattan

(يقطنُ ماكس منهاتن)

Manhattan is inhabited by Max.

(قُطنت منهاتن من طرف ماكس)

ولكن عندما يكون الفاعلُ إسما يدل على الجمع فإننا نجد جُملا من هذا القبيل :

Rich politicians inhabit Manhattan(4)

(يقطن السياسيون الأثرياء منهاتن)

Manhattan is inhabited by rich politicions.

(قطنت منهاتن من طرف السياسيين الأثرياء)

ولنأخذ الآن فعل (توصَّل) to receive، المستعمل في جدول الأمثلة التالية :

(5)أ — Max received our parcels

(توصل ماكس بطرودنا)

Our parcels were received by Max

(توصِّل بطرودنا من طرف ماكس)

ب — Max received all possible guarantes

توصل ماكس بكل الضمانات الممكنة

All possible guarantees were received by Max

(توصِّل بكل الضمانات الممكنة من طرف ماكس)

ج — This question well receive all Our attention

(توصلت أو استحقت هذه المسألة بكل عنايتنا)

All Our attention will be received by this question

(ستتوصل بكل عنايتنا من طرف هذه المسألة)

توضح هذه الأزواج بأن المبني للمجهول لكل فعل رهينٌ بالاستعمال المجازي أوالحقيقي للفعل، وكل استعمال مرتبط بأزواجِ المركباتِ الإسمية. ويظهر كذلك أن التصو ر المجازيَّ صعبُ الصياغة. لكن هذا الاستعمالَ يقومُ على أساس تركيبي صحيح (Boons 1971).

وتثيرُ هذه القضايا العامةُ مشكلَ التحويلات، كما تُلفت الانتباهَ إلى مفهوم التوزيع الذي تم بحثه سابقاً، وفيما يلي أمثلة تشتمل على المبني للمجهول من جهة، وعلى المبني للمعلوم من جهة أخرى.

(6) أ The symbol Ψ represents this function
(يمثل الرَّمز Ψ هذه الوظيفة)

ب — This function is represented by the symbol Ψ
(تُمثل هذه الوظيفة بالرمز Ψ)

ولكون هذه الحالة غير واضحة تماما بحيث إن جملا كرقم (7أ) يقابلها من المبني للمجهول (7 ب) :

(7)أ — Physicists represent this function by the symbol Ψ
(يُمثل الفيزيائيون هذه الوظيفةَ بالرمز Ψ)

ب — This function is represented by physicists by the symbol Ψ
(تُمثل هذه الوظيفة عند الفيزائيين بالرمز Ψ)

وعندما يكون للمبني للمجهول فاعلٌ بارز (agent)، كما في (7 ب)، فإن هذا الفاعل يُمكن ن يختفيَ من نفس الجملة (مثلا : my soup was eaten (أُكل حسائي) ولهذا يمكن اعتبارُ (6 ب) مبينا للمجهول موافقاً (6 أ) أو موافقا (7 أ) التي ليس لها فاعل بارز.

غير أنه لا نلقى أي صعوبة مع الزوج التالي :

(8)أ — This reply astonished Max
(فاجأت هذه الإجابة ماكس)

ب — Max was astonished at this reply
(فوجىء ماكس بهذه الإجابة)

وهذا راجع لكون at this reply ليس مفعولاً فضلةً (Oblique complement لفعل To astonish.

(9)NP astonished Max at this reply
(فاجأ م س ماكس بهذه الإجابة)

ونرى الآن كيفَ أن التمييزَ بين المنفذ والفضلة الحرفية (prepostional complement) تتغير من فعل إلى آخر، وكل فعل يستلزم دراسة من هذا القبيل. ولكن لم يقترح أي لساني توليدي استعمالَ أيِّ قاموس يميز بين الأفعال التي تقبل المبني للمجهول والأفعال التي لا تقبله. وسيقودنا تطبيقُ هذا الإجراء البسيط والأساسي، في جميع اللغاتِ تقريبا، إلى اكتشاف أمثلة كالتالي :

(10)أ Sharp intuitions underlie his discourse.
(يرتكز خِطابه على حدس دقيق)

ب ــ His discourse is underlain by sharp intuitions
(خطابه مرتكزعلى حدس دقيق)

وفي هذه الحالة يأخذ المبني للمجهول منفذا إجباريا :

(11) His dicourse is underlain
(خطابه مُرتكز)

ومع وجود هذه الأشكال يصعب تحديد المنفِّذ في تحليل أمثلة، مثل (6 ب). وقد لا ينفعُ اقتراحُ المبني للمجهول في صيغة عامة دون مراجعة مقبولية عدد هام من الجمل المكونة انطلاقا من قوائم الأفعال وسياق الكلام الواردين. ولايدرك المرء كيف يمكن للأساليب الحاسوبية مثل الرمز الفارغ Δ (postishe) أو لسمة الأثر (trace) أن تُساهم في الوصف التجريبي للمبني للمجهول.

ولا نجد في النحوين التوليدي والتقليدي أي تصور لتعداد (enumeration) الأمثلة اللسانية.ولم يحاول أي مختص في التركيب أن يُحصي حالات مطردة (regular) وأخرى استثنائية. وموقف تشومسكي في الاستثناءات غيرُ مألوف، كما يظهر في هذه العبارة المقتبسة (انظر أيضا الجملة الثانية في الاستشهاد السابق) :

«فعلا، لكثير من القواعد وربما كل القواعد التحويلية، استثناءات. وهذه الحالات الاستثنائية لابد لها أن تصنف على حدة، إذا لم نستطع توضيحها عن طريق وصفة عامة (general formulation) ولن يكون اكتشاف بديل نظري (وصفي) تختفي فيه هذه الحالات الإستثنائية أمراً مرغوبا فيه، (سيكون من الأهمية بمكان) لكن يظل اكتشاف هذه الاستثناءات دون جدوى إذا لم يؤد إلى عمومية أكثر شمولية(*)»

وإذا أولنا قول تشومسكي بصفة إيجابية، فإنه يظهر وكأنه يعتبر الاستثناء في القاعدة اللسانية كما يعتبر العالم الفيزيائيُ نتيجة تجريبية غير مطابقة لنظريته خطأ في الجهاز التجريبي. وأكيد أن العالم الفيزيائيُ الذي لايوضح صلاحية تجربته لن يكون مستعداً للتخلي عن نظريته لمُجرَّد فشل تجربة ما ومهما يكن فهو مُطالبٌ بأن يوضح (إمَّا بإعادة التجريبية experiment) أو، في أحسن الأحوال، بالتحليل) كيف أن النتيجة التجريبية التي ليست مطابقة لتصوره خاطئة في الواقع نظرا لخطأ تجريبي. وهكذا فلا يكفي أن نرفض جملة لاحنةً وهي مقبولةٌ حدسا عند المتكلمين الفطريين لِمُجرَّد أن نظرية تقول بأن هذه الجملة غير مقبولة، لأنها تُشكلُ استثناءً في القاعدة. ومن البديهي أن تكون لكل لغة طبيعية استثناءات، أي استثناءات خاصة.

طبعا لا يمكن للمرء أن يبين في الحين أن كل استثناء هو فطري في طبيعته، ولكن يجب

(*) Chomsky 1962. p, 244 - 245

أن يسجل على الأقل كل الاستثناءات وإن كان ينوي دارستها فيما بعد، وتعد دارسات المبني للمجهول خلال العشرين سنة الأخيرة مثالا حيا لهذا الخطأ المنهجي، وهذا بالأساس إنكار للمبدأ الذي يسلتزم تصنيف وحساب الأمثلة اللسانية(6)

(6) في التوليدية تعد المركبات الإسمية مثل «حَلُّ المعادلة من طرفِ أستاذنا»

The solution of the equation by our teacher.

متضمنة للمبني للمجهول لفعل to salve، وهكذا يمكن طرح مشاكل معقدة من الرموز الشكلية (تشومسكي 1975 : 6 ـــ 10 ـــ 117). ولم يفكر أي توليدي في الابتعاد عنها باستعمال حل هاريس 1968، الذي يربط مباشرة بين الجملتين.

Our teacher solved the problem

(حل أساتذنا المشكل)

Our teacher effected the solution of the equation

(توصل أستاذنا إلى حل المعادلة)

والعلاقة هنا ترتكز على فعل مساعد، وهو to effect. وهذا الفعل يقبل البناء للمجهول :

The solution of the equation was effected by our teacher, (ب)

(توصل إلى حل المعادلة من طرف أستاذنا.)

وقد أدخل هذا المبني للمجهول باستعمال جملة موصولة :

The solution of the equation that was effected by our teacher. (ج

(حل المعادلة الذي تُوصل إليه من طرف أستاذنا.)

والآن بحذف that was effected نحصل على ا م س الذي هو تحت الدرس، وبطريقة تفسر الصعوبات الآتية :

ا م س الذي ليس له إسم تابع لفعل، مثلا : the painting by Klee

(رسم كلي) سيحصل عليه بحذف that was made

The painting that was made by klee

(الرسم الذي أنجز من طرف كلي) وا م س التي لا يقابلها فعل متعد مثلا

The appeal to their conscience by the police.

(نداء الشرطة لضميرهم) مشتقة من الجمل الآتية :

د.The police appealed to their conscience

(وجهت الشرطة نداءا إلى ضميرهم).

The policer made an appeal to their conscience.

(وجهت الشرطة نداءاً إلى ضميرهم).

Ar appeal to their conscience was made by the police.

وجه نداء إلى ضميرهم من طرف الشرطة.

وقد وضعت قيود إضافية مختلفة على أدوات التعريف (انظر : Giry - Schneider 1978) أمَّا =

ومن الصعب على مختصٍ في علم طبيعي أن يستسيغ عدم قيام أحد بهذا البحث فيما يتعلق بالتركيب الأنجليزي. كما أنّ النحو التقليدي لم يضع قوائم تركيبية ولكنّنا نعرفُ اليوم أن ما ينقصهم المناهج أو البواعث التي كان باستطاعتِها أن تقودَهم إلى النجاح. وقد أصبح هذا ممكنا باستعمال المناهج التوليدية. ويعد جمع المعطيات بالنسبة للقضايا التركيبية ضروريا كما في حالة المبني للمجهول. ومن الغريب أن يكون النحو التوليدي قد تجاهل هذا الجانب في اللسانيات في الوقت الذي يُمكن فيه أن يقودنا إدراكُ طبيعة القضايا التركيبية إلى استكشاف منتظم مع الاستعانة بقاموس.

وليس جمع المُعطيات هدفاً في حد ذاته ولكنه يُعدُّ أساسيا في جميع العلوم الطبيعية لتقويم عموميةِ القضايا اللسانية. وهذا التصوُّر للعمومية أو لأهمية الوقائع غائب تماما في النحو التوليدي الذي يُعطي معنى للجمل عبرَ الشكلية (formalism) فقط. يعد المثالُ اللساني دَالاً في النحو التوليدي إذا هو سمح لنا باختيار نظرية من بين النظريات المتنافسة وقد أصبحت نتائج هذا الاتجاه في السنوات الأخيرة كاريكاتورية.ويعرف اللسانيون اليوم كيف يخترعون نظريات جديدة حَسب هواهم بحكم تدريبهم على الاستعمالات الشكلية (Formalistic manipulations). وفي هذه الحالة نجد أن نفس الجمل الروتينية كافية لكل النقاشات النظرية. ولم يعد هناك أي دافع للنظر إلى عوامل جدية. ولهذا نجد النحو التوليدي يدور في حلقة مفرغة، وسأعود إلى هذا الجانب في النظرية التوليدية فيما بعد.

وتؤكد الأهمية التي تعطى لبعض التفاصيل الشكلية الطابعَ الحكائيّ للمعطيات، وقد تسببت الصياغة الشكلية في تضخم ظواهر كثيرة كان يتناولها اللسانيون فيما سبق في بضعة أسطر. ويجب أن يقارن هذا مع العدد الهائل من الجمل السهلة الاكتشاف والتي لم تدرس بعد.

الأمثلة التي تبين وجود علاقة المبني للمجهول لم تحظ بأي نقاش. ففي الجملتين الآتيتين :

ه) Max has an annoyed tone of voice.

(لماكس نغمة مزعجة)

His manner of speaking is always annoyed.

(طريقته في النطق مزعجة دائما).

يظهر annoyed كإسم المفعول. past participle في تركيب المبني للمجهول. لكن المبني للمعلوم غير مقبول في هذه الحالة :

و) (One + this) always annoys this manner of speakins.

(واحد + هذا) دائما يزعج طريقته في النطق

(One + this) annoys his tone of voice

(واحد + هذا) يزعج نغمته

ولابد أن تكون الإشارة إلى هذه الواقعة التي تؤثر على مئات الأفعال ذات أهمية قصوى بالنسبة للمتخصص، غير أن صياغة محكمة سوف تقوده إلى مشاكل لا أساس لها في الواقع.

2.1 لنأخذ مثالا ثانيا : التقديم الذي تسبب مؤخرا في جدالٍ عقيم (1971 Chomsy, 1974 Postal). والتقديم نوعان يُمكن توضيحهما بالزوجين التاليين.

(12) أ — It seems to me that Max is stupid
(يبدو لي أن ماكس غبي)

ب — I believe that Max is stupid
(أظن أن ماكس غبي)

I believe Max to be stupid
(أظن ماكس غبيا)

وحسب تشومسكي فإن الزوج الأول يتضمن تحويلا بينما الزوج الثاني يتطلب معالجة شكلية مختلفة. لكن Postal بوسطل يظن أنه ليس هناك فرق مهم بين الحالتين معاً. ولايشير أي منهما إلى أن تعداد الأفعال التي يمكن استعمالها في كلتا الحالتين واردٌ بالنسبة لنظريته لأنه لامكان لتحديد الاتساع المُعجمي للأشكال اللسانية في النحو التوليدي. وحينما نقوم بهذا التحديد في اللغة الفرنسية التي يوجد بها نفس المشكل، نجد 3 أفعال مثل To seem وأكثر من 600 فعل مثل To believe (وقد أشرت إلى هذه الأفعال الثلاثة بإشارة زائد (+) في الجدول رقم 1. ويمكن أن يدعيَ البعضُ أنه ليس لهذا الإخبار الإحصائي أي علاقة بقضية شكلية[7]ولكن هذا يوضح أن أفعالا من نوع To seem قليلة وغير خصبة بينما الأفعال التي من النوع الثاني خصبة (Productive) بحيث يمكن أن تُؤثر في أفعال وجمل أخرى، وفي هذا السياق يمكن اعتبار العملية الثانية أهم من الأولى. ولهذا ينبغي دراستها بإمعان والتركيز على الأشكال التي تتطلبُها. فاستنتاجاتنا إذن مختلفة عن استنتاجات تشومسكي Chomsky وبوسطال Postal وتصوُّر الواقعة التي تنبني عليها هذه الاستنتاجات ذو أسسٍ تجريبية تختلف عن تلك التي استعملها أصحاب النحو التوليدي.

3.1 الجملة الموصولة (relativisation) هي مثالي الثالث. لقد تصرَّف اللسانيون دائما وكأنَّ كلَّ إسم (فاعل، مفعول به، إلخ) يمكنه أن يقبل الجملة الموصولة. مثلا :

(13) أ — The book that Max bought is poorly written
(إن الكتاب الذي قرأه ماكس ركيكُ العبارة

ب — Max bought the book which is on the table
(اشترى ماكس الكتاب الذي يوجد فوق الطاولة

(7) غير أن هذا النوع من المعطيات يستعمل ضمنا. فمثلا كون كل الأفعال تقبل الفواعل هو في الحقيقة ملاحظة إحصائية على معجم (الإنجليزية، الفرنسية إلخ)، وليس على المعطيات. وهذه الإشارة من الأهمية بمكان حيث إنها القاعدة التجريبية للتقسيم البنيوي «الأساسي» للجملة : الفاعل ــ المحمول. والاستثناءات مثل Voilà Voici (هذا، ذاك) في الفرنسية نادرة فعلا.

وحينما تكون الجملة الموصولة خبراً (attribute) كما في (14 أ) فهو يستعمل كمصدر (Source) للنعت المتناظر (Corresponding adjective) في (14 ب).

(14) أ — Max bought a book which is red
(اشترى ماكس الكتاب الذي هو أحمر)

ب — Max bought the red book
(اشترى ماكس الكتاب الأحمر)

وباستثناء ملاحظة كورودا Kuroda (265 : 1968) فلم يسبق لأي نحوي أن ناقشَ مقبولية (14 أ) التي تختلف عن مقبولية (13 ب). وفي أقرب تقدير فإن (14 أ) تبدو لي غير مقبولة. أما (14 ب) المشتقة حسب ظني من (14أ) فهي مقبولة بتأويل مقارَن (Contrastive interpretation) باعتبار أن هناك كتبا أخرى. ووجود هذه الكتب الأخرى يمكن أن يشار إليه في سياق الكلام أو أن يكون خارج لساني (extra-linguistic). ولا تنطبق هذه الملاحظة على (13 ب) أو على شكلها المختزل والآن، هناك مواقعُ تركيبية (syntactic positions) لا تقبل فيه الأسماء لجمل الموصولة. نجد كمثال الكملة الفرنسية ressort في الجملة Ce travail est du ressort de Max والتي تقترب معنى وشكلا من This work is within his competence وهنا الكلمة Competence تقبل الجملة الموصولة مع الأفعال المساعدة (auxiliary verbs) من النوع الذي أشرنا إليه في الهامش رقم 6 :

(15)This work is within the competence which he has
(هذا العمل يكمن في القدرة التي عنده)

This work is within the competence which we all appreciate
(هذا العمل يكمن في القدرة التي نستحسنها)

والجملة الأخيرة مرفوضة رغم التطابق الانتقائي (Selectional compatibility) وفي نظري، فإن غيابَ وصف أوليِّ لهذه القيود يحول دون بناء أي نظرية يمكنُ أن تتجاوز وصف المعطيات المأخوذة من النحو الملقن في المدارس الثانوية. ولعل السؤال الذي يطرح نفسه هو هل سيمكن لتطبيق المنطق الرياضي على هذه القضية أن يكون له أي معنى.

وتُشير الأسئلةُ المتعددة التي جئتُ بها إلى كيفية بناء قاعدة مُعطيات باستقلال عن المسلمات النظرية. ونجد في كل العلوم أن جَمع المعطيات المتماكسةِ يسبق التقدمُ النظري. وتشتمل العملية التجريبية على جمع الوقائع وعلى تكوين صورة شاملة عن اللغة المدروسة. وجدير بالذكر أن المشاكل التركيبية لم تعالجْ قطّ بهذا الأسلوب وتشير وقائع عدة في السنين القلائل الأخيرة أن هناك اختلالا في معظم الظواهر اللسانية يرجع في أغلب الأحيان إلى طوارىء تاريخية أو ثقافية وعندما نتناول بالدرس صفة ما فينبغي أن نميز هل هذه الصفة

عامةٌ أم مجردُ حادثٍ موروث عن ظروف خاصة. ولهذا يُعد النقاشُ الدياكروني (عبر الزمان diachronic) أساسيا، ولكن لامكان لهذا النوع من النقاش في النحو التوليدي (,1973 Stéfanini, 1975 Lightner) وكنتيجة لهذا، نلاحظ أن العالم اللساني يختارُ القضايا التي يريدُ معالجتها حسب إرادته، وتتغير درجة هذه القضايا مع تغيرات المنهج اللساني. وتوضح الأسئلة المتعددة عدم وجود أي هتمام بالاستقصاء التركيبي. (Syntatic exploration) الذي لأيعترف به.

1 . 4سأناقشُ معالجةَ الصوتيات التوليدية (generative Phonology) لما يُسمى بـ h المنطوقة بـ aspirated في الفرنسية. وهذه القضية من الأهمية بمكان بحيث أنه بإمكانها توضيحُ أو دحضُ وجود السلك (cycle) في الفرنسية. لننظر إلى هاتين الحالتين من الربط (liaison)

Les haricots / leariko * / lezariko / the beans (16)
Les animaux * / leanimo / lezanimo / the animals

وتختلف هذه الأمثلة بسبب h المنطوقة aspired. ولكن يمكن أن نبين أن هذا الاختلاف اصطناعي تماما، فرضه النظامُ التربوي الفرنسي بصفة جلية. والمثقفون وحدهم هم اللذين يستعملون h بينما أغلبية المتكلمين الفرنسيين لا ينطقون ب leariko بدلا من / lezariko / المنتشرة الاستعمال. وبالإضافة إلى هذا، فالطفل لا ينطق بـ h ولو بعد أن يكون قد تعلم النظام الصوتي الفرنسي بصفة نهائية، أو بعبارة أخرى قبل دخوله المدرسة، ذلك أن h صعب التلقين، كما نسمع بذلك يوميا في الفصل وفي الشاعر. وعدم وجود هذا المشكل اللساني يثبتُه غياب أي تماسك داخلي للمعطيات فمثلا نجد أن héros يحتوي على h خلافا للمؤنث .héroïne

لكن héron، ومؤنثه héronne يحتوي على h وفعل harnacher يُفترض فيه أن يحتوي على h، وهذا يعني أن المتكلم المفرد Je harnacherai ينطق به بإدخال حركة بين بين schwa، ولكن مع الغائب المفرد ils harnacheront نجد أن h غير مقبول / ɔ̃ /ilarnas/ وهناك حالات مماثلة متعددة، وزيادة على هذا نلاحظُ أن المدرسين لا يصححون من الربط إلا الحالات التي تظهر في أكثر المواقع التركيبية (Syntatic positions) كالتي توجد بين أداة التعريف أو التنكير (article) والإسم، وكالتي توجد بين ضمير وفعل. وهكذا نجد أن جميع حالات الربط مطبقة بصفة طبيعية محترمة بذلك قاعدة سيادة الحركة ـــ والحرف الصامت (dominant consonant - vowel rule) في جمل غير التي لقنت في المدرسة.

Les Chefs ont combattu par hèros interposés. — أ (17)
(لقد قاتل الرؤساء من خلال أبطال المصالحة).

ب — Max porte des vêtements pour héros
(يرتدي ماكس لباسا خاصا بالأبطال)

ج — Tout héros qu'il soit, Max a peur.
(لقد خاف ماكس رغم أنه بطل).

ولابد للحرف الصامت الذي يسبق مباشرة hèros أن يكون جزءا من كنمة (a syllable) مع é الموجود في héros).

وتعد مظاهر استعمال h شيئا تربويا مصنوعا لا علاقة لهُ بالطريقة التي يتعلم بها المتكلمون النظام الصوتي والتركيبي للفرنسية. ولقد ناقش النحويون التوليديون هذه الظاهرة (phenomenon) وكأنها يمكن أن تسلط الأضواء على بنية اللغة (ولدارسة مفصلة لهذه القضايا انظر Gaatone 1978)

هناك ظواهر متعددة من هذا القبيل تُعتبر غيرَ واردة بالنسبة للنظرية التحويلية[8]. ونجد في أغلب الحالات أنه لا يمكن تحديد معنى ظاهرة ما باللجوء إلى وجهة نظر خارجية كما هو الحال في h.[9]. إذن من الضروري القيام بدراسة شمولية ومنتظمة للغة التي نتناولها بالدرس. وهذه الدراسة لم تكن موجودة من قبل نظرا لأن النحو التوليدي لم يقم بأعمال تجريبية كثيرة ولغياب هذا المنهج علاقةٌ مباشرة باختيار الأمثلة اللسانية. فلا يعطي اللسانيون التوليديون أيَّ تبرير لاختيار أي ظاهرة من أجل الدرس والبحث.

وسأناقشُ الآن طبيعة النظريات التي ثم اقتراحها في هذه الظروف.

2 . النظرية

يمكن تقدير الأهمية التي يوليها النحو التوليدي للنظرية بتفحص ما أُلِّفَ في هذا الباب. ونجد أن المنشورات التي لا تساهم في بناء أو في تغيير نظرية ما قليلة جداً. والنقاشات تدور

(8) والجدير بالذكر أن نماذج هاريس (1970، 1976) لم تطور بالطرق التوليدية المعيار. ومن الخصائص البارزة لهذه النظرية كون القيود الطارئة معزولة عن القيود العامة في جزء خاص من النحو : الصوتميات الصرفية الموسعة. و لم يناقش قط من وجهة النظر هذا التناقض التوليدي بين المعجمية والتحويلية، وإذا كان هناك تشابه بين الصوتميات الصرفية لهاريس ومعجم التوليدية فما هو إلا تشابه سطحي. ولا يمكن اعتبار تأويل الأمثلة القليلة التي تقدمها التوليدية وارداً بالنسبة للمشكل التجريبي الخاص بتحديد الوقائع الهامة.

(9) توجد أمثلة أخرى للظواهر اللسانية والتي يتدخل فيها التدريس، ونتيجة لهذا يتم تغيير طبيعتها : فللفرنسية الربطِ والحذف واستبدال al بـ aux، في الجمع، إلخ. وحتى نأخذ هذه المعطيات بعين الاعتبار فمن المهم أن نعزل مظاهرها المنتظمة عن معطيات الإنجاز، والتي هي مشروطة بالسياق الاجتماعي بطريقة غير لسانية متغيرة. وفي الحاضر، فإن المظاهر المنتظمة وخصائص الإنجاز مختلطة.

دائما حول النظرية اللسانية. غير أن عبارة «التركيب التجريبي» ربما لم تستعمل منذ 20 سنة. وهذا غريب لأنه عادة ما تكون التجارب غير منفصلة عن بناء النظريات. ويُعد نحو أية لغة بمثابة نظريتها (Chomsky 1972، 26 — 27).

ومن جهة نظر تقنية (Harris 1951 : 372 : 373 , Chomsky 1956) يعتبر النحو أسلوبا توليديا (نظام إعادة الكتابة، نظام جبري (algebraic system)، نظام المعادلات (System of aquations) إلخ) يمكننا من حساب شكل ومعنى الجمل. وعلى سبيل المثال، فإن النحو يقابل عندهم عبارةً في الفيزياء الكمية (أو الذرية) تشبهُ معادلة شرودينكر Schrödinger التي تسمح بحساب الأمواج وهندسة الذرة الأولية. ولايمكن من الناحية الإبستمولوجية أن نفرق بين بناء نحو وبين بناء نظرية في أي حقل من حقول العلم. ونحدد بعد ذلك مباشرة اتجاهات البحث : ونقوم عادة بجمع المعطيات بصفة منتظمة ونقارنها بالفرضيات المتعلقة بالقواعد. ومن السهل اليوم أن نطور هذا النوع من الممارسة اللسانية. ويُمكن أن يمتد جمع المعطيات إلى جميع اللغات التي يُمكن التوصل إليها (all accessible languages) لأن هذا يسمح لنا بالإتيان بفرضيات أكثر عمومية في أسلوب مرتب حول شكل النحو، أي حول القدرات اللسانية للإنسان :

«يبدو أن أخطر إشكال بالنسبة للنظرية اللسانية هو استخراج بيانات وتعميمات من أنحاء وصفية سديدة وأن تعزى هذه البيانات والتعميمات إلى النظرية العامة للبنية اللسانية...»(*)

وفيما يتعلق بالتركيب، يشتمل النوعُ الأساسي من التجربة على بناء وتقييم متوالية الكلمات (sequence of words) التي تتغير بنيتها بإدخال ثلاث تغييرات تأليفية رئيسية : النقل، الزيادة والحذف. ولابد أن تكون هذه التجارب قابلة لإعادة الإنتاج عند اللسانيين على الأقل، ولكن لا يقبل أي «منظر» هذا الطلب الأولي كما لا يقبل ضرورة إحصاء كل الوقائع. ويكتفي المنظرون أنفسهم ببضع أمثلة، تكون مقبوليتها أحينا مشكوكا فيها وتعتمد أحيانا على الحدس بصفة خاصة، غير أنه ينبغي جمع آلاف الأمثلة اللسانية ومقارنتها وتصنيفها. وإذا أخذنا بعين الاعتبار هاتين الهويتين المؤثرتين، فإنه سيطلق العنان للنقاشات التجريدية بسبب الانتقاء التحكمي ((arbitray selection) للمعطيات، ويدافع تشومسكي بكل وضوح عن مبدأ انتقاء المعطيات(*)

«أعتقدُ أن اللسانيات الحديثة قد حققت إنجازات عظيمة يمكن أن نفتخر بها،... لابد من التذكير أن الفضل في هذه الإنجازات يعود جزئيا

(*) تشومسكي 1965 ص 64.

(*) تشومسكي 1972 ص 165.

إلى العلم الحديث أولا وإلى التكنولوجيا الحديثة ثانيا. ويُعَدُّ جمع المعطيات أمرا بسيطا (informal)، ولحد الساعة لم تطبق المناهج التجريبية (خارج علم الأصوات) (phonetics) إلا نادراً، كما أنه لم يتم استعمال التقنيات المركبة لجمع المعطيات أو لتحليلها. وهذه التقنيات المستعملة بكثرة في العلوم السلوكية يمكن خلقها بسهولة في المستقبل. ويبدو أن الحجج التي تؤيد العملية غير الشكلية إلزامية وتشير كلها إلى أنه يمكن الحصول على مجموعة من المعطيات الأساسية حتى ولو كان الأمر يتعلق بقضايا نظرية هامة. والنتيجة هي أن العمل اللساني الذي يوجد في أحسن الظروف، يفتقر إلى كثير من خصائص العلوم السلوكية».

وقد دفعت المحاولات الأولى لصياغة قواعد التركيب (معادلات هاريس 1946، وقواعد السياق (contexte rules) عند تشومسكي 1956، Chomsky و Schützenberger 1963، والتحويلات) نَقول دفَعت بتشومسكي إلى صياغة فرضية عامة وهي أن الأنحاء تنتمي إلى صنف من الأنظمة الشكلية (formal systems) (أي أنظمة إعادة الكتابة).

ومنذ ذلك الحين توجه البحث إلى مناقشة الوقائع التي تقيد شكل هذه الأنظمة العامة. والهدف من هذا كله هو تقييد شكل أنحاء اللغات الطبيعية. وقد يظهر هذا الاتجاه شرعيا (legitimate) بادىء ذي بدء، غير أنه يشكل خاصية سنتطرق إليها مُستقبلا : ولقد بنيت كل الحجج المتعلقة بأصناف الأنحاء الشكلية (classes of formal grammars) (أي مجموعة من الأنحاء حددت معالمها مسبقا) وليست تلك المتعلقة بخصوصية أنحاء اللغات (Particular grammars of launguages). وسنرى في الفقرة 5 بأن هذا البرنامج مرتبط باللسانيات الرياضية.

ولكن ينبغي دائما أن يكون بناء اللغات الخاصة (particular languages) جزءا لا يتجزأ من برنامج اللسانيات. لأن النحو نَمُوذج (model) المعرفة الاشتقاقية ــ التركيبية المكتسبة من طرف المتكلمين الفطريين (natives speakers) (Lakatos 1978). إذن هناك تناقض سلوكي أساسي بين : (أ) فكرة أن التوليدية تعطي قاعدة يُعتمد عليها لكشف نظرية اللغة و (ب) غياب أي برنامج يهتم ببناء أنحاء اللغات الخاصة. واليوم تَعتبرُ التوليدية كُلَّ بحث يعتمد على عمل تجريبي منتظم غير وارد، بعدما كانت سابقا تقوم بإسهامات لتحديد وتدقيق عدد من العمليات النحوية. و لم تعد هذه «اللسانيات» تهتم بالحصول عكس صورة شمولية ومفصلة لأي لغة ما. وهكذا فقد أصبح التركيب التوليدي عبارة عن بلاغة جديدة تَستأثر بعلم المنطق والتركيب والإعلاميات. ويبدو أن هدفها يقتصر على بناء تأملات مجردة (abstract speculations) لمجموعة صغيرة من الجمل الجاهزة أو المصطنعة والتي غالبا ما تكون جُملاً أنجليزية.

يُوضّح تطورُ «التحويلات» كيف اختفت القضايا التجريبية وحل محلها التأمل التجريدي (abstract speculation) لننظر إلى التصور الأصلي الذي جاء به هاريس 1952، والذي يأخذ الشكل التالي تقريبا :

(18) ج 1 ← ج 2

ويخوِّل لنا هذا أن نشْتقَّ الجملة : ج 2 (مثلا المبني للمجهول) من جملة أخرى ج 1 (مثلا المبني للمعلوم). وقد تخلّى تشومسكي 1965 عن هذه الصياغة (formulation) بصفة نهائية وأكد ضرورة إدخال مستوى البنية التجريدية (abstract structure) والبنية العميقة (deep structure) والتي تشتق منها التحويلات بنياتٍ سطحية (surface structure)، يعني جملاً مثل ج 1، ج 2. وهكذا نحصل على :

ب ع

ج 1 ج 2

وهذا الموقف يُلغي القاعدة التجريبية للتحويلات والتي توضحها العلاقة المباشرة بين ج 1 و ج 2، ويَخْلُق على مستوى تجريدي هندسةً مركبة للبنيات الشجرية (tree structures). ومهما يكن فقبل أن نحاول تحديد شكل شجرة البنية العميقة (DS)، لابد أن نعرف هل هناك علاقة لسانية بين ج 1 و ج 2. وهذا السؤال تجريدي أساسا ولا يحكم مسبقا على الطبيعة الشكلية (formal nature) للعلاقات. ولكن التوليدية لا تعالج هذا النوع من الوقائع، بل تختفي هذه الوقائع وراء تقنيات شكلية وحسابات تجريدية أصبحت بالضرورة موضوعاً للسانيات.

ويمكن تفهم القاضايا النظرية التجريبية إذا ميزنا بوضوح بين المسائل المتعلقة بوجود علاقات بين جمل وبين قضايا هندسية مرتبطة ببنية الجمل. وفي الحقيقة تطفو قضايا الوجود كالتي طرحناها حول المبني للمجهول في نفس الشكل في أي إطار نظري كان وتُعالجُ هذه القضايا سواء في توليدية تشومسكي أو في النظام الجبري لهاريس. غير أن الحجج (arguments) والقضايا النظرية متباينة في هذه الاتجاهات الشكلية (formal approches). ولقد حاول تشومسكي بناء هندسة خاصة بتغيير الأشجار (deformation of trees) ويكْمُنُ غرضهُ الأساسي في البحث عن قيود تجريدية على هذه التغييرات. أما هاريس فقد قلل من كمية الشكلية (formalisation) اللازمة للربط بين الجمل، وقد حدد البنية الجبرية اعتماداً على أصناف من الجمل المستقلة أساسا عن هندسة الجمل (geometry of sentences) وهناك طرق أخرى لصياغة هذه الوقائع انظر مثلا postal 1977).

لقد اتضحت الآن الصفة الفرضية لكل هذه الصياغات، بينما يظن أغلبُ اللسانيين أنه ينبغي لكُلٍّ نحو أن يكونَ نظاما شكليا، وأرى شخصيا أن صلاحية التصور الهندسي للبنية

المكونية (constituent structure) لم تُبيَّن بعد ولا تتسم حتى بالمعقولية. وبالإضافة إلى ذلك فإنه من الواضح أيضا أنه في الوضع الحالي للمعرفة يمكن إدْماج العلاقة اللسانية الهامة الموجودة بين الجمل في كنف إشكالات متنوعة من بينها أنظمة إعادة الكتابة مثلا.

لقد أعطى الإستكشاف الشكلي للنظريات نتائجه الإيجابية في الفيزياء. أما في اللسانيات فقد أحدث هذا النوع من التفكير تأثيرات سلبية. ويمكن أن نذهب بعيدا فنفترض أن هناك وقائع جديدة مهمة ومتعددة لم يتناولها اللساني التوليدي بالدرس، لا لشيء إلا لأنها مخالفة للنظريات التوليدية. وهكذا فإن قواعد إعادة الكتابة (مثلا ج ← م س م ف، م ف ← ف م س) تصف التعلقات المحلية (Local dependencies). فبينما يعتمد الإسم الرأس مثلا في المركب الإسمي على الفعل، فإن عناصر أخرى داخل المركب الإسمي مثلا : المُغيِّرات (modifiers) وحروف التعريف (determiners) تعتمد على الإسم لا على الفعل. ولكن توجد هناك أوضاع تركيبية تتضمن قيودا غير محلية. وقد أدى الإيمان بعمومية النماذج التوليدية المحلية إلى إهمال جداول مثل :

(19) أ — Max drives at the speed *
(يسوق ماكس بالسرعة)

* Max drives at a speed
(يسوق ماكس بسرعة)

* Max drives at the astonishing speed
(يسوق ماكس يالسرعة المدهشة)

* Max drives at an astonishing speed
(يسوق ماكس بسرعة مدهشة).

* Max drives at the legal speed.
(يسوق ماكس بالسرعة القانونية)

* Max drives at a legal speed
(يسوق ماكس بسرعة قانونية.)

وهذا الأنموذج (paradigm) الذي يتعلق بالظُّروفِ المتعدِّدة، له أهمية قصوى (انظر الهامش 5). وانظر مثلا الزوجين (pairs) التاليين اللذين يحتويان على جمل ذات آرتباط من حيث المعنى :

(20) أ — Mary's lucidity surprised Max
(وضوح ماري أدهشت ماكس)

Mary suprised Max with her lucidity
(لقد أدهشت ماري ماكس بوضوحها.)

ب — Max liked Mary's lucidity
(أُعجب ماكس بوضوح ماري)

Max liked Mary for her lucidity
(أُعجب ماكس بماري لوضوحها)

ففي الجملتين (ب) هناك علاقة خاصة بين Mary والمضاف إليه her (With + for) lucidity، التي تسلك سلوك المضاف (common indirect complements) لنأخذ الأزواج الآتية :

(21) أ — The totality of the books will go to Max
(ستعود الكتب في مجموعها إلى ماكس)

The books will go to Max in their totality
(ستعود الكتب إلى ماكس في مجموعها.)

ب — Max read the entirety of those books
(قرأ ماكس بأكملها تلك الكتب.)

Max read those books in their entirety
(قرأ ماكس تلك الكتب بأكملها.)

وتتضمن العلاقة بين الجمل في كل زوج قيدا بين حرف التعريف المسبق (predeterminer) The entirety، The totality، والإسم Books. وتوجد نفس العلاقة في الزوجين السابقين كما لاحظنا. ففي محل الفعل تأخذ هذه العلاقة الشكل التالي :

(22) $X\ [_{PP}\text{PREP } N_0]$ $X = [\text{NP } N_1]V$ $[_{NP}\ N_0 \text{ OF } N_1]V$

No هنا يعني المركب الإسمي، NP رأس الفاعل، والإسم. N1 مضاف إليه. وتعيد العلاقة تركيب الفاعل بأكمله وتزحلق رأسهُ (extraposes its head) نفس العلاقة تحصل في محل المفعول به.

ونلاحظ عمومية هذه القضية، أي تحديد محل الأسوار (Localization of quantifiers) لأنه صالح لتحليل[23] :

(23) Max read the books (entirely + in their entirety)
(قرأ ماكس الكتب (كلها + بأكملها).

وهنا يظهر تأثير الظرف (adverbial) المشتق من حرف التعريف المسبق entirety في الإسم وليس في الفعل :

*Max read (entirely + in their entirety)(24)
قرأ ماكس (كلها + بأكملها).

وكل هذه الأزواج عمومية، ونلاحظها في كل الأفعال (Gross 1977) وهي من الأهمية بمكان بحيث أن وجود هذه العلاقات يطرح مسألة كيفية إدخال الأسماء وحروف التعريف المسبقة بالنسبة للأفعال. ولكن التوليدية لاتذكر هذه الظواهر. ومن الصعب أن نربط هذه الجمل داخل التوليدية. لأنها ستتطلب عمليات أكثر تعقيدا من عمليات التقديم (Raising)، ويمكن الافتراض أن صعوبة الربط بين هذه الجمل في إطار التوليدية هو الذي دفع باللسانيين إلى تجنبها.

وأذكر الآن نوعا آخر من الظواهر التي لم تتناولها التوليدية بالدرس ربما لأنها دقيقة جدا، وتُطبَّق هذه القواعد على بعض الوحدات المعجمية فالتقديم مثلا يقتصر على بعض الأفعال. وقد أتى بوسطال Postal 1974 بلوائح غنية للأفعال في الإنجليزية، وكما أشرت سابقا فإن العمل الذي أنجز مؤخرا حول الفرنسية يحثنا على إعطاء لوائح مماثلة للأفعال في الفرنسية. ولكن هناك فرق كبير بين هذين التعدادين (enumerations) : فالبنسبة للفرنسية يمكن القول أنه لا توجد أفعال أخرى غير التي سبق ذكرها. وبهذه الطريقة يمكن تحديد المكان المعجمي لهذه الظاهرة، وهذا التصور غير وارد في التوليدية. والتصنيف المنتظم هو الوحيد الذي يسمح لنا بصياغة هذه البيانات بهذا الشكل. وزيادة على ذلك فإن دراسة الفرنسية قد تقودنا إلى الملاحظة الآتية : تشكل الظواهر التي يسميها تشومسكي معجمية القاعدة، أما تلك التي يسميها تحويلية فهي قليلة نسبيا. وبعبارة أخرى فحين نحصل على صورة شمولية للغة ما، بتصنيف (categorization) جل الكلمات (العناصر المعجمية) وقيودها المحلية، يتضح لنا أن فكرة التحويل كما نشرتها التوليدية لها أهمية هامشية فقط. فالتوليدية تَنْطبِقُ فقط على جزئيات محكمة من المعطيات. ولم تُراجِع التوليديةُ صورها أبدا.

وإن المجهودات الضخمة التي بذلها التوليديون من أجل خلق نظريتهم ترجع إلى تشبثهم بمبادىء فلسفية، مثلا فكرة أنه لابد لأي نظرية لسانية صالحة أن تشبه التحليل الرياضي في شكلها، والنتيجة هي الخروج بنتائج شكلية للمعنى اللساني العميق ('deep linguistic meaning). ومن الصعب أن نجد دعامة تجريبية لهذا الاعتقاد. وبالإضافة إلى ذلك، توضح الفقرة 5 أسفله أن نتائج اللسانيات الرياضية لاتطور هذه الآمال، ومهما يكن من أمر، فإن أهم نشاط التوليدية حاليا يدور حول البحث عن قيود مجردة لتقييد صنف الأنحاء الشكلية.

ومن وجهة نظر غير لسانية. يمكن نعت هذا النوع من البحث بالتصور الضيق للعمل. صحيح أن تحليل المعادلات الجوهرية قد أدى إلى تنبؤات مدهشة ولكن هذا الوضع لا نظير له. فعلوم الحياة (biology) والنباتات (botany) والكيمياء والجيولوجيا لا تَتَّسِمُ بهذه الخاصية، فقد آمتازت الفيزياء بمكانة خاصة منذ Kant بسبب المؤلفات الفلسفية التي لازالت

تهمل مناقشة العلوم الطبيعية. وقد عانى لسانيون عديدون من الضرورة الملحة للحصول على مستوى علمي يُمكِّنُ من تنبؤات تُشبه التكهنات الرياضية.

وجدير بالذكر أن هناك مجالا في اللسانيات يتشبث بالإجراءات المعيارية للعلم التجريبي وهو النحو الهندي ـــ الأوروبي المقارن. وأول عمل قام به هذا النحو هو وصْف التشابه بين السانسكريتية واللغات الأوربية، وذلك في القرن السادس عشر، وقد أصبح هذا النوع من الوصف أكثر سدادا في القرن 18 بفضل Sir William Jones ومنذ ذلك الوقت تراكمت الأوصاف وكانت جلها ذات طبيعة إيتيمُولوجية في البداية، ولكنها أصبحت أكثر ميلاً إلى المقارنة إلى غاية بداية القرن 19، وفي ذلك القرن قام Bopp بجمع وتصنيف معطيات بطريقة مكنته من استخراج الخصائص العامة المشتركة بين اللغات التي تناولها بالدرس وقد قام schleicher بخلاصة إضافية وهي الافتراض القائل بأن اللغة الهندية ـــ الأوربية تشكل الأصل المشترك لهذه اللغات. ومنذ ذلك الوقت حصل تقدم كبير وتمت تطبيقات متعددة للنظرية. وكان على اللسانيين المعاصرين أن يستخلصوا الدرس من تاريخ اللسانيات.

ويوضح التشابه، بين النظرية المادية (أو أيِّ نظرية في العلوم الطبيعية) والنظرية اللسانية، الاتجاهات التي أناقشُها. والتباينُ الكبير ولو لم يكن رياضيا (mathematical) يكمن في أن النظريات ذات الأسس الجديدة، قد توصلت إلى مستوى تجريدي بعد عشرات السنين أو ربما بعد قرون من العمل الجاد، جمعت وصنفت فيها الوقائع بصفة منسجمة مع نظريات قابلة للتطبيق محليا مع العناية الدائمة بالبحث المُنتظم ـــ وهذه شروط ضرورية لكل تعميم هام ـــ ونجد بالمقارنة أن اللسانيات التوليدية قد أصبحت عبارة عن نقاش تجريدي للرموز الشكلية التي تتغير بسرعة ولا تظهر أي تقارب، وقد اهتمت التوليدية بتعميم الملاحظة وأهملت إمكانية جمع المعطيات المنتظمة.

وقد حصرت هذه الفلسفةُ اللسانياتِ التوليدية في مستوى تجريدي أصبَح الآن مستقلاً عن المعطيات اللسانية ولم تستقطب هذه النظريات المقترحة لحدِّ الآن أي اهتمام. ونجد في الحقيقة أن المنظرين يستعملون نفس المكنزمات الشكلية التي يستعملها المبرمجون (programmers) المختصون في معالجة المعطيات غير العددية (non- numercial data) فالرمز الهيكلي (dummy symbol) يعتبر مثلا ذاكرة محفوظة يحدد مضمونها ببرنامج، والأثر t(t trace) يعد كموشر لعنوان (address pointer) ورمز bar يدل على أسلوب لحساب عدد المرات التي دخلت فيها العجرة. وتشير حُجج عديدة إلى أن مكنزمات النحو التجريدي شبيهة بتلك المكنزمات المستعملة في تقدير برمجة الألكرِتم (algorithm). والاختيار بين النظريتين، أي بين التوليدية والتأويلية شبيه بالاختيار بين SNOBOL و Pl / I لبرنامج معين، غير أن الاختلاف يكمن في أن المبرمج يمكن أن يبرمج ألكرتمة في لغتين ويمكنه أن يختار حسب النتيجة إحدى اللغتين.

أما اللسانيون التوليديون فلم يدلوا بأي حجج تجريبية تؤيد امتياز نظام على نظام آخر. وهناك اختلاف آخر بين اللسانيين، والمُبرمجين، يَكمُن في كون المُبرمجين أشدَّ صرامة من اللّسانيين، لأن المُبَرمجين يَقْتَصِرُون على بعض اللغات المحددة. أما اللسانيون فيعتبرون إدخال أساليب شكلية جديدة مساهمة فعالة وأصيلة لتطور اللسانيات. ولكن غياب أي ثقافة علمية يحول دون الإدراك بأن هذا النشاط تافه، وأن المبرمجين المحترفين قادرون على اقتراح مكنزمات متعددة بيدائلها[10] وهذه المكنزمات هي التي يسميها اللسانيون بافتخار «النظريات البديلة» والتي يمجدونها نظرا لسدادها التجريبي.

ويمكن سردُ إشارات أخرى توضح سلبيات الاعتماد على المستويات التجريدية، وهكذا فإن الفرق بين القدرة والإنجاز (competence performance) قد خلقه علماء الفيزياء للتمييز بين السلوك المشروع والسلوك الحاصل (Legitimate and actual behaviour) : وهكذا لابد للذرة شرعيا أن توفق معادلة (أو تنضبط لمُعادلة ما)، ونجد في الحقيقة أن البيئة تحدد دائما هذه الاختلافات، ونجد أن المصطلحات النفسية تطابق نفس وجهة النظر المزدوجة حول مقبولية مجموعة من الكلمات، يعني في التجارب التركيبية : فإن مجموعة من الكلمات يمكن أن تكون نحوية أي أنه يمكن أن تكون صالحة بالنسبة لقدرة النظرية أو بالنسبة لنحو ما، ويمكن أن تكون هذه المجموعة من الكلمات مقبولة أي قابلة للملاحظة (observable) (بالحدس المباشر أو بالنقاش مع مجموعة من المتخصصين). والجدير بالذكر أنه في السنوات الأخيرة فقط قد تم إغفال هذا الفرق من طرف المؤلفين الذين أصبحوا يستعملون لفظة «نحوي» مدمجين اتجاهين مستقلين. ويمكن تأويل هذا التَّحوُّل باعتباره دليلا آخر على اللاوعي بأهمية العمل التجريبي الشيء الذي حول التوليدية إلى نشاط تجريدي صرف ذي مضمون ثقافي غير واضح.

3 ــ التعلم

ولابد من الإشارة إلى الطبيعة التجريدية للنقاش الدائر حول التعلم الذي يعد ركنا هاما في البناء التوليدي والذي هو نتيجة نفس الإيديولوجية. وسنكتفي بملاحظة المستوى الذي

(10) في هذا الموضوع، ينبغي فقط أن أستشهد بنقاش Sussmann، و Zahler 1978 لنظرية الكارثة مع إدخال تفسير طفيف : «أحيانا يسود الاعتقاد بأن وسائل كمبدأ أ ــ عبر أ (A-over A Principale) نظرية الأثر (Trace theory) إلخ تعد بمثابة الخطوة الأولى نحو تطور اللسانيات العلمية. ومهما كانت مساوئها، فيقال إنها الأداة الوحيدة لدينا». والدفاع عن التوليدية بهذا الشكل يشبه الدفاع عن فكرة أن حساء الدجاج يصلح لعلاج الزائدة الدودية وذلك بدليل أن هذه الطريقة وإن كانت ربما غير جيدة فليست لدينا أية طريقة أخرى أفضل. وطبعا (أ) لدينا شيء أفضل، و (ب) ولو افتقدناه، فهذا غير كاف للتصريح بأن حساء الدجاج جيد على غرار أي دواء صالح للزائدة الدودية.

يُناقِشُ فيه تشومسكي (1975 : 14 ــ 35، 156 ــ 8) هذه القضية. فهو يمثل قَصْدَ التوضيح، نظرية التعلم الافتراضية كوظيفة (O,D) LT (hypothetical learning theory as a function LT (O,D)) لمتغيرين (Variables) إثنين : 0 للجهاز العضوي (organism) و D لميدان المعرفة ((Domain of knowledge) وتبين حجة تشومسكي أن 0 = إنساني و D = اللغة بالنسبة للحالة اللسانية ــ وحالة خاصة نفسية وبيولوجية عامة، ومثال آخر هو 0 = فأر (rat) و D = حيرة (maze). ومن المُهم أن ندرك أن التوليدية يمكن لها أن تعالج الأشياء الميتافيزيقة فقط[11]، نظرا لأنها لم تبن أي نموذج حقيقي لأي لغة معينة. ومع ذلك، هناك أسئلة عديدة يمكن طرحها على التنظير والتجريب المطابق حالما نجد منفذا لوصف شكلي ومعنوي للغة ما. وتبعا لتركيب النحو والمعجم الذي قدمناه أعلاه نتساءل كيف يمكن لمتكلم فطري (native aspeaker) أن يكتسب هذا النسق (pattern) من المعطيات، وبالأخص كيف يمكن تعلم المقبوليات وبصفة قاطعة، تعمل غير المقبوليات (non- acceptabilities) التي لم يُسْمَعْ جلها ؟ هذا النوع من القضايا الذي يمكن أن نُقدِّم لَهُ معطيات عددية (numercial data)، يستحق نفس الاتهام الذي يحظى به البحث الافتراضي على القيود الكلية (Universal constraints) المتعلقة بطبيعة اللغة الشكلية، في سياق لم يُبْنَ فيه أي مثال من النحو.

وقد أدى اتخاذ تفسير التَّعلم بآعتباره هدفا أساسيا للسانيات إلى تناقض ظاهري : لقد أصبحت التوليدية عبارة عن نشاط سلوكي، وهذا عيب يدعي التوليديون أنهم تخلصوا منه بمستوى التنظير الذي وصلوا إليه، وقد أسس التوليديون مذهبهم على الملاحظة الأولية (rudimentary observation) التي تبين أن المتكلمين الفطريين يكتسبون جميع القيود المتعلقة ببعض اللغات الخاصة (particular languages). لكن هذه الملاحظة لا تبين شيئا ولا تميز بين أنواع الوسائل المكتسبة. فبعض هذه الوسائل مثلا عبارة عن بقايا عمليات كانت منتجة سابقا، أو تجارب أدبية محدودة آحتُفظ بها عرضا (accidentally preserved) أما في التوليدية فنجد أنه ينبغي اعتبار الوقائع العرضية (accidental facts) منتسبة إلى اللغة وإذن إلى النحو. ولكن يُمكن القول أنه ما عدا الطريقة الغامضة التي يَكتسبُ بها الأطفالُ مكنزمات تركيب الجملة (وبعضها ربما فطري) فإنَّه يمكن أن تتم حصة مهمة من التعلم بالتكرار، الشيء الذي يفسر القيود العرضية. ولكن نظرا لأن التوليدية ملزمة بتفسير التعلم فإنها لا تقبل وجود عمليات مختلفة، ويبين (تشومسكي 1964 : 7 ــ 8) بوضوح هذا الموقف بالذات :

---

(11) يدخل تشومسكي في نقاش فلسفي حول وظيفة (O,D) LT التي ليست لها أية خاصية. ومن الغريب أنه في نفس الوقت تقدم التوليدية طرقا لتقيم الأنحاء (تشومسكي 1964 : 24 ــ 27). مثلا فإن عدد السمات المزدوجة في قواعد النحو يعد من المعامل التي تستعمل لقياس ملاءمة نظرية ما (تشومسكي وهالي 1968 : 392 ــ 393). وهذه الطريقة الميكانيكية في الاختيار تنسب في نظري إلى دراسة مغزى الأعداد أو إلى تصور للتعلم في غاية السلوكية اللهم إلا إذا كان لهذه الطريقة دافع تكنولوجي سري.

«إنه من الواضح أن التعلم بالتكرار عامل له أهمية صغيرة في الاستعمال اليومي للغة، أي أن «قلة قليلة من الجمل التي تنطق بها هي في الواقع جمل حفظناها عن ظهر قلب، وأن أغلبية هذه الجمل على العكس من ذلك، تركب في الحين» وأن أحد الأخطاء التي ارتكبها علم اللغة القديم هو معالجة كل الألفاظ الإنسانية مادام لم يطرأ أي تغيير على استعمالها، كما هو الحال بالنسبة لاستظهار شيء ما عن طريق الذاكرة.»(*)

ولابد من الإشارة إلى أن الحجة (evidence) الوحيدة التي تدعم هذا الرأي هي استشهاد من Paul. ولا توجد هناك أي دراسات توضح كمية التعلم بالتكرار لدى الطفل. ولم يدرك أي توليدي مدى انعكاسات هذه الفكرة البسيطة : فقد مُزِجَتْ أنواعٌ متعددة من الوقائع (facts) وكأن لها خصائص مشتركة أو نفس الأهمية (انظر التقديم Raising) ومن جهة نظر التعلم فإن كل الوقائع تعالج بنفس الطريقة. والذي منع التوليدية من البحث عن الأولويات في معالجة الوقائع هو غياب أي نظام لساني مرجعي صحيح. وقد أصبحت الأوصاف شبيهة بطريقة جمع السلوكيين للمعطيات، والتي تعَرَّضت لانتقاد شديد.

وينتج عن اعتماد اللسانيات للتغيير إهمال للعوامل التاريخية واللهجاتية في الأنحاء التزامنية (Synchronic grammar) والحال أنَّ دراسة هذه العوامل هي التي ستؤدي إلى وصف خصوصية النواة التزامنية أي إلى وصف خصوصية مجموعة من الظواهر العامة (general phenomena). والنقاش الخاطىء الذي يَدَّعي أن الطفل لا يُمْكنُه التوصل إلى تركيب الأنجليزية القديمة (Old English) والإنجليزية الوسطى (Middle English) هو الذي يمنع من استعمال الطرق الناجعة للسانيات المقارنة. ونظرا لوجود بقايا من هذه المراحل والتي نُقلت عبر عديد من الأجيال، فكيف يمكن القول بأن هذه المراحل لا تنتمي إلى نظام مكتسب. والطريقة الوحيدة تكمن في دراسة العوامل التاريخية إذ يمكن مثلا دراسة كيفية تطور شكل لساني من اللغات الهندية ـــ الأوروبية، أو باستعمال عدد كبير من الوثائق، ابتداء من اللاَّتينية إلى أسرة اللغات الرومانية (Romance Languages)

ويدَّعي التوليديُّون أن الملاحظات في اللغات لا صلاحية لها. ولهذا السبب نبذوا دراسات هامة في هذا الاتجاه[12] وارتكبوا أخطاء فادحة. لنتأمل مثلا حرف التعريف (determiner)

(*) Paul 1886 — 8 —97

(12) يطرح وصف الإنجليزية مشكلا كلاسيكيا في المقارنة. هناك مفردات مزدوجة : الفرنسية والألمانية. والسؤال الأول هو تحديد إلى أي مدى يمكن اعتبار هذه الملاحظة صحيحة وللجواب على هذا السؤال لابد من إيجاد لوائح متكاملة لأزواج الكلمات والجمل، لكن يظهر أن هذه اللوائح غير موجودة (انظر Buck 1929). هناك سؤال آخر تركيبي، فكثيرا ما نجد كلمات ذات معنى متقارب لها خصائص تركيبية متقاربة، هذه الملاحظة

في الإنجليزية والفرنسية. فسنجد أن حروف التعريف (articles) في اللغتين غامضة إذ يكون لها أحيانا تأويلات آنية (كَمُعَرِّف، وعامٌ وخاص إلخ) نَعتمِدُ على زمن وِجْهَةِ الجُمَلِ التي تظهر فيها ويُدْخِل هذا الغموض صعوبات تجريبية في تقدير مقبولية عدد من سلاسل الاختبار (acceptability of many strings) ولا ريب أن مقارنة أولية لتوزيع حرف التعريف (determiner) في اللغتين يمكن أن توضّح قضايا عديدة، ولكن التوليدية ترفض استدلالا يشمل لغات متعددة رغم العمل المقنع والضخم الذي قامت به اللسانيات المقارنة التقليدية. ومن الأسباب التي يقدمها التوليديون أن الأطفال يتعلمون اللغات كلًّ واحدة على حدة بدون أن يؤثر تركيب لغة معينة في تركيب لغة أخرى. لقد أهملوا الطرق المقارنة حتى على مستوى الترجمة الحرفية بين لُغاتٍ ذات قرابة، مثلا حين يناقش (تشومسكي 1975 : 97 — 8) العلاقة بين المبني للمعلوم والمبني للمجهول.

Beavers Build dams. (dams = some dams)(25)

السنانير تبني سدودا (بعض السدود)

Dams are built by beavers

(تُبنى السدود من طرف السنانير). (كل السدود)

ويختار التأويلات الآتية من الفرنسية من أجل النقاش.

Les Castors construisent des barrages(26)

Les barrages sont construits par les castors.

وتَطرحُ الأمثلة الإنجليزية مشكلة بالنسبة لتشومسكي، لأن معاني الجمل التي تضم المبني للمجهول تختلف عن معاني الجمل المعلومة. ويستخلص تشومسكي من هذه الملاحظة حجة تدعم نظرية منطقية لهذه الظاهرة ويبرر ما يُدعى بنظرية الأثر (Trace theory). ولكن نظرة

■ أساسية لمنح عناصر المعنى (مثلا المفعول به) لخصائص الشكل (مثلا المفعول به الأول). وإذ ذاك يمكن للمرء أن يتساءل إلى أي حد يمكن القول إن المجموعتين تملكان نفس الخصائص التركيبية. والجواب يعني أنه لابد من التعداد والمقارنة المنتظمة، التي من المحتمل أن تعطينا نتائج مدهشة، وخاصة إذا تمت دراسة الخصائص القياسية ومعجم الفرنسية والألمانية ولامعنى لهذا الشكل في التوليدية. فمن جهة لا تعتمد الطرق التوليدية على الدراسات المنتظمة، ومن جهة أخرى فإن الأسئلة والأجوبة لا علاقة لها بالشكلية ولأن هذه الدراسات لا تؤكد ولا تنفي استعمالَ أيِ وسيلة نظرية فليس هناك ما يدعو التوليدية إلى أخذها بعين الاعتبار. وقد قدمت الخطوة الأولى في دراسة اللغات الرومانية في هذا المضمار نتائج غير متوقعة (Elia 1978).

بسيطة إلى الترجمة تبين أن هذه الظاهرة غير موجودة[13]

وللجملة الأولى مبني للمجهول مطرد (regular) :

Des barrages sont construits par les castors.(27)

وإذا حولنا الجملة الثانية إلى المبني للمعلوم نحصل على: Les castors construisent les barrages

أي أن المعنى يحتفظ به في الجملتين. وهناك واقعتان أكثر وضوحا في الفرنسية تبينان الظاهرة المزيفة (pseudo-phenomenon) في الإنجليزية بجلاء.

أ ــ غياب التعريف (Zero determiner) في الإنجليزية يقابله شكلان متباينان في الفرنسية : حرف التعريف les (the generic definite article) وحروف التنكير (de la, du أو الجمع des)، وهكذا فإن الجمل الإنجليزية غامضة مسبقا وهذه الحقيقية يعرفها علماء التربية.

أما الفواعل غير المعرفة (indefinite determiners) فهي عمليا غير مقبولة بالنسبة للأفعال الفرنسية. وهذه الواقعة واردة في الإنجليزية أيضا (Jespersen 1924 : 154 ــ 5)، ولكنها أقل وضوحا بالنسبة لمكان الفاعل، حيث إنها تقبل التأويلات العامة (generic interpretations)، ويمكن لهذا القيد أن يختزل درجة الغموض إلى ثلاثة تأويلات.

---

(13) وحتى بدون مراجعة القواميس لدراسة توزيع الظواهر، فإن تشومسكي لربما وجد أزواجا مثل :

أ ــ Cosmologists build asmological theories

يبني المتخصصون في دراسة الكون نظريات كونية

Cosmological theories are built by cosmologists

تُبنى نظريات كونية من طرف المتخصصين في دراسة الكون.

وهذه الجمل تبين أن التأويل المشار إليه تابع للعلاقات غير اللسانية بين الفاعل والمفعول به، وعندنا كذلك (ب) و (ج) :

ب) Beavers appreciate dams

تحب السنانير السدود

ج) Dams are appreciated bu beavers

السدود محتاجة من طرف السنانير ؟

وقد اختفى أو تغير مشكل التأويل عند تشومسكي تماما. وأصر على أنه نظرا لهذا الاستبدال المعجمي، فإن المشكل الذي نقاشه تشومسكي لاوجود له. ويمكن للمرء أن يعتبره في أحسن الأحوال ظاهرة التعلق غير المحلي (non-local dependency) بين فعل وأداة تعريف مفعوله.

يجب اعتبار هذه الجمل الإنجليزية أشكالا متفسخة تثير قبل كل شيء مشاكل الإدراك بالنسبة لتأويلاتها الثلاثة أو الأربعة. وتتضاعف هذه المشاكل حينما نقابل التأويلات المبنية للمعلوم والتأويلات المبنية للمجهول. لكن هناك سؤال كلاسيكي يطرح نفسه : كيف تستطيع لغات ليست لها أدوات التعريف أن تعبر عن تصورات دلالية تقوم مقام المُعرِّف والعام، إلخ ؟ ومثال الإنجليزية مهم كخطوة وسيطة بين الروسية التي ليست لها أدوات تعريف، والفرنسية التي لها هذه الأدوات إجباريا، غير أن ميتالغة التوليدية لا تقبل إثارة هذه المشكلة.

4 ــ المواقف

يهدف تشومسكي إلى تطوير فلسفة عصرية للذهن في سياق علم التحكم الذاتي والتألية (in the context of cybernetic and automata) أي في عالم التكنولوجية الحديثة والحاسوب الإلكتروني. لقد كان مضطرا لأن يبني تأمله على نظرية جديدة للغة وذلك لانعدام نظرية سائدة تؤيد وجهة نظره، وهكذا فقد تطورت النظرية التوليدية في اتجاه يسعى إلى توضيح أفكار تشومسكي حول الذهن. وقد سبقت هذه الطريقة في التفكير حول اللغة والذهن طُرُقٌ مماثلة في القرون الوسطى، حيث كانت المتصورات الرمزية خاضعة للاستبدال. وهذا مقطعٌ من Dreyer (1960 I 1953 : 234) حول رجيه باكون Roger bacon يلائمُ نقاشَنا.

«ولقد تكلم العلماء المختصون في فلسفة القرون الوسطى حول التجربة واعتبروها، على غرار القدماء المرشد الأمين والوحيد في العالم المرئي، ولكن هذا كان مجرد كلام، إذ لم يجدوا واقعة واحدة في الفلسفة الطبيعية، ولم يحددوا قيمة أي ثابت فلكي (astronomical constant).»

بدأ هذا الموقف يؤثر أيضا على الدراسات الفونولوجية التي تختلف كثيرا على الدراسات التركيبية بسبب حجة تأليفية : عندما نعتبر لغة طبيعية ما مكونة من مجموعة من متواليات الصوتميات (a set of sequences of phonemes) فإن عدد مولديها (generators) يبلغ 50 صوتميا)، لكن حين نعتبر نفس اللغة مجموعة من متواليات الكلمات فإن عدد مولِّديها يبلغ 105 (كلمة). والنتيجة هي تصنيف وتحليل لوائح التأليفات الصَّوتمِية (Lists of combinations of phonemes) في عدد من اللغات، غير أن التركيبيين لم يعتقدوا أبدا أنه من الممكن تعدادُ معطيات مهمة في شكل لوائح طويلة لتأليف الكلمات، أي لوائح الجمل أو أنواع الجمل. فلا مُبَرِّر لهذا التردد إزاء عدد كبير من المعطيات إذا لاحظنا أن حجم هذه اللوائح أصغر بكثير من عدد الصور التي يلتقطها ويحللها علماء الطبيعة من الفقاعات الهوائية (bubble chambers) (كروس 1975). ولقد أيَّد (تشومسكي وهالي 1968) و

Lightner 1972) الاعتماد على المعطيات المنتظمة، غير أن إدخال تغييرات غير محدودة تدريجيا على الصياغة من طرف تلامذة هؤلاء قد يؤدي إلى انفصال الصوتيات عن الدراسات التجريبية التي ينبغي أن تُنَمِّيها النظريات الجديدة. ولم يعد اليوم هناك فرق بين التركيب التوليدي وجزء هام من الصوتيات التوليدية، إذ إن الهدف الوحيد لكل منهما هو الاستعمال الرمزي (Symbolic manipulation) لبعض الوقائع المعروفة. والغاية منها هي توضيح فكرة أن الذهن الإنساني يمكن اختزاله إلى صنف شكلي للتألية التجريدية (abstract automata). وقَدْ وَجَدت الجامعات التي أُسِّسَتْ شُعبا للسنيات بهدف إغناء معرفة اللغة (Knowledge of language) نَفْسَها أمام شعب للفلسفة ذات تخصص غريب ربما غير مرغوبٍ فيه بالكل، وهكذا اضمحلت اللسانيات.

هناك أسباب أخرى سوسيولوجية أكثر منها فلسفية أو تقنية أدت إلى هذه الوضعية في مجال اللسانيات. فالتأكيد على التجريد، أي على نشاط تجريدي خالص، يعدُّ بمثابة رد فعل مُنظَّمٍ ضدّ المواقف السلوكية في الولايات المتحدة والتي أبقت الدراسات السيكولوجية لا اللسانية في مستوى سطحي. وواضح اليوم أن لرد فعل تشومسكي وقعا سلبيا حيث أنه لم يهتم كثيرا بالانتقادات التي وُجِّهتْ إليه والتي كانت سجالية أكثر مما كانت علمية. وقد أدى رَدُّه الذي قُبِلَ قبولا أعمى إلى السيطرة على المجال اللساني وإلى تأسيس اللسانيات التوليدية باعتبارها مدرسة سائدة وهناك نتيجة خاصة تتعلق بفكرة أن أي محاولة أو حتى اقتراح لجمع المعطيات المنتظمة تعتبر في الحين مضادة للنظرية وتُقْصَى من اللسانيات. وسيواجه هذا العمل انتقادا لأنه لا يتوفر على قيمة تفسيرية بالنسبة لأي مشكل هام في اللسانيات.

لقد اكتسب اللسانيون، في نفس الوقت، درجة من الحذلقة (Snobbery) أدت بهم إلى تفضيل معالجة معجم مرموق على العمل التجريبي الدؤوب. ويمكن كتابة أطروحات مملوءة بالرموز والمعادلات التزيينية حول محاور عميقة كتحديد الشروط النظرية والتجريدية التي يجب قبولها من طرف النحو الكلي (Universal Grammar) في حين أن براعة وتركيز المجهودات الضرورية لتصنيف عدد كبير من البنيات لاَ يَسْمَحُ بالمُمارسات التي طورها المنظرون. والنتائج الملموسة لهذا الاتجاه واضحة. وعادة ينبغي للمتخصص الذي يخترع مكانزما تجريديا أن يَقْتَرِحَ أسلُوباً لفَحْص ملاءمته أو ليفحصه هو بنفسه.

ويمكن، بل وينبغي، العمل بهذا، وذلك بتطبيق المكانزم على كل الجوانب المعنية التي حَظيتْ بدراسة وافرة، ولكن هذه القاعدة الأولية لم تَكد تُؤخذ بعين الاعتبار. ويشبه تبرير هذا النظام الفرقَ الموجود في الفيزياء بين البحث النظري والتطبيقي أو التجريبي. وإذا كان لهذه النظرية من معنى فيمكن تبريرها بالأبعاد الضخمة للمجال الذي ندرسه غير أن هذا صالح لمجال ضيِّق كتركيب الإنجليزية أو لمجال زائل كنظرية الأثر (Trace theory)، فيمكن أن نستخرج من قاموس معين وفي بضع ساعات الأفعال التي لاتقبل البناء للمجهول. والعامل

التجريبي دئماً على أتم الاستعداد لقضاء بعض الأسابيع أو أكثر في مهمة أولية ورئيسية في نفس الوقت كهذه. وآعتباراً لرفض العمل التجريبي هذا، فإن جُلّ الدراسات التي نشرت لحد الآن في اللسانيات التوليدية لم تَكُن لتنشر في هذه المجلات الدولية لو قوَّمها آختصاصيون في العلوم الطبيعية.

وفي ختام هذا النقاش المتعلق بمذهب التوليدية نسجل أن اللسانيين التوليديين وقفوا عند مشكل الدجاجة والبيضة) ((Popper 1963 : 47). فهم يلحون دائما على أن المعطيات دون أفكار أو نظريات سابقة، عَمَلٌ لاَجَدْوَى منه، لذا ينبغي إيجاد نظريات محكمة أولا وقبل كل شيء.

وقد طبق هذا النوع من الاعتقاد على تصنيف الأشكال اللسانية. ولكن لو طبق هذا الانتقاد على علم البيولوجيا أو الفيزياء لمُنع Hooke من النظر في مجهره، أو مُنع الفيزيائيون النوويون من استعمال المُعجِّلات الذرية (Particle accelerators) ولحسن الحظ لا يتطرق العلماء (Scientists) إلى هذه المواضيع إلا نادراً. فالعالم الذي يقبل نظريات المغناطسية الكهربائية أو النظريات النَّووية الفُقاعية (bubble nucleation) لابد أن يبحَث عن ملايين الصور لإيجاد ذرات لانظريَّة لهُ عنها. ولا أحد يُنكر، بما في ذلك السلوكيون المتشددون، ضرورة النظريات في العلوم. وقد أدى التمسكُ بالدِّكارتية المزيفة (Pseudo Cartesianism التي تَعْتَبِرُ النظريات سباقة وفطرية، إلى انعدام دراسة توليدية شاملة لأي لغة من اللغات : (الإنجليزية مثلا). ولقد غاب عن اللسانيين نقيض هذه القاعدة وهي قاعدة دكارتية حقيقية : لانظريةَ بدون جَمع ملائم للمعطيات.

5 ــ اللسانيات الرياضية

تُكوِّن الدراسات التي أُنجزت في اللسانيات الرياضية أرضية إيديولوجية مهمة بالنسبة للتوليدية، لأنها تُبوِّءُ اللسانيات نفس المكانة التي تَحتلُّها الفيزياء على مُستَوى التطور الذي يقدر قيمة النظريات وخاصة فيما يتعلق بمستوى التجريد. وإذا سلمنا بكون هذه الدرسات ــ إذا آعتبرناها واردة ــ تُبرز اللجوءَ إلى عدد غير محدود من التقنيات الشكلية (Formal devices)، فإن تقييم هذه الدراسات سوف يكمل نقاشي حول التوليدية.

منذ دراسات تشومسكي حول تصنيف اللغات الشكلية اتسمت قوة الأنحاء الشكلية بالملاءمة للتركيب الوصفي.

ويمكن طرْحُ أسئلة شتى حول هذا النوع من التفكير السائد[14]، وخصوصا إذ عمـ أن تطبيقات متنوعة لنظرية غَيْر المَحْسُومِ في أمره (undecidability theorem) قد أُنجزت في المراحل الأولى للسانيات الرياضية. غيرَ أن تصورَ غير المحسُوم في أمرِه، تخلَّل تفكيرَ وتعليلَ كثير من التوليديين ولا يزالُ يؤثر فيهم بتَشْجيعِ البحثِ عن التطورات الشكلية.

وتتعلق إحدى قواعد نظريات غير المحسوم في أمره، في التوليدية، بحذف الأنساق، كما هو مستعمل كثيرا في التحليل التركيبي. وقد كانت النقاشات وما تزال قائمةً حول صلاحية التحليلِ بالحذفِ في النحوِ. ولا يمكن أن نحدد دائما الأنساق المحذوفة كمتوالية لكلمات معينة «فإعادة التركيب (reconstruction) ممكنةٌ. ولكن ينبغي أحياناً في حدود التفسير مثلاً أن تُحلَلَ الجملة (29 أ) كاختزال لـ (29 ب) :

(29) أ — Max loves wine
(يحب ماكس الخمر)

ب — Max loves to drink wine
(يحب ماكس أن يشرب الخمر.)

لكن السؤال المطروح هو : لماذا يكون في وسعنا حذفُ to drink عوض to degustate , to swallow أو to gulp أو حتى to drink often, to consume regularly إلخ ؟ وفي الواقع ليس هناك حد لطول الكلمات التي يمكن إعادة تركيبها لتوضيح المعنى العادي لـ (29 أ)[15]

وباعتبار قواعد الحذف، فإن للتحويلات الشكل الآتي : س ← ص، دون أن يكون هناك أي قيد بالنسبة للطول فيما يخص س، و ص : وهكذا فإن صنف الأنحاء التحويلية يُطابق صنف أنظمة Semi - thue. وبعبارة أخرى، فإن اللغات الطبيعية لغات تعدادية بصفة تراجعية (recursively enumerable) من النوع الأكثر عمومية، وهذا يمثل فكرة مهمة

(14) للاطلاع على صحة البراهين المتعلقة بالملاءمة انظر كروس (1972 : 125 — 8).
وفيما يخص التحليل التركيبي الأتوماتيكي فإن المُحللين قد استعملوا دائماً الأنحاء المستقلة عن السياق (Context - free grammars) بنوع من التوفيق (من الجانب التركيبي وليس في التطبيقات المخططة (Planned applications) ويظهر بنفس الأسلوب أن البديل الرمزي للأنحاء المستقلة عن السياق المقترح من طرف Harman 1963 ملائمٌ المستوى الوصفي على الأقل في الإنجليزية. أمَّا بالنسبة للفرنسية فإن النحو الذي وضعه Salkoff 1973 يُعتبر بُرهانا مقنعا لقدرات الأنحاءِ المستقلة عن السياق.

(15) يمكن لمعنى (29 أ) أن يتغير كثيرا في سياقات مختلفة فإذا كان ماكس نادلاً (خادم مطعم) يحصل على هبة مرتفعة حين يناول زبناءه الخمر، فإن المعنى سيكون كما يلي : Max loves to (sell + serve) wine
(يحب ماكس أن (يبيع + يناول) الخمر)

بالنسبة للتوليدية. وإذا أمكن تقييد التحليل بالحذف أو التخلص منه بصفة نهائية، فإن اللغات الطبيعية ستصبح أكثر دقة على المستوى الرياضي.(16)

ومن الناحية التجريبية فإن الحذف الوحيد الذي تم قبوله من طرف اللسانيين هو حذف الصيغ الصرفية (deletion of grammatical morphemes) (حروف الجر أو الظرف، أدوات التعريف إلخ)، ومايزال حذف الكلمات المعقدة مثار جدال. غير أنه من الصعب أن نفرق بين هذين الصنفين من الحذف. وفي نفس الوقت إذا قبلنا ولو حذفا طفيفا في صنفٍ من الأنحاء التراجعية (recursive grammars) فإن ذلك يحدث تغييرا في هذا الصنف مما يؤدي إلى صنف عام للأنحاء التعدادية التراجعية. وهكذا فإن الاعتقاد بصلاحية هذه الحجج، ولاسيما الاعتقاد بعلاقة التصور العام للتراجعية بوصف اللغات الطبيعية، قد أدى بعدد من الباحثين إلى التخلي عن التحليل بالحذف.(17)

ويظهر أن هذه الحالة دفعت تشومسكي ومؤيديه إلى الكف عن كل الأوصاف التحويلية واستبدالها بالتحليل التركيبي البنيوي (phrase-structure analyse) الذي يحتوي على علاقات تأويلٍ تحددُ معنى الأشكال، وكمثال على هذا نلاحظُ أن الجملة (30 أ) مشتقة تحويلياً من جملة مثل (30 ب).

(30) أ — Max told leo to leave

(قال ماكس لليو أن يذهب)

ب — Max told leo that he should leave

(قال ماكس لليو أنه لابد أن يذهب.)

وتختزل (30 ب) إلى (30 أ) بتطبيق قاعدة حذف المركب الإسمي المماثل (Equi NP Delection)، إذا كان المركبان الإسميان (he, leo) مُتَّحِدَيْ اَلْمَرْجِع (Coreferntial). ولكن يبدو الآن أنه من أجل التخلص من عملية الحذف في نحو اللغة الإنجليزية، فإن (30 أ) سَتُوَلَّدُ بقواعد التركيبية البنيوية (PS — rules) وستُبَيِّنُ قاعدة التأويل أن Leo وليس Max هو

---

(16) لقد أنجز Peters و Ritchie 1973 دراسات مفصلة حول تحديد القيود الشكلية على الحذف. فهناك قيود خاصة تقبل تحليلات باستعمال الحذف (ellipsis) وفي نفس الوقت تحدد صنف اللغات الطبيعية. وعلى أي فلا يمكن التخلص من الحذف عموما، وكمية المادة التي ينبغي حذفها تفوق الحدود التي يمكنها أن تجعل أنحاء اللغات الطبيعية أنحاء رجوعية (recursive) (1976 Gonet).

(17) ومن الممكن تنظيم المتوالية الصالحة للبناء ثانية ضمن تخطيط بياني لا يمكنه أن يمحو إلا العناصر القليلة أو يمكن للمرء أن يحاول تحديد علاقات المعادلة على مجموعة من المتوليات التي أعيد بناؤها ثانية. ويمكن لهذه البنى حل المشكل ، لكن لم تحظ هذه الحلول العملية بأي اهتمام من قبل.

فاعل لفعل to leave. ولا نعرفُ محاسن ومساوىء هذا النوع من الوصف. وكما هو الحال في كل «تقدم» نظري في التوليدية، فإن عددا ضئيلا من الأمثلة فقط قد تم استعماله. وهذا يحول دون أي مناقشةٍ أو مقارنة هامة يمكنها أن تتخطى الجدال العقيم الذي أصبح روتينا. والنقطة الواضحة الوحيدة هي أنه تم التخلص من الحذفِ الذي ينبغي أن يقرِّب صنفاً من الأنحاء الشكلية الخاصة للغات الطبيعية إلى العمليات التراجعية.

والمثال الشكلي الآتي يُبين بوضوح الفرق الذي أود أن أشير إليه بين الحجج المبتكرة اعتماداً على أصناف الأنحاء وتلك المبتكرة اعتماداً على الأنحاء النوعية (specific grammars). فلنعتبر النحو النوعي الذي يشتمل على القواعد المتعلقة بالسياق. (Context-sensitves (CS) rules التي تولد اللغة { س ك س : س } { أ، ب } * }، من جهة، والقاعدة التحويلية الآتية من جهة أخرى :

(31) س ك س ← س ك ي، س = و ي، ي ∓ لـ (لـ : هو النسق الأجوف)

وهذه القاعدة تحذف حرف و الأول للعرض الثاني لـ س، وليس س بأكمله. وإضافة هذه القاعدة الخاصة للنحو المتعلق بالسياق لا يحولها إلى نظام : «Semi-Thue» غَيْرِ المَحسوم في أمره ويمكن إعادة تركيب النسق المحذوفِ واللامحدودِ بدوره. ومن الملاحظ أن هذا المثال واقعي من الناحية اللسانية، لأنه قريب من تشكيل بعض الاختزالات المتعلقة بالعطف (Formalizing certain conjunction reductions) ولهذا لا يظهر أي مشكل بالنسبة للنحو النوعي ولكن تطبيق هذا النوع من الحذف على صنف الأنحاء المتعلقة بالسياق بأكمله معناه عدم الفصل في الحالة العامة.

وأؤكد أنني لا أحاول أن أبين أن التصورات المتعددة للأنحاء الشكلية غير واردة بالنسبة للسانيات. أظن عكس ذلك، أن هذه التصورات (concepts) وأخرى تنتمي إلى النظرية الجبرية للغات) ينبغي أن تُحكم إحكاماً من طرف اللساني.

وكما أن الطلبة الضباط في البحرية يدرسون علم المساحة الثلاثية، وبنفس الطريقة التي يدرس بها مهندسو القناطر المعدلات التفصيلية، إلخ، ينبغي للغات الشكلية أن تكون بمثابة الأرضية المجردة الأساسية بالنسبة للسانيين.

حاولت في هذا الجزء أن أبين أنه في اللسانيات الرياضية وكذا في الدراسات اللغوية لم يوجِّه اللسانيون جهودهم إلى بناء ودراسة الأنحاء الخاصة (particular grammars)، بل وجهوها إلى البحث عن قيود تجريدية على كل أصناف الأنحاء.

6 ـــ الخاتمة

لاريب أن هذا النقد سيبدو لبعض القراء وكأنه هجوم مبدئي على الأفكار الجديدة، لكن أسس التوليدية هي من عمر الآن حوالي 20 سنة. أود فقط أن أذكر القارىء أن احترام

بعض المبادىء الجوهرية القديمة كان سيحول دون قيام صعوبات كثيرة.

هناك تقليد يَعتبرُ اللسانيات نشاطا ينبغي أن ينتج عنه اكتشاف نظريات إبستمولوجية جديدة أو مناهج ثورية مفيدة، ولهذا النشاط علاقة ببناء لغات كونية وإشارات رمزية (Symbolic codes) يمكنها تمثيل كل اللغات تمثيلا محكما. ويمكن ذكر أسماء عدد من اللسانيين الذين بذلوا جهودا في هذه المحاولات، والذين كانوا ينتمون إلى تقاليد فلسفية مختلفة. ومن معاصرينا في هذا المجال Marr الذي ساهم بنظريته في الاختزال وبعناصره الأربعة. وعدد كبير من اللسانيين الذي اعتبروا سوسور Saussure مُنقذاً نتيجة كتابه المشكوك في صحته **دروس في اللسانيات العامة** (Course in general Linguistic). ورغم أن Saussure من كبار الهندو أوروبيين، فإن الفضل يرجع إليه في اكتشاف اعتباطية الرموز (التي تدعمه أصحاب منطق بور رويال «Port Royal Logic» بالتحليل بصفة أكثر وضوحا)، والعنصر الآخر لشهرته هو الزوج التقابلي (dichotomy) بين الزمانية (diachrony) والآنية (Synchrony)، الذي كان له تأثير سحري، وإن لم تُقدم أيُّ حجج خفيفة لتدعيم هذا الزوج التقابلي، وأخيرا لنتذكر Hjelmslev ومنظومته (glossematics)، وهو الذي أدت شكليته البسيطة إلى قيام تأمل حول اللغة بمعزل عن المعطيات. ويبدو أن العمل التوليدي متأثر بهذه المظاهر الغامضة. ومن المعلوم أن استعمال صيغ اللغات المنطقية أو لغات البرمجة (logical or programming languages) يحركُ بالضرورة في أذهان الأخصائيين إحساساً بالرِّضى. وهذا الإحساس غيرُ الصحي يوطده الاعتقادُ أن هذه المكنزمات تفسر بطريقة عميقة (لا تزال غير مفهومة) كيف يشتغل الفكر الإنساني. ويؤكد هذا الاعتقاد الطبيعة الخدية للتفسير : فَمن المقترح أن الصيغ لها ترجمة نفسية وذهنية (neuro-psychological translation)، رغم أنه ليست هناك ولو بداية حجة معقولة تؤيد هذه الميتافيزيقا الجديدة (41 — 137 1977 Blakemore).

وبهذه الطريقة، اختفتْ بعضُ الميادين المحترمة القديمة في البحث اللساني اختفاءً لا يمكن معه معرفة الشكل الذي ستَتَحْيَا فيه الدراسات العصرية. وإذا تم التخلي عن غالب الاستثمار الفكري الذي يُوَظَّفُ في التفكير الشكلي، فإن كثيراً من المشاكل التجريبية الهامة يُمكن معالجتها وحلها. وقد أشَرتُ إلى بعض منها مِمَّا له جذور عريقة في ظواهر اللغة. وهكذا ينبغي للبحث اللساني ــ كما في باقي العلوم ــ أن يطرح أسئلة أكثر حداثة مقترحة أقل ما يمكن من النظريات المُجملة. ويمكن لهذه الطريقة وحدها أن تحدث تقدما في المعرفة معقولة. ومن الواضح أن هذه الطريقة لا علاقة لها بالتمارين الحالية في المنطق الشكلي.

REFERENCES

BLAKEMORE, COLIN. 1977. Mechanics of the mind. Cambridge: University Press.
BLOOMFIELD, LEONARD. 1933. Language. New York: Holt.
BOONS, JEAN-PAUL. 1971. Métaphore et baisse de la redondance. Langue Française 11.15–16.
——; A. GUILLET; and CH. LECLÈRE. 1976a. La structure des phrases simples en français, I: les verbes intransitifs. Genève: Droz.
——; ——; ——. 1967b. La structure des phrases simples en français, II: quelques classes de verbes transitifs. (Rapport de recherches, 6.) Paris: L.A.D.L.
BUCK, CARL D. 1929. Words for world, earth and land, sun. Lg. 5.215–27.
CHAPIN, PAUL G. 1967. On the syntax of word derivation in English. Bedford, MA: MITRE Corp.
CHEVALIER, JEAN-CLAUDE. 1968. Histoire de la syntaxe: naissance de la notion de complément. Genève: Droz.
CHOMSKY, NOAM. 1956. Three models for the description of language. IRE Transactions in Information Theory, IT-2, 113–24.
——. 1962. A transformational approach to syntax. Proceedings of the 3rd Texas Conference on Problems of Linguistic Analysis in English, ed. by Archibald A. Hill, 124–58. Austin: University of Texas Press. [Reprinted in The structure of language, ed. by Jerry Fodor & J. Katz, 211–45. Englewood Cliffs, NJ: Prentice-Hall.]
——. 1964. Current issues in linguistic theory. The Hague: Mouton.
——. 1965. Aspects of the theory of syntax. Cambridge, MA: MIT Press.
——. 1971. Conditions on transformations. A Festschrift for Morris Halle, ed. by Stephen R. Anderson & Paul Kiparsky, 232–86. New York: Holt, Rinehart & Winston.
——. 1972. Language and mind. Enlarged edition. New York: Harcourt Brace Jovanovich.
——. 1975. Reflections on language. New York: Pantheon.
——, and MORRIS HALLE. 1968. The sound pattern of English. New York: Harper & Row.
——, and M. P. SCHÜTZENBERGER. 1963. The algebraic theory of context-free languages. Computer programming and formal systems, ed. by P. Braffort & D. Hirschberg, 119–61. Amsterdam: North-Holland.
DREYER, J. L. E. 1906. History of the planetary systems from Thales to Kepler. Cambridge: University Press. [Reprinted as A history of astronomy from Thales to Kepler. New York: Dover, 1953.]
ELIA, ANNIBALE. 1978. Pour un lexique-grammaire de la langue italienne: les complétives objet. Lingvisticae Investigationes 2.233–76.
GAATONE, DAVID. 1978. Phonologie abstraite et phonologie concrète: à propos du *h* aspiré en français. Lingvisticae Investigationes 2.3–21.
GIRY-SCHNEIDER, JACQUELINE. 1978. Les nominalisations en français. Genève: Droz.
GOUET, MICHEL. 1976. On a certain class of circumstantial deletion rules. Linguistic Inquiry 7.693–7.
GROSS, MAURICE. 1968. Grammaire transformationnelle du français: syntaxe du verbe. Paris: Larousse.
——. 1972, Mathematical models in linguistics. Englewood Cliffs, NJ: Prentice-Hall.
——. 1974. Some remarks on syntax: acquisition of a first language. Problèmes actuels en psycholinguistique, Colloques du CNRS, 28–32. Paris.
——. 1975. Méthodes en syntaxe. Paris: Hermann.
——. 1977. Grammaire transformationnelle du français: syntaxe du nom. Paris: Larousse.

HARMAN, GILBERT H. 1963. Generative grammars without transformation rules. Lg. 33.597–616.
HARRIS, ZELLIG S. 1946. From morpheme to utterance. Lg. 22.161–83.
——. 1951. Structural linguistics. Chicago: University Press.
——. 1952. Discourse analysis. Lg. 28.1–30.
——. 1968. Mathematical structures of language. New York: Wiley.
——. 1970. The two systems of grammar: report and paraphrase. In his Papers in structural and transformational linguistics, 612–92. Dordrecht: Reidel.
——. 1976. Notes du cours de syntaxe. Paris: Le Seuil.
HOUSEHOLDER, FRED W., JR., et al. 1964–65. Reports, Linguistics Research Project. Bloomington: Indiana University.
JESPERSEN, OTTO. 1909. A Modern English grammar. London: Allen & Unwin.
——. 1924. The philosophy of grammar. London: Allen & Unwin.
KURODA, S.-Y. 1968. English relativization and certain related problems. Lg. 44.244–66.
LABELLE, JACQUES. 1974. Études de constructions avec opérateur AVOIR. Doctoral thesis, L.A.D.L., University of Paris VIII.
LAKATOS, IMRE. 1978. The methodology of scientific research programmes. Philosophical papers, vol. 1, ed. by John Worrall and Gregory Currie. Cambridge: University Press.
LIGHTNER, THEODORE M. 1972. Problems in the theory of phonology. Edmonton: Linguistic Research.
——. 1975. On the role of derivational morphology in generative grammar. Lg. 51.617–38.
MEUNIER, ANNIE. 1977. Sur les bases syntaxiques de la morphologie dérivationnelle. Lingvisticae Investigationes 1.287–332.
NÉGRONI-PEYRE, DOMINIQUE DE. 1978. Nominalization par *être en* et réflexivation. Lingvisticae Investigationes 2.127–63.
PAUL, HERMANN. 1886. Prinzipien der Sprachgeschichte, 2nd ed. Halle. [Translated into English by H. A. Strong. London: Longmans Green, 1891.]
PETERS, STANLEY P., and R. W. RITCHIE. 1973. On the generative power of transformational grammars. Information Sciences 6.49–83.
POPPER, KARL R. 1963. Conjectures and refutations. 3rd ed. London: Routledge & Kegan Paul.
POSTAL, PAUL. 1974. On Raising. Cambridge, MA: MIT Press.
——. 1977. Antipassive in French. Lingvisticae Investigationes 1.333–74.
POUTSMA, H. 1904–29. A grammar of Late Modern English. Groningen: Noordhof.
SALKOFF, MORRIS. 1973. Une grammaire en chaîne du français. Paris: Dunod.
STÉFANINI, JEAN. 1973. Modèle transformationnel et linguistique historique. The formal analysis of natural languages, ed. by Maurice Gross, M. Halle, & M.-P. Schützenberger, 281–95. The Hague: Mouton.
STOCKWELL, ROBERT P.; PAUL SCHACHTER; and BARBARA H. PARTEE. 1973. The major syntactic structures of English. New York: Holt, Rinehart & Winston.
SUSSMANN, HECTOR J. and R. S. ZAHLER. 1978. Catastrophe theory as applied to the social and biological sciences: a critique. Synthèse 37.117–217.

[Received 11 August 1978.]

الدلالة والإحالة

حسان الباهي
كلية الآداب ـــ فاس

من بين المشاكل التي تعرَّض لها فريجه[1] في أبحاثه مشكل المعنى والإحالة، حيث قام بتحليل بعض المعاني التي يحملها لفظ الدلالة. لقد ميز في هذا الإطار بين التصوارت والأشياء الخارجية. فالأشياء مستقلة عن الإنسان، وبإمكانه أن يتحدث عنها ويطلق عليها أسماء. بينما التصورات تحتاج دائما إلى حامل وبالتالي فهي تختلف من شخص لآخر. إن هذا التمييز الذي أقامه بين التصورات والأشياء يؤدي بنا إلى ضرورة التمييز بين «علامة التصور» «وعلامة الشيء»

يذهب فريجة ضمن هذا التمييز إلى القول بأن جُملتين يمكن أن تختلفا من حيث المعنى، لكنهما تحيلان على نفس الموضوع. والمثال الذي يُقدمه في هذا الإطار هو «نجمة الليل» و«نجمة الصباح» فلو قلنا :

1 ـــ نجمة الليل هي نجمة الصباح.

فمعناهما يختلف بالرَّغم من أنهما تحيلان على نفس الشيء، وهذا يعني بأن الجملة (1) تختلف عن الجملة (2) :

2 ـــ نجمة الصباح هي نجمة الصباح

فالجملة (1) إخبارية، بمعنى أنها تخبرنا عن شيء جديد، وذلك على عكس الجملة (2) التي هي تحصيل حاصل. بحيث يمكن استعمال رمز التكافؤ لتصبح نجمة الصباح $\equiv$ نجمة الصباح وقد طرح هذا النوع من التعابير التي تتوفر على نفس الإحالة مع معنى مختلف عدة مشاكل خصوصا عند المدافعين عن التصور الماصدقي[2] متعلقة بالأساس بالسَّعي لمعرفة لماذا لا يمكن في مثل هذه الحالات استبدال أحد الطرفين بالآخر. ويعتبر برتراند راسل أول من حاول في إطار التوجه المنطقي الرياضي الذي تبناه إعطاء حلول قائمة على التحليل المنطقي

(1) Frege وهو رياضي منطقي ألماني (1848 ـــ 1952). وقد عمل على بلورة الإرهاصات الأولى لما سيسمى فيما بعد المذهب (اللوجستيقي) الرياضي المنطقي.

(2) ماصدق ترجمة لكلمة extension

للعبارات. لقد انطلق في تصوره من توجيه انتقادات لـ مينونغ Meinong بصفة خاصة، وكذا من الاعتراض على تصور فريجه. إذ اعتبر أن تصور هذا الأخير يطرح عدة مشاكل قائمة على افتراض أن لكل تصور موضوعا خاصاً ومرتبطا به. ولا نعتبره موضوعا إلا حين نتحدث عن التصور. ثم إن نظرة فريجة للموضوع الخارجي لا تتطابق مع نظريته حول المعنى والإحالة.

نتطرق هنا لبعض الحلول التي اقترحها راسَل في اعتماده التحليل المنطقي اللغوي لبعض المشاكل المطروحة على مستوى اللغة، كوجود بعض المعاني والأفكار المستقلة عن العالم المحسوس، والتي يعتبرها الميتافيزيقي قابلة للإدراك، مثل الروح والوجود المطلق، أو قول مينونغ بالمربع الدائري. إن مثل هذا الاعتقاد راجع بالأساس إلى ارتكاب أخطاء منطقية لغوية. فالميتافيزيقي يستخدم هذه التصورات العامة كما لو كانت قضايا يمكن إثبات صدقها أو كذبها، في حين أنها مجرد توابع[3] قضوية. فهي لا تأخذ قيمتها الصدقية إلا إذا وضعت في سياق تام، وبتحليلها إلى القضايا البسيطة التي تكوِّنها. إن عدم التمييز بين القضايا الكلية والقضايا الذرية تجعل الميتافيزيقي يصدرُ أحكاما خاطئة.

إن استعمال الميتافيزيقي لمفاهيم تبدو له وكأنها تحيل على أشياء خارجية جعله يعتقد أنه لابدَّ لكل إسم من مسمًّى، مما يجعله يفترض وجود موجودات ومعاني غامضة تطابق الأسماء. وهذا ناتج بالأساس عن الخلط بين إسم العلم والعبارات الوصفية. وعلى هذا المستوى تتمحور الانتقادات التي وجَّهها راسل لتصور مِينونغ القائم على التوجه السيكولوجي، فلو قلنا مثلا : «المربع الدائري غير موجود»، أو «الإنسان الآلي غير موجود»، فإن مثل هذه القضايا بالنسبة لـ مينونْغ ليست صادقةً فقط بل ضرورية إذ يمكن مثلا لأستاذ أن يصحح خطأ التلميذ الذي يصف شكلا ما بأنه «مربع دائري»، فيرد الأستاذ على هذا الزعم بقوله «المربع الدائري غير موجود». وسيُطْرَحُ، بعد ذلك، سؤال يتعلق بمدى إمكانية إنشاء قضايا صادقة وذات دلالة انطلاقا من لاشيء. ففي حالة قولنا : بأنها لا تتوفر على أية دلالة فمن المفروض أن تُماثِلَ القضية الأولى القضية الثانية، وبالتالي أن تتماثل مع كل القضايا المصاغة على هذا المنوال. لكن هذا غير صحيح، وذلك لكون الأولى تهم «المربع الدائري»، في حين أن الثانية تصف «الإنسان الآلي»، وهذا يستلزم أن يكون لكل منهما معنى وشيئا تعنيه. وإلاَّ فلا يمكن الحديث عنهما.

يعترض راسل على هذا الطرح القائل بإمكانية تصور شيء ماهو في نفس الوقت مربع ودائري، أو إنسان وآلة بأنه إلغاء لمبدأ عدم التناقض. إن هذا التصور يقومُ على توجه سيكولوجي قائم على التمييز بين «المضمون الموضوعي» و «موضوع الإدراك» الذي ينطوي على عدة تناقضات. فعوض أن نقول «المربعُ الدَّائري غير موجود» علينا أن نقول «لا توجد

(3) تابع =Fonction وأشير إلى أنني آعتمدت على كتاب الدكتور طه عبد الرحمان في ترجمته لبعض المصطلحات الأجنبية.

هناك مماثلة[4] تكون في نفس الوقت مربعا ودائرة». إن من شأن هذا التحليل أن يجعلنا نستبعدُ متوالية : «المربع الدائري».

يجب إذن أن نميز بين العبارات التي تحيل على موضوع معين، والعبارات التي تحيلُ على فئة من المواضيع؛ أي بين التعابير الشخصية والتعابير الجماعية، بين العبارات المحددة والعبارات غير المحددة. هذا النوع الأخير يطرح بعض المشاكل المتعلقة بتأويل العبارات العامة التي يمكن أن نحيل عليها بكيفية جماعية أو بكيفية توزيعية بإسناد خاصية ما لكل عضو ينتمي إلى هذه الفئة. بإمكاننا إذن، أن نميزَ بين ما يمكن معرفته عن طريق مباشر، وما يمكن معرفته عن طريق الوصف. أو بين آسم العَلم والوصف؛ فالأول هو رمزٌ بسيطٌ يُشير إلى شيء خارجي، ومعناه مستقلٌ عن باقي العناصر الأخرى المكونة للعبارة، أما الوصفُ فهو رمزٌ لايشير إلى شيء ما بكيفية مباشرة بل يكتسبُ معناه من خلال السياق.

ولهذا نطلقُ عليه كذلك الرمز الناقص، لأنه لا يكتسب معناه بمفرده. فقولنا مثلا : خالدُ، فاس... يختلف عن قولنا : شجاعٌ، رجلٌ؛ فعندما أقولُ : رجل، فإنني لا أشيرُ إلى شخص معين. وعلى العكس فإذا أدخلتُ على الكلمة أداة التعريف لتصبح : الرجل فإنني في هذه الحالة أقصدُ شخصا محددا. ولهذا نميز بين الأوصاف المحددة التي تشير إلى شيء معين مسبوق بأداة التعريف «ال» وتتخذ صورة الكذا وكذا The so and so، وبين الأوصاف غير المحددة أو المبهمة التي تتخذ صورة : كذا وكذا (a so and so) هناك إذن عبارات تتحدد أوصافها لأننا ندخل عليها أداة التعريف، لكن هناك عبارات مشابهة في صورتها للعبارات الوصفية الإحالية غير أنها لا تحيلُ على أشخاص مُحددين. فلو قلنا مثلا : الأسدُ حيوانٌ مفترس. فنحن هنا لانقصدُ أسدا محددا بل جنسا من هذا النوع من الحيوان. إذ يُمكن أن نعبر عنها بشكل آخر بقولنا : كل أسد هو حيوان مفترس. ولقد ارتكز البعض على هذا التشابه السطحي بين العبارت الإحالية والعبارات غير الإحالية لتوجيه انتقادات للدلالة الإحالية. ومن بين هؤلاء راسل الذي تعرض لمثل هذه العبارات خصوصا في مقال On donting وَ كتابlogic and «Knowledge»، واقترحَ نظرية الرسوم[5] «الأوصاف» كحل لبَعض هذه المشاكل، كما حول تطوير نظرية حول الإشارة، وذلك من أجل حذف أداة التعريف، بنقلها إلى اللغة المطابقة في محمولات الدرجة الأولى، لكنه اصطدم بمشكل اقتران الأسوار[6] وعوامل منطقية أخرى. وهذا ناتج عن الالتباسات الناتجة عن الأوصاف المحددة.

وسنعطي بعض الأمثلة التي سنبرز من خلالها نوع التناقضات والمفارقات التي تؤدي إليها مثل هذه العبارات، فلو قلنا مثلا :

---

(4) مماثلة = identité

(5) الرسوم (الأوصاف) = Description

(6) السور = quantificateur

3 ــ «الإنسان الآلي غيرُ موجود».

فهذه القضية صادقة. لكن لو افترضنا أن الإنسان الآلي هو تعبيرٌ إحالي، ففي هذه الحالة سنتساءل عن الشخص الذي نحيل عليه بواسطة هذا التعبير، لكن الجملة (3) تعترض على ذلك. أي أنه لا يُمكننا القول بأننا نحيلُ على الإنسان الآلي لأن الجملة (3) تنفي ذلك، أي تثبت عدمَ وجودِه. ولو قمنا بذلك لوقعنا في تناقض. ومع ذلك فلا يمكن أن ندَّعي، في نفس الوقت، بأننا لانُحيل على أي شخص، لأننا لو فعلنا لكنا كمن يقولُ لا شيءَ عن لاشيء، أي أن ذلك مجردُ لغو. ومن هنا نستنتج أن افترضنا كون عبارة «الإنسان الآلي» تعبيراً إحالياً من شأنه أن يؤدي بنا إما إلى تناقض أو لغو.

4 ــ «قيصرُ روسيا الحالي عادل»

هذه القضية كاذبة لأن روسيا لا تتوفرُ حاليا على قيصر يحكمها ليصدق في حقه العدل. وإن نفيناها بقولنا : «قيصر روسيا الحالي ليس عادلاً» فهي كاذبة كذلك، لأن روسيا لايحكمها حاليا قيصر حتى يصدق في حقه الظلم، وهذا خروج عن مبدأ التناقض[7]. فلو كانت عبارة «قيصر روسيا الحالي» إحالية لصدق في حقه قولنا «عادل»، وذلك طبقا لمبدأ الثالث المرفوع.[8] كما أنه من غير الممكن أن نقول بأننا لانحيل على أي شيء لأننا سنقع كذلك في اللغو، أي أننا نصف ما ليس بشيء بالعدل أو الظلم. فالعبارتان : «قيصر روسيا الحالي عادل» و «قيصر روسا الحالي ليس عادلا» تخالفان مبدأ الثالث المرفوع. كما أن افتراض صدقهما معا يعتبر تجاوزاً لمبدأ عدم التناقض.

ومن أجل احترام مبدأي عدم التناقض والثالث المرفوع لم يعتبر رَاسَلْ كل العبارات التي تتخذ صورة «الكذا وكذا» لا صادقةً ولا كاذبةً، بل اعتبرها غير ذات معنى، مستخدماً بذلك التوابعَ الوصفية التي تمكننا من الحديث عن الأشياء التي لا نتعرف عليها بشكل مباشر.

5 ــ ب هو ج

يمكن أن نقولَ طبقاً لمبدأ المماثلة بأن «ب» هو «ج»، بمعنى أن ما يصدقُ على «ب» يصدقُ في نفس الوقت على ج، وما يصدق على ج يصدق في نفس الوقت على ب. وبالتالي فالمماثلة تسمحُ لنا باستبدال أحدهما بالآخر. ولو رمزنا الآن لابن رشد» بـ «ب» ولمؤلف كتاب تهافت التهافت بـ «ج» لحصلنا على : «ابن رشد هو مؤلف كتاب تهافت التهافت» أي : ب هو ج. لكن لو افترضنا الآن بأن شخصا ما يريد أن يتأكد من كون «ابن رشد» هو فِعْلاً

(7) مبدأ عدم التناقض ويعني أن قضية ما لايمكن أن تكون صادقة وكاذبة في نفس الوقت، وهو أحد المبادىء الأساسية التي آعتمد عليها المنطق الكلاسيكي إلى جانب الثالث المرفوع، ويمكن صياغته على الشكل التالي : ~ (ب ∧ ~ ب)

(8) مبدأ الثالث المرفوع ويعني أن القضية تكون إمَّا صادقة أو كاذبة وليست هناك قيمة ثالثة بينهما. ولهذا نطلق عليه منطق ثنائي القيمة. ويمكن صياغته كما يلي : (ب ∨ ~ ب).

«مؤلف كتاب تهافت التهافت»، فيمكن طبقا لمبدأ المماثلة أن نستبدلَ أحد الطرفين بالآخر، وبالتالي يمكن القول :

أ ــ ابن رشد ≡ ابن رشد.

ب ــ يريد خالد أن يعرفَ ما إذا كان ابنُ رُشد هو ابن رشد.

نلاحظ أنه إذا كانت «أ» صادقة فَـ «ب» كاذبة. وذلك لأن خالد لا يريد التأكد من كون «ابن رشد هو ابن رشد»، بل من كون ابن رشد هو مؤلف كتاب تهافت التهافت، ولذلك يمكن استنتاج أن ابن رشد، و «مؤلف كتاب تهافت التهافت... ليس إحاليين. فلو كانا كذلك لما تغيرت قيمة صدق العبارة عندما استبدلنا أحد الطرفين بالآخر ولما سقطنا في مُفارقة.

انطلاقاً من هذه التناقضات والمفارقات، حاولَ راسل من خلال «نظرية الرسوم» أن يحلل العبارات التي تبدو إحالية. فبالنسبة للإحالة يمكننا أن نحيل على شخص مُعين بدون اللجوء إلى أداة التعريف، وذلك في حالة القدرة على إعطاء عبارة إحالية تنطبق على شخص واحد. كأن نستبدلَ مثلا «المؤلِّف» بـ «الشخص الذي تولى منصب قاضي القضاة» ونطلقُ على هذه العبارة الأخيرة «العبارة المعرفة». وهذا يتطلب أن يقصدَ المتكلم الإحالة على ما تنطبقُ عليه العبارة المعرِّفة إذ تعتبر الإحالة غير ناجحة في الحالة التي لم يتوضح فيها القصد. وهنا يجب أن نميز بين الإحالة الصحيحة والإحالة الناجحة. فلا يمكننا أن نحيل على شخص ما بشكل صحيح بواسطة الوصف المُعرِّف إلا إذا كان الوصفُ صادقاً على الشخص. أما نجاحُ الإحالة فلا يتعلق بصدق الوصف الذي يحتوي على التعبير الإحالي. فيُمكن أن يخطيء المتكلم (وكذلك المخاطب) في آعتباره خطأً بأن شخصا ما هو «طالبٌ» في حين أنه «أستاذ اللغة العربية»، ويحيل عليه بشكل غير صحيح لكن بنجاح. إذ ليس من الضروري أن يتأكد المتكلم في استعماله للعبارة «طالب» بأن الوصف المستعمل يصدق على المسمى :

بإمكاننا إذن أن نميز في إطار مقولات التعابير الإحالية بين :

1 ــ التركيب الإسمي المحدد.

2 ــ الإسم المضمر.

3 ــ إسم الإشارة.

4 ــ إسم العلم.

فالنوعُ الأولُ كما رأينا هو الأوصافُ المحددة حيث بإمكاننا أن نتعرف على المسمَّى، ليس فقط بتسميته، بل كذلك بإعطاء المخاطب وصفا تفصيليا في إطار سياق قولي مضبوط يمكِّننا من عزله عن كل الأشخاص الآخرين في عالم الخطاب، لكننا نلاحظ أن هذا التمييز ليس واضحاً ولا مضبوطاً، إذ نجد في بعض الأحيان أن بعض الأسماء العائلية، وأسماء المكان تستمد

أصلها من أوصاف محددة أو من ألقاب. وأن إسم العلم كثيرا ما يتم تبديله بجذر كلمة وصفية، ويتم استعمالهُ في التعابير الإحالية أو الحملية. ويرى البعضُ أن لاسم العَلم دوراً أساسيا بالمقارنة مع التركيب الإسمي المحدد، والإسم المضمر.

فهناك إذن موقفان مُتميزان بصدد إسم العلم؛ موقف يرى أنه يحملُ دلالةً، وموقف آخر ينفي عنه أية دلالة. إذ يتساءل هؤلاء عن إمكانية اعتبار إسم العلم عبارة إحالية وصفية مختصرة كأن يدل مثلا «محمدّ» على ما تدلُّ عليه عبارة : «المسؤول عن مجلة دراسات سيميائية أدبية لسانية» إن هؤلاء الذين يذهبون إلى القول بأن آسم العلم لاَ يفيد ما تُفيده العبارة الوصفية يؤكدون أن أسماءَ الاعلام هي عبارات لا معنى لها.

وذلك لكونها تختلف عن العبارات التي تحمل دلالة. فالمربعُ مثلا، لا يطلقُ إلا على شكل معين يتوفر على خصائص معينة يترابط بعضها ببعض. فإذا حذفنا إحدى هذه الخصائص يستبعد المربعُ كله. كما أن آسم العلم لا يحددُ الصفات والخصائص، فليس بإمكاننا أن نستخلصَ صفات وخصائص شخص ما انطلاقا من آسم العلم؛ لا يمكن أن نستخلص من قولنا «خالد» مميزات وخصائص الشخص الذي يحمل هذا الإسم. وذلك على عكس المربع الذي نتعرف عليه بمجرد معرفة خصائصه.

لكنه بإمكاننا استبعادُ هذه الحجة بدعوى أن أسماء الاعلام ليست وحدها هي التي لا تعبر عن خصائص وصفات المسمى. بل إن العديد من الأسماء لا تحددُ هذه الصفات والخصائص وذلك راجع لما تحمله من التباس. كما أن هذا لا يعني بأن عدم معرفة خصائص وصفات هذه الأسماء هو إلغاؤها. فلو قلنا مثلا عن «ابن رشد» بأنه «مؤلف كتاب تهافت التهافت، وقاضي القضاة، وأنه تلميذ ابن طفيل»، فهذا لا يعني عدم وجود آبن رشد، إذا لم يوجد شخص تصدق في حقه هذه العبارةِ الوصفية. أو في حالة اكتشاف، مثلا، أنه لم يكن تلميذا لابن طفيل، فيمكن أن يكون أحدُ، أو بعض الأوصاف الجزئية التي نصف بها شخصاً ما خاطئا. لكن هذا لا يؤثر على ما يفيده الإسم. ولهذا يمكن القول بأن المتكلم عندما يحيل على مُسمى بواسطة آسم العلم فبإمكانه أن يستبدل به عبارة وصفية أطولَ تنطبق على المسمى. فسوءُ الفهم يمكن أن ينتج عن الغموض والالتباس الذي يكتنف العبارة. أو عن اقران وصف محدد بعامل يعبر عن المعتقد.

فإذا أخذنا مثلا :

أ ــ يريدُ خالد أن يعرف ما إذا كان ابنُ رشد هو مؤلف كتاب تهافت التهافت.

ب ــ ابن رشد ≡ ابن رشد

ج ــ يريدُ خالد أن يعرف ما إذا كان ابن رشد هو ابن رشد.

فإذا كانت العبارة «أ» صادقة فإن «جـ» كاذبة. إن سوء الفهم ناتج هنا عن الالتباس

الموجود في العبارة «أ» والذي يمكن إزالتُه باستخدام نظرية الرسوم. فلو افترضنا أن العبارة «أ» تقول :

أ ــ يريدُ خالد أن يعرف ما إذا كان شخص واحد، وواحد فقط، هو مؤلف كتاب تهافت التهافت. وما إذا كان ابن رشد هو هذا الشخص.

أو أنها تريد أن تقول :

أً ــ شخص واحد، وواحد فقط، ألف تهافت التهافت، ويريدُ خالد أن يعرف، ما إذا كان ابن رشد هو هذا الشخص.

نلاحظ أن «مؤلف كتاب تهافت التهافت» في العبارة «أً»، أو التعبير الذي يقوم مقامه : «شخصٌ واحد» وواحد فقط، هو مؤلف كتاب تهافت التهافت، قد انتظم في السياق المكون من طرف : «يريدُ خالد أن يعرف ما إذا»، ولهذا يمكن القول بأن التعبير الوصفي أو ما يقوم مقامه في : «أ» يعتبرُ ثانوياً. ومن أجل آستبعاد إمكانية استنتاج العبارة : «جـ» انطلاقا من «أ» أو «ب» يجب استبعاد إمكانية استبدال «مؤلِّف كتاب تهافت التهافت» بـ : «ابن رشد» في الحالة التي لا تكون فيها عبارة : «مؤلف كتاب تهافت التهافت» ابتدائية.

إن ماهو أساسي في تحليل العبارات الوصفية المحددة هو أن عملية التحليل لا تتوقف على الأوصاف ذاتها، بل على القضايا التي ترجع إليها. ويجبُ في مثل هذه الحالات البحث عن السياقات التي يكون فيها الوصف كاذبا. فهذه العبارة مثلا كاذبة في ثلاث حالاتِ هي :

أــ إذا لم يكن كتاب تهافت التهافت قد كتب فعلا.

ب ــ إذا لم يكن ابن رشد هو الذي كتب تهافت التهافت.

ج ــ إذا كان هناك عدة أشخاص كتبوا تهافت التهافت.

ولنفي شروط الكذب طبقا لهذه الحالات سنقول :

«يوجد شخص واحد، وواحد فقط كتب تهافت التهافت وهو ابن رشد»

فإذا أخذنا :

أ ــ ابن رشد هو مؤلف كتاب تهافت التهافت

و :

ب ــ ابن رشد هو ابن رشد

وجدناهما تختلفان من حيث الدلالة، لكن هذا لايعني وجود اختلاف في معنى «ابن رشد» في العبارة «أ» ومعناه في العبارة : «ب» بل إن الاختلاف ناتج عن آقتران نفس الإسم بتعبيرين مختلفين، ولتلافي الوقوع في التناقض يجب أن نستبدل آسم العلم بالعبارة الوصفية التي تقوم

مقامهُ بمعنى تحليلا الـ «ب هو جـ» إلى «يوجد شيء واحد وواحد فقط هو «ب وهو ج» فلو أخذنا : عبارة «ابن رشد هو قاضي القضاة» يمكننا إخضاعها لتأويلات متعددة؛ إذ يمكن أن نقول بأنها تعبر عن قضية يمكن مقارنتها بقضايا أخرى تخبرنا مثلا أن ابن رشد هو : «مفسر أرسطو»، وأنه «آستقر بقرطبة، وفي هذه الحالة يكون التركيب الإسمي : «قاضي القضاة» غير صالح للإحالة على شخص واحد لأنه آقترن بتابع حملي ليقول شيئا ما عن الشخص الذي نعينه بواسطة التعبير ــ موضوع. كما أن عبارة : «ابن رشد» و «قاضي القضاة» تحتمل تأويلا آخر، وهو أن «ابن رشد» و «قاضي القضاة» يمكن استعمالهما كتعبيرين إحاليين، وفي هذه الحالة نقول بأن عامل الوصل « و » يقيم علاقة المماثلة بينهما، وبالتالي فبإمكاننا أن نستبدل أحدالطرفين بالآخر، لكن إذا أولناها كعبارة حملية تتعذر في هذه الحالة ــ إمكانية التبديل. أي استبدال أحد الطرفين بالآخر.

وإذا أخذنا كذلك العبارة الأولى» قيصر روسيا الحالي عادل» فإننا لا نجد لها إحالة وذلك استناداً إلى تمييز «فريجه» بين المعنى والإحالة، وهو ما أشرنا إليه سابقا؛ فمادامت العبارة : «قيصر روسيا الحالي» لاتتوفر على مسمى، فليس لها إحالة، ومن هنا اعتبر «فريجه» بأن الاحالة هي التي تحدد قيمة صدق القضية. وبما أنّنا لا نحيل على شيء معين فهي ليست صادقة ولا كاذبة.

أما «راسل» فيؤكد أن هذه القضية ليست على شكل موضوع ــ محمول؛ لذا فهي قول كاذب وبالتالي ستأخذ صياغتُها المنطقية الصورة الآتية :

أ ــ يوجد «على الأقل» شخص ما، هو حاليا قيصر روسيا.

ب ــ يوجد «على الأكثر» شخص واحد وواحد فقط هو قيصر روسيا الحالي.

ج ــ لايوجد هناك شخص له خاصية قيصر وليس له خاصية العدل.

بمعنى؛ «يوجد شخص واحد وواحد فقط هو قيصر روسيا وهو عادل» ولهذا لم تعد مثل هذه العبارات التي تبدو إحالية، تشير إلى أشخاص معينين، وإنما هي مجرد إثباتات تتعلق بالصفات أو تؤكد بأن بعض الصفات متحققة أو غير متحققة. فإذا قمنا بجرد نحاول من خلاله تحديد الأشخاص العادلين والأشخاص غير العادلين، فلن نجد «قيصر روسيا» في أي منهما؛ ذلك لأن القول وجودي، وهو عبارة عن وصل لأجزام[9]؛ بمعنى أن القضية كاذبة نظرا لكون أحد مكونات الوصل ــ على الأقل ــ كاذب، وهو شرط كاف ليجعل الوصل بأكمله كاذبا[10] ولا يستثني «راسل» من هذا التحليل إلاّ العبارات التي يعتقد أنها إحالية؛

---

(9) جزم = Assertion

(10) الوصل يصدق في حالة صدق كل المكونات ويكذب في حالة كذب إحدى المكونات على الأقل. انظر قائمة الرموز

مثلا «هذا»، وكل أسماء الإشارة فلو قلت مثلا : «هذا أبيض» لأحيل بواسطته على شيء، خارجي، فقد أقع في خطإ آفتراض وجود شيء غير موجود في العالم.

لكن يمكن أن نعترض على هذا التصور بالقول بأننا نحن الذين نحيل وليست العبارة. فـ : «هو» يمكن استعمالها في ظل ظروف زمانية ومكانية مختلفة. إذ يمكنني أن أستعملها لأحيل بها على شيء معين، وقد يستعملها شخص آخر ليحيل بها على شيء آخر يمكن أن يختلف زمانيا ومكانيا عن الاستعمال الأول.

وهناك افتراض آخر يرد عند «راسل» يَفْتَرِضُ كون القضية إما صادقة أو كاذبة. فلو قلت «أنا مسافر» فالقضية لا تصدق ولا تكذب في حالة فصلها عن سياق الخطاب الذي وردت فيه، كما أنها ليست خالية من المعنى لأنها لو كانت كذلك لما صدقت أو كذبت عند ربطها بالسياق. لهذا يمكن استبعاد التناقضات والمفارقات التي تطرحها العبارات التي ترد على صورة : الـ«أ». إذ من الممكن ألاّ تستعمل استعمالا إحاليا. لكن هذا لا يمنعها من أن تصبح تعبيرا إحاليا لأن ما يجعل العبارة كذلك هو استعدادها لأن تستعمل استعمالا إحاليا ولا يعتد باستعاملها الإحالي الحاضر.

فالمطلوب أن تكون العبارة إحالية سواء تحقق هذا الاستعمال في الحاضر أو لم يتحقق.

لقد وُجِّهَتْ عِدَّةُ انتقادات لهذا التصور الراسلي؛ فلو سلمنا معه بأن إثبات الوجود هو جزء من إثبات القضية : «قيصر روسيا عادل»، وكان القيصر غير موجود، فإن هذه القضية ستكون كاذبة، لأن بعض ما أثبته : «قيصر موجود» كاذبة، في حين أن هناك من لا يعتبر هذه الجملة كاذبة، فلقد كان الناس قبل الثورة الروسية يحيلون بوسطتها على شخص معين. ان الاثبات والحكم الذي تصدره العبارة لا يتعلق بوجود القيصر وإنما بالعدل. أما وجود قيصر فهو متضمن ومقتضى وهو الذي نصفه بالعدل، كما أن روسيا يمكن أن تتوفر على عدة قياصرة بحيث تكون القضية صادقة في حالة كون أحدهم عادلا. ومن هنا لا يمكن الأخذ بتحليل راسل الذي يعمل على إرجاع العبارة إلى «يوجد شخص واحد وواحد فقط هو قيصر روسيا»

وهنا يمكن التمييز بين وجهتي نظر متميزتين فيما يتعلق بالإحالة. فهناك من يرى بأن السياق بما فيه المحيط الخارجي هو الذي يجعل العبارة تحيل على شخص واحد. وهناك من لا يعتبر السياق شرطا ضروريا في عملية الإحالة، على شخص واحد. وقد تطورت هذه التصورات بصفة خاصة مع بداية الستينات، وذلك بعد أن أكد بعض المناطقة والفلاسفة واللسانيين ضرورة الأخذ بالمستوى التداولي في دراستنا لأي ظاهرة لغوية، فبآستثناء «فريجه» الذي أكد بأن الموضوع النحوي هو الموضوع المنطقي الذي يقتضي أن تكون الموضوع إحالة، نجد أن المناطقة قد أخذوا بمسلمتين.

أ) أن المنطق ينطبق على الجمل الإثباتية والصورة المنطقية لجملة إثباتية مستقلة عن المجال التداولي

ب) ان الجمل غير الاثباتية : «الانجازية»، كالأسئلة والأوامر لا يمكن تحليلها بالاقتصار على المستوى الدلالي.

ذلك أن دلالة منطق الدرجة الأولى ينطبق على قضايا صادقة أو كاذبة، وافتراض استقلال الصورة المنطقية عن المجال التداولي هو القول بإمكانية تأويلها بآستقلال عن استراتيجية المتكلم. هذه الانتقادات أعطت الانطلاقة لأبحاث مهمة كأفعال الكلام عن أوستين (Austin) و سورل (Searel)، والاقتضاء عند ستراوسن (Strausun) وديكرو (Ducrot) وغيرهما، وبصفة عامة لأعمال منطقية لسانية مهمة سعت نحو وصف اللغات الطبيعية كما نجد عند : هينتيكا (Hintikka) ومونتاغ (Montague) دافيدسون (Davidson) وسكوت (Scott)، فباستثناء كواين (Quine) على الخصوص الذي يدافع عن وجهة نظر راسل، حيث يرى بأن تعميمها سيُمكننا من إلغاء كل أسماء الأعلام التي هي مواضيع منطقية خاطئة، فنظرية الرسوم ــ حسب كواين ــ ستساعدنا على تطهير الكلام من التعابير التي تحيل خطأ، وإذا عممناها ستشكل ضربة لتصور فتجنشتين، ولأ فلاطونية «فريجه» التي تقيم تطابقا بين كل تعبير وشيء في الواقع.

أما ستراوسن فهو يعترض على نظرية راسل لأنه لا يميز في الجملة بين ماهو مؤكد، وما هو مقتضى. لذا يرى ستروسن ــ الذي يتفق في مرحلته الأولى مع وجهة نظر «فريجه» بأن العبارة التالية : «قيصر روسيا الحالي عادل» ليست لا صادقة ولا كاذبة.

فلو أخذنا القضية «4» :

4) **«قيصر روسيا الحالي عادل»**

نجدها حسب «راسل» تعبر عما يلي :

4 أ) يوجد شخص واحد وواحد فقط هو قيصر روسيا، وهو عادل.

وكل شخص يصرح بهذه الجملة يجزم بشيء ما كاذب وهو القضية الوجودية التالية :

4 ب) «هناك قيصر لروسيا»

وهذه القضية ليست : لا صادقة ولا كاذبة، وذلك لكون إحدى آقتضاءاتها غير مرضية. ومن هنا فالقضية (4) ليست لها قيمة صدقية بينما يذهب البعض إلى القول بأن قيمتها هي في أن لا تكون لا صادقة ولا كاذبة، بل إن قيمتها خارجة عن المنطق الثنائي القيمة[11]،

(11) لقد ساهمت هذه الأعمال وأبحاث أخرى في ظهور أنواع أخرى من المنطق إلى جانب المنطق الثنائي القيمة كالمنطق الموجه، المنطق الثلاثي القيمة، المنطق المتعدد القيمة، المنطق الحدسي إلخ...

ويجب بالتالي إدخال قيمة ثالثة. ويؤكد ستراوسن أن «4 ب» ليست فقط شرطا لصدق 4 بل لكذبها كذلك، وهذا ما توضحه القضية «4 جـ»

4 ج) قيصر روسيا ليس عادلا

بمعنى أن «ب» هو شرط لـ ج وَلِـ (~ ج) في نفس الوقت، (أي لإثبات جـ ولنفيها كذلك)؛ فإذا كانت القضية الوصف المحدد كاذبة، فالوصف المحدد لا ينجح في إحالته. وفي هذا الصدد يمكن أن تقول عن مثل هذه القضايا بأن لها معنى. لكن السؤال حول ما إذا كانت صادقة أو كاذبة لايُطرح. علينا ــ حسب ستراوسن ــ أن نأخذ بالاستعمال الواقعي الملموس للأسماء والجمل. وذلك لأن الجزم بقضية ما أو بجملة ما هو حدث مؤرخ في الزمان ومُمَوْقَعٌ في المكان، والمتكلم هو الذي يقوم بفعل الاحالة. إن أحد الأخطاء التي ارتكبها راسل هو عدم أخذه بعين الاعتبار الاستعمال العادي للأداة المُعرِّفة. وهو بهذا يستبعد تصور راسل الذي يرى بأن جزءاً مما يثبته المتكلم عندما يقول : «قيصر روسيا الحالي عادل» هو أن قيصر روسيا موجود؛ فلو استبدلنا «قيصر روسيا الحالي عادل» بـ : «ب» ورمزنا لـ : «قيصر روسيا الحالي موجود» بـ : «جـ»، فسنحصُلُ حسب التحليل الراسلي، على : ب ← ج[12]

فحسب الشرط، فإذا كانت «ج» كاذبة فستصبحُ القضية كاذبة، وذلك لأن قاعدة الشرط تقول بكذب الشرط في حالة صدق المقدم وكذب التالي. ولهذا يجب تعويض هذا التمثيل بـ : «ب تقتضي جـ»

فإذا كانت «جـ» كاذبة فجزم «ب» ليس كاذباً بل بدون قيمة لأنه خارج القصد. ولهذا فجزم بعض العبارات التي تتخذ صورة موضوع ــ محمول ــ يعتبر بدون قيمة. وذلك راجع ليس لكونها ميتافيزيقية كما يرى البعض، بل لأن اقتضاءها كاذبٌ. في هذا الإطار يفترِضُ بأنه لايمكن الاعتماد على الأسوار، لأن امتدادها محدود. فاقْتَرَحَ منطقا لاجزام اللغة العادية والذي يحتوي على ثلاثة قيم : «الصادق» «الكاذب» و «لا صادق» ولا كاذب» بذلك ميَّز بين التعابير الإحالية والتعابير الحَمليَّة، فلكي يُستعمل القول بشكل صحيح يجب أن يؤدي الوظيفة المنوطة به، وهي أن على المتكلم أن يفترض وجود معرفة مسبقة لما هو مقتضى عند المخاطب.

لقد قلنا كذلك بأنه من بين المشاكل المطروحة على مستوى التعابير الوصفية التي تدخل عليها أداة التعريف، عبارات تتشابه من حيث الصورة مع العبارات الوصفية الإحالية إلاَّ أنها لا تحيل على أشخاص معينين. فلو قلنا مثلا «الأسد حيوان مفترس» فنحن هنا لا نقصد أو لا نحيل على أسد معين محدد بل على نوع خاص من الحيوانات. لهذا يمكن إدخال هذا النوع في إطار الإحالة النوعية. وذلك لأنها غير محددة في الزمان، إنها كلية وأبدية، وبالتالي يمكن

---

(12) انظر قائمة الرموز.

أن نرمز لها باستخدام منطق المحمولات على الشكل التالي.

∧ س [ك (س) ← ل (س)]

وهناك من يرفض هذا التعبير الرمزي باعتباره جد قوي وجد ضعيف، جد قوي لأنه يمكن إبطاله في حالة اكتشاف أسد واحد غير مفترس، وجد ضعيف لأنها تبقى صادقة ولو في حالة كون المحمول اعتباطيا وحادثا. واستنادا إلى هذه الأدلة يعتبرون أن السور الكلي غير ملائم لتمثيل مثل هذه القضايا النوعية.

لقد حاول مونتاغ (Montague) التعرض — من خلال نموذجه لبعض المظاهر الأساسية للغة الطبيعية، ومنها الاقتضاء الذي يقدمه في إطار نسق مرتبط بنموذجه الذي سنحاول أن نقدمه باختصار. فالاقتضاء هو :

1) قضية ما «ب» تقتضي قضية أخرى «ج» عندما تكون «ب» صادقة أو كاذبة فقط، إذا كانت «ج» صادقة. وبمعنى آخر :

2) «ب» تقتضي «ج» عندما يمكن القول :

أ — إذا كانت «ب» صادقة فإن «جـ» صادقة .

ب) إذا كانت «ب» كاذبة فإن «جـ» صادقة وطبقا لهذا التعريف يمكن القول بأن كل جملة تقتضي على الأقل كلَّ الجمل ذات الصحة العامة. فلو أخذنا العبارة التالية :

6) «خالدٌ سعيد بحلول فصل الصيف».

فالعبارة (6) تقتضي بأن «حلول فصل الصيف» صادقة، ونفيها كذلك يقتضي «حلول فصل الصيف» بمعنى أن «ب» و «~ ب» يقتضيان «ج».

وإذا أخذنا علاقة الاقتضاء التي تعبر عنها العبارة (6) وطبقنا عليها المنطق الثنائي القيمة، فسنحصل على

7) «حل فصل الصيف أو لم يحل فصل الصيف».

فهذه القضية صادقة بالضرورة وذلك لأن الفصل يصدق في حالة صدق أحد الأطراف على الأقل. إنها قضية تعبر عن تحصيل حاصل، وبالتالي فهي صادقة في كل عالم ممكن.

وانطلاقاً من القضية «6» والقضية «7» يمكن استنتاج صدق العبارتين التاليتين :

أ) إذا كان : «خالد سعيد بحلول فصل الصيف» صادقة فإن «حل فصل الصيف أو لم يحل فصل الصيف» صادقة

ب) إذا كان «خالد سعيد بحلول فصل الصيف» كاذبة فإن «حلَّ فصل الصيف أو لم يحل فصل الصيف» صادقة.

هذه النتيجة التي تصدق في كلتا الحالتين تؤدي بنا إلى التساؤل حول ما إذا كانت كل

جملة تقتضي كل الجمل الصادقة منطقيا؛ بمعنى أن مشكل قضايا تحصيل الحُاصل مطروح من جديد، وذلك لكون كل جملة تقتضيه

ويمكن أن نرمز لبعض أنواع الاقتضاء على الشكل التالي : (كل عبارة تقتضي نفسها) :

8 ∈ (ب ⊂ ب) ∧ (~ ب ⊂ ب)

وإذا كانت : ب و ~ ب تقتضي «ج» فيمكن أن نرمز له بـ :

9) (ب ⊂ ج) ∧ (~ ب ⊂ ج)

وإذا كانت «ب» «تقتضي «ج» و «ج» تقتضي «ب» فيمكن أن نرمز له بـ :

10) { [(ب ⊂ ج) ∧ (~ ب ⊂ ج)] ∧ [(ج ⊂ ب ∧ (~ ج ⊂ ب)] }

ونظرا للمشاكل التي يطرحها هذ النوع من الاقتضاء على مستوى رسم قضايا اللغة الطبيعية أكَّد البعضُ ضرورة إدخال قيمةِ ثالثة، وذلك من أجل إثبات أن العبارات التي تكون اقتضاءاتها كاذبة ليست لها قيمة صدقية، وذلك لأن للمخاطب الحق في الاعتراض على الاقتضاء، بل بإمكانه أن يرفضه؛ بمعنى أن ما يقتضيه متكلم ما يمكن أن يكون كاذبا في عالم المخاطب وبالتالي يمكن إعطاء التعريف التالي :

11) «ب يقتضي ج» : (ب ⊂ ج) ∧ (⊂ ب ⊂ ج) ∧ (~ ج ⊄ (ب))
∧ م (~ ج)[14]

بحيث أن م (~ ج) صادق إذا كان هناك على الأقل عَالَمٌ واحد يكذب فيه «جـ». وهكذا؛ فإذا كانت «جـ» تحصيل حاصل فإن م (~ ج) لا يمكن أن تكون صادقة، وبالتالي فالاقتضاء على هذا الشكل يستبعدُ قضايا تحصيل الحاصل.

هذه هي بعض الحلول التي قدمها مونطاغ Montague في إطار نسقه. إلاَّ أن اعتماده على المنطق الثنائي القيمة جعله يصطدم بمشاكل من نوع آخر. ولهذا يرى البعض ضرورة إدخال المنطق الثلاثي القيمة مع تعديلات جديدة على نسق مُنتاغ حتى نتمكن من التعبير عن كل أنواع الاقتضاء، وحتى نتمكن من توسيع هذا النموذج.

قائمة الرموز المستعملة

≡ التكافؤ

الوصل، ونرمز له بـ ∧ وهو يصدق في حالة صدق كل المكونات ويكذب في حالة كذب أحدها فقط. فلو أخذنا (ب) و (ج) كمتغيرين فسنحصل على الجدول التالي في إطار المنطق الثنائي القيمة.

---

(13) انظر قائمة الرموز

(14) م : ترمز إلى العامل الموجه

ب ∧ ح

ص ص ص

ص ك ك

ك ك ص

ك ك ك

ب، ج متغيرات قصوية

ص صادق

ك كاذب

← ؛ ⊂ الشرط؛ التَّضَمُّن. ويكذب في حالة صدق المقدم وكذب التالي، ويصدق في الحالات الثّلاث الأخرى.

ب ← ج

ص ص ص

ص ك ك

ك ص ص

ك ص ك

الفصل ونرمز له بـ ∨ وهو يكذب في حالة كل المتغيرات ويصدق في حالة صدق إحداها على الأقل.

ب ∨ ج

ص ص ص

ص ص ك

ك ص ص

ك ك ك

∼ : النفي أو السلب

عندما يتعلق الأمر بمنطق المحمولات، فإننا نستخدم الأسوار للتعبير عن القضايا التي تحتوى على كل أو بعض. فلو قلنا مثلا كل إنسان فان، فهي قضية كلية تتكون من موضوع إنسان يمكن أن نرمز له بـ «س» ــ ومحمول فان ــ يمكن أن نرمز له بـ : «ك»، وبما أن القضية تقوم على الكل، أي عامة عموماً كليا، فهي لا تعبر عن وجود لأفراد الموضوع بل تعبر عن علاقة بين تابعين قضويين. بمعنى إذا كان شخص مّا إنسانا فهو فان وبالتالي عبارة عن وصل لامتناه لقضايا بسيطة شرطية.

إذا كان خالد إنسانا فهو فان

إذا كان عمر إنسانا فهو فان

إذا فالتعبير الرمزي عن القضية السابقة يتطلب :

أ ـــ السور الكلي ونرمز له ب ∧.

ب ـــ س كمتغير يرمز لفئة الأشخاص

ج ـــ ك، ل كرمزين لفئة المحمولات

د ـــ عامل الشرط، لأن القضايا البسيطة التي تكونها هي عبارة عن قضايا شرطية : إذا ... ف... لتصبح الصياغة كما يلي

∧ س [ك (س ← ل (س)]

أما القضية البعضية أو الوجودية والتي تقرر وجود أفراد الموضوع فَتُعبَّر عنها كما يلي

بعض الناس فان

∧ س [ك (س V ل (س)]

وهنا نستعمل عامل الوصول عوض الشرط.

* * *

صدرت الطبعة الأولى من ديوان الأستاذ محمد الشيخي تحت عنوان «الأشجار» ويضم ثلاث قصائد وقصيدة طويلة تضم خمسة مقاطع. كتبه بخط اليد الطيب البقالي. صدر عن منشورات الجامعة، 1988.

* * *

توصلت المجلة أيضا بمجموعة قصصية جديدة بعنوان : الظاهر الغابر للأستاذ أحمد بوزفور صادرة عن دار «نشر الضنك البيضاء 1987. تتضمن 12 قصة ومعلوم أن إحداها وهي الحاملة لاسم المجموعة قد خضعت لتحليل بنائي مسهب في كتاب د. محمد مفتاح دينامية النص.

السرد والحوار

أفلاطون

اختيار وتقديم حميد لحمداني

نجتزىء هذا النص لأفلاطون من محاورته مع «اديمانتوس» ضمن الكتاب الثالث من «**الجمهورية**»(1).

وأهميته تأتي من كونه يقدم فيه تعريفا لعنصري الحكي الأساسيين، اعتمادا على تحليل المكونات البنائية للحكي والتي آعتبرها مُدْرَجةً في إطار عام سماه «الاسلوب»، وهاذان العنصران هما **السردوالحوار**. وتُدْرَكُ أهمية هذا النص من جانبين.

— الجانب التاريخي؛ كونه من أقدم النصوص التي تتحدث عن مكونات الحكي في الثقافة الأوربية.

— والجانب التعليمي والمعرفي ؛ كونه أولًا يُبَسِّطُ بالامثلة الموضّحة من الالياذة ما كَانَ يعنيه بمفهومي السرد والحوار، وثانيا لأنه اعتبر الحديث عن السرد، والحوار مندرجاً في الدراسة الاسلوبية للحكي، ثم لأنه ميز في الاخير بين الحكي القصصي، والحكي المسرحي، فالأول يشتمل على السرد والحوار والثاني يشتمل على الحوار فقط ؛ فالملحمة تمثل النمط الأول، والمسرحية المأساوية والهزلية تمثل النمط الثاني، على أن هناك نمطا ثالثا يشتمل على السرد فقط وهو المدائح.

---

(1) جمهورية افلاطون. ترجمة ودراسة. د.فؤاد زكريا. هـ.م.ع للكتاب 1974. ورَدَ النص المنشور هنا بين ص.267 وص.270 من الجمهورية.

«ـــ والآن، حسبنا هذا عن الشعر، ولنتكلم الان عن الأسلوب، فاذا ما انتهينا منه، نكون قد فرغنا من بحث المادة والشكل معا.

فقال اديمانتوس : لَسْتُ أفهم ما تعنيه.

ـــ لابد لك من فهم هذا الموضوع، وربما ازداد الأمر وضوحا في نظرك أو عُرِضَ على النحو الاتي : انك لتعلم أن كل الأساطير والأشعار ليست الا سردا لأحداث وقعت في الماضي، أو تقع في الحاضر، أن ستقع في المستقبل.

فأجاب : إنَّ الأمر لا يمكن أن يكون على خلاف ذلك.

ـــ **والسرد**(2) قد يكون مجرد سرد، أو تصوير وتمثيل، أو كليهما معا.

ـــ مَازِلْتُ أطلب منك مزيدا من التفسير لهذه المسألة.

ـــ لابد أنني مُعَلِّمٌ فاشل، إذ لا أستطيعُ أن أوضح ما أرمي إليه. ولذا سأفعَلُ كمن لا يحسنون شرح أقوالهم، وبدلا من أن أحيط بالمشكلة عامة، سأتناول جزءا منها أضربُ به مثلا يوضح ما أعنيه؛ إنك لتحفظُ عن ظهر قلب بدايةَ الالياذة، حيث يروي الشاعر أن خروسيس Chryses اخذ يتوسل إلى أجاممنون أن يُطلق سراح ابنته. وان أجاممنون أبى واستكبر، وأن خروسيس بعد أن اخفق في مسعاه أثار الإلَهَ وقلْبهُ على الاغريق.

ـــ أجـل.

ـــ واذن فالشاعر ظل حتى هذا البيت :

«وتوسل إلى كل الاغريق، ولاسيما ابني أتريدس Atrides قائدي الشعب»، أقول انه ظل حتى هذا البيت يتكلم بلسانه هو، ولا يَدَعُنَا نعتقد أنه يتكلم بلسان أي شخص آخر، ولكنه يتحدث بعد ذلك كما لو كان خروسيس هو الذي يتكلم، ويحاول بشتى الطرق أن يوهمنا بأن المتحدث ليس هو هوميروس، وانما كاهن أبولو العجوز. وعلى هذا النحو يرى كل الوقائع التي حدثت في طروادة وفي ايثاكا Ithaca وكل ما جرى في الأوديسية.

ـــ هذا صحيح.

ـــ واذن فحديث الشاعر يكون سردا حين يقص الحوادثَ من آنٍ لاخر، أو حين يصف ما يتخللها من وقائع.

---

(2)نعتقد أن كلمة «سرد» هنا كما جاءت في ترجمة د.فؤاد زكريا غير مناسبة، لأنها تلتبس بكلمة «سرد» الموالية لها فأفلاطون يقصد بالأولى جنس «الحكي» ولهذا ينبغي أن تترجَمَ الكلمة الأصلية ببساطة «حكي». ويَقْصِدُ بالثانية ما يقوم به الراوي/السارد عندما يلخص أو يصف الأحداث داخل النص الحكائي. (ح.ل).

ـــ تماما.

ـــ أما حين يتكلم بلسان شخص آخر فإنه يتشبَّه بتلك الشخصية التي يقدمها إليها على أنها هي المتحدِّثة.

ـــ بالتأكيد.

ـــ وهذا التَّشَبُّه بغيره، سواء في الكلام وفي الحركات، أليس محاكاة لمن يتقمص الشاعرُ شخصيته ؟

ـــ بلا شك.

ـــ واذن فهو هوميروس وبقية الشعراء يلجئون إلى المحاكاة فيما يروونه.

ـــ بالتأكيد.

ـــ ولو كان الشاعر لا يُخْفِي ذَاتَهُ مطلقا، لما كان للمحاكاة في أشعاره أيُّ نصيب، ولاقتصر كل شعره على السرد البحت. وعلى أية حال، فلكي أوضح ما أعنيه، ولكيلا تظل عاجزا عن فهم ما أقول، فسأوضح لك تفسير كل هذا. فلو كان هوميروس قد قال ان الكاهن (خروسيس)، قد جاء وفي يده فدية ابنته، يتوسل إلى الاغريق، وبخاصة الملوك، ثم واصل كلامه، لا على لسان خروسيس، وانما على انه هو هوميروس دائما، لما كانت هناك محاكاة، وإنما سرد فحسب، ولاستَمرَّتِ الفقرة على هذا النحو بالتقريب (ولكن بدون وزن شعري) : «بعد أن قَدِمَ الشاعرُ، تَوَسَّلَ إلى الالهة أن يستولوا على طروادة، ويعودوا آمنين إلى ديارهم، غير أنه ابتهل إلى الاغريق ان يردوا إليه ابنته لقاء الفدية التي أتى بها إليهم، وان يحترموا الاله[3]. وعندما ختم كلماته، أبدى بقيةُ الاغريق تبجيلهم له وموافقتهم على ما طلب، غير أن أجاممنون وحده قد تملكه الغضب وأمره بأن يرحل وألا يعود ثانية، اذ ان عصاه وقلادته الالهية لن تجديه نفعا، وأضاف قائلا ان ابنته لن تخرج من أسره، بل ستظل معه حتى تدركها الشيخوخة في أرجوس، ثم أمره بأن ينصرف وألّا يُثِيرَهُ إن شاء أن يعود إلى أهله سليما معافًى. وعندما استمع الشيخ إلى هذا التهديد داهمه الرعب، وانصرف دون أن ينطق بحرف. ولكنه عندما فارق المكان، توجه بِصَلَاتِهِ إلى أبولو مناديا اياه بكل أسمائه، وذَكَّرَهُ بكل ما شَيَّدَهُ له من معابد وما نحره له من ذبائح، وتوسل إليه أن يرد إليه افعاله الطيبة، وان يصب جام غضبه على الاغريق كي ينتقم له منهم عما ذرفته عيناه من دموع». وعلى هذا النحو يصبح الاستهلال مجرد سرد، دون محاكاة.

ـــ لَقَدْ فَهِمْتُ الان ما تعنيه.

(3)المقصود هنا هو الإآله أبولو، الذي كان خروسيس كاهنا له (المترجم).

ــ ولْتَعْلَمْ أيضا أن للسرد[4] نوعا آخر على عكس النوع الأول، فيه يَحْذِفُ الشاعر الكلام الذي يفصل بين الحوار، فلا يتبقى الا الحوار ذاته فقط.

ــ اني لأفهم ذلك أيضا، فتلك هي صورة المأساة الشعرية (التراجيديا).

ــ لقد فَهِمْتَ الان ما أرمي إليه تماما. وأعتقد أنك تُدْرِك الان بوضوح ما لم يكن في وسعي أن أوضحه لك منذ برهة، ألا وَهُوَ ان الشعر والأساطير قد يكونان في بعض الاحيان للمحاكاة فقط ــ ومن أمثلة ذلك المأساة والهزلية الشعرية. وقد يكونان سردا يرويه الشاعر ذاته، كما في المدائح. والنوع الثالث مزيج من الأولين، وهو الذي يتمثل في الملاحم وفي أنواع متعددة أخرى. أتُرَاكَ تُدْرِكُ ما أعْنيه ؟

ــ أجل، أني لأفهَمُ كلّ ما قلت.

* * *

* * *

---

(4)هنا أيضا كان ينبغي للمترجم أن يضع بدل كلمة «سرد» كلمة «حكي». انظر ملاحظتنا السابقة على هامش سابق (ح.ل).

باشتراكك تضمن التوصل بأعداد المجلة حال صدورها، وبانتظام.

قسيمة الاشتراك

الاسم : ....

أشترك في أربعة أعداد من مجلة «**دراسات سميائية أدبية لسانية**»

ابتداء من العدد : ....وذلك برسم الاشتراك

العادي ☐ أو الطالب ☐ أو الدعم ☐. لذا أرجو أن

تصلني أعداد المجلة إلى العنوان التالي :

....

....

علما أنني حوَّلتُ المبلغ التالي........درهما إلى حساب المجلة

أو أرسلت شيكا بقيمة..................درهما.

أو بعثت بحوالة بريدية قيمتها...............درهما.

ترسل هذه القسيمة إلى العنوان التالي :

مجلة دراسات سميائية أدبية لسانية. ص.ب 2309 فاس.

(*) انظر قيمة الاشتراك في الصفحة الأولى من المجلة



المشاركون في هذا العدد :

- الدكتور جورج طرابيشي
- الدكتور موحى الناجي
- الدكتور حسن جلاب
- الأستاذ حميد لحمداني
- الأستاذ عبد الرحيم مودن
- الأستاذ عبد المجيد نوسي
- الأستاذ محمد بوحمدي
- الأستاذ حسان الباهي

DIRASAT

SIMYA'IYA . ADABIYA . LISANIYA

الثمن 16,00 درهم

مطبعة النجاح الجديدة
الدار البيضاء